مجموعة مشتملة على اللطايف والاداب عربی

مجموع يشتمل على لطائف وآداب

برسم خزانة المقر الاشرف الكريم العالي المولوي الاميري الكبيري السيفي تاني بك عين مقدمي الالوف بالديار المصرية الملكي الاشرفي عز نصره

... العلامة تقي الدين ابي بكر حجة الحموي

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

قال الشيخ الامام علامة الاعلام حجة العرب
وترجمان الادب قاضي الادب وفاضله تقي الدين
رحلة الطالبين ● ملك المتادبين ● ابو بكر بن
حجة الحنفي منشا دواوين الانشاء الشريف بالممالك
الاسلامية رحمة الله عليه اما بعد
حمدا لله الذي فهمنا ثمار اوراق العلماء ● والصلاة
على نبيه شجرة العلم التي اصلها ثابت وفرعها في السما
وعلى اله واصحابه الذين هم فروع هذه الشجرة ●
واغصانها التي دنت لهذه الامة قطوفها المثمرة ●
فاني [illegible] في تسمية هذا الكتاب بثمار الاوراق
لما [illegible] قطوفه لم تدن لغير ذوي الاذواق ●
فمن ذلك ما نقلته من درة الغواص لابي محمد القاسم
ابن علي الحريري [illegible] صاحب المقامات ان ابا العباس
[illegible] روى ان بعض اهل الذمة سال

في قراة كتاب سيبويه عليه وبذل له
مائة دينار في تدريسه اياه فامتنع ابو عثمان من
ذلك فقال له المبرد جعلت فداك [illegible] اترد هذه
النفقة مع فاقتك واحتياجك اليها فقال ابو عثمان
هذا الكتاب يشتمل على ثلثمائة [illegible] وكذا اية
من كتاب الله عز وجل ولست ارى ان امكن منها ذميا
غيرة على كتاب الله تعالى وحمية له ● قال
اتفق ان غنت جارية بحضرة الواثق من شعر العرجي
اظلوم ان مصابكم رجلا ∴ اهدى السلام اليكم ظلم ∴
فاختلف من بالحضرة في اعراب رجل فمنهم من نصبه
وجعله اسم ان ومنهم من رفعه على انه خبرها
والجارية مصرة على ان شيخها ابا عثمان المازني ●
لقنها اياه بالنصب فامر الواثق باشخاصه ●
قال ابو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت
من [illegible] المومنين قال اى الموازن قلت من مازن

ربيعة فكلمني بكلام قومي وقال باسمك لا
الميم باء والباء ميما اذا كان في اول الاسماء فكرهت
ان اجيبه على لغة قومي لئلا اواجهه بالمكروه فقلت
بكر يا امير المؤمنين ففطن لما قصدته واعجبه مني
ذلك ثم قال ما تقول في قول الشاعر ∴
∴ اظلوم ان مصابكم رجلا ∴ اهدى السلام اليكم ظلم ∴
ارفع رجلا ام تنصبه فقلت الوجه بالنصب يا امير
المومنين قال ولم ذلك فقلت ان مصابكم مصدر
بمعنى اصابتكم فاخذ اليزيدي في معارضتي فقلت
هو بمنزلة قولك ان ضربك زيدا ظلم فالرجل مفعول
مصابكم ومنصوب به والدليل عليه ان الكلام
معلق الى ان تقول ظلم فيتم فاستحسنه الواثق
وامر له بالف دينار قال ابو العباس المبرد فلما
ابو عثمان بالبصرة قال لي كيف رايت رددنا مائة
فعوضها الفا او نقلت من درة الغواص ايضا

باس سئل علي بن عيسى في ديوان الوزارة ما دواء
الخمار وكان قد علق به فاعرض عن كلامه وقال ما انا
وهذه المسئلة فخجل حامد منه والتفت الى القاضي
ابي عمر فسئله عن ذلك فتنحنح لاصلاح صوته ثم قال
قال الله تبارك وتعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا ∴ وقال النبي صلى الله عليه وسلم
استعينوا على كل صنعة بصالح من اهلها والاعشى
هو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية حيث قال
∴ وكاس شربت على لذة ∴ واخرى تداويت منها بها ∴
ثم تلاه ابو نواس في الاسلام فقال شعر
دع عنك لومي فان اللوم اغراء ∴ وداوني بالتي كانت هي الداء ∴
ثم حينئذ وجه حامد وقال لعلي بن عيسى ما
ضرك يا بارد ان تجيب ببعض ما اجاب به مولانا
قاضي القضاة وقد استظهر في جواب المسئلة
بقول الله عز وجل اولا وبقول النبي صلى الله عليه وسلم

ثانيا وادى المعنى وتقصّى من العهدة فكان
اكثر من نجاح حامد لما ابتداه بالمسئلة انتهى
ويضارع هذه الحكاية فى ان القضاة المتقشّفين
وادّعائهم فى الزهد والتقشّف للمستفتيّين
ما نقلته من درة الغواص للحريرى ايضا قال
اجتمع قوم على شراب فتغنّى مغنيهم بشعر حسّان
ان التى ناولتنى فرددتها ∴ قتلت قُتلت فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطنى ∴ بزجاجة ارخاهما للمفصل
فقال بعضهم امرأتى طالق ان لم اسئل الليلة
عبيد الله بن الحسن القاضى عن علة هذا الشعر
لم قال ان التى فوحّد ثم قال كلتاهما فثنّى [illegible]
على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ومضوا
الى قبائل بنى شقرة فوجدوا عبيد الله
يصلى فلما فرغ من صلاته قالوا قد جئناك فى
اليه الضرورة وشرحوا له الخبر وسئلوه

فقال مع زهده وتقشفه ان التى ناولتنى فرددتها
عنى بها الخمرة الممزوجة بالماء ثم قال كلتاهما
حلب العصير يريد الخمرة المجلبة من العنب
والماء المجلب من السحاب المكنّى عنه بالمعصرات
انتهى ∴ قال الحريرى وقد بقى فى الشعر ما يحتاج
الى تفسير اما قوله ان التى ناولتنى فرددتها
قتلت قتلت فانه خاطب الساقى الذى ناوله كاسها
ممزوجة لانه يقال قتلت الخمر اذا مزجتها فكانه
اراد ان يعلمه انه فطن لما فعله ثم ما اقنع بذلك
حتى دعا عليه بالقتل فى مقابلة المزج ثم انه عقب
الدعاء عليه بان استعطى منه ما لم تقتل يعنى الصرف
التى لم يمزج ∴ وقوله ارخاهما للمفصل يعنى به اللسان
وسمّى مفصلا بالكسر لانه يفصل بين الحق والباطل
قال الحريرى وليس ما اعتمده القاضى عبيد الله من
الاسماح وخفض الجناح ما يقدح فى نزاهته وبعد

من نبله ونباهته والله اعلم ونقلت من درة الغو
ان عروة بن اذينه الشاعر وفد على هشام بن عبد الملك
في جماعة من الشعرا فلما دخلوا عليه عرف عروة
فقال له الست القايل شعر
لقد علمت وما الاسراف من خلقي ۞ ان الذي هو رزقي سوف ياتيني
اسعى اليه فيعنيني تطلبه ۞ ولو قعدت اتاني لا يعنيني
واراك قد جيت من الحجاز الى الشام في طلب الرزق
فقال له يا امير المومنين زادك الله بسطة في العلم
والجسم ولا ردّ وافدك خايبا والله لقد بالغت
في الوعظ واذكرتني ما انسانيه الدهر وخرج
من فوره الى راحلته فركبها وتوجه راجعا الى
الحجاز فلما كان في الليل ذكره هشام وهو في فراشه
فقال رجل من قريش قال حكمة ووفد الي فجبهته
ورددته عن حاجته وهو مع ذلك شاعر لا امن
ما يقول فلما اصبح سيل عنه فاخبر بانصرافه فقال

لا جرم ليعلمن ان الرزق سياتيه ثم دعا مولى له
واعطاه الفي دينار وقال الحق بهذه ابن اذينه واعطه
اياها قال فلم ادركه الا وقد دخل بيته فقرعت
الباب عليه فخرج الي فاعطيته المال فقال ابلغ
امير المومنين قولي سعيت فاكديت ورجعت الى
بيتي فاتاني الرزق ويضارع هذه الحكاية ما
حكي عن هدبة بن خالد رحمه الله تعالى قال حضرت
مايدة المامون فلما رفعت المايدة جعلت التقط ما في
الارض فنظر الي المامون فقال اما شبعت يا شيخ
فقلت بلى يا امير المومنين ولكن حدثني حماد بن سلمة
عن ثابت بن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من اكل ما تحت مايدته امن من الفقر
فنظر المامون الى خادم واقف بين يديه فاشار اليه
فما شعرت ان جاني ومعه منديل فيه الف دينار
فناولني فقلت يا امير المومنين وهذا من ذلك انتهى

ومن لطايف ما جبيت من ثمرات الاوراق ان رجلا
من الحذاق كان يكتب كتابا والى جانبه اخرفا ننهى
فى كتابه الى اسم عمرو فكتبه بغير واو فقال يا مولانا
زدها واوا للفرق بينها وبين عُمر فقال له والله لقد
تفضل مولانا بزيادة الواو يعنى انه مفصول قلت
وبعضهُم يرى ان الواو تزاد بعد لا النافية فى
الجواب اذا قيل هل فعلت كذا وكذا فيقول لا وعافاك
الله ∴ قال ابو الفرج بن الجوزى روى عن عمر بن
الخطاب رضى الله عنه انه قال لرجل عرس هل كان
كذا وكذا فقال لا اطال الله بقاك فقال الامام
عمر رضى الله عنه قد علمتم فلم تتعلموا هلا قلت
لا وعافاك الله وقيل عن الصاحب بن عباد انه
قال هذه الواو هنا احسن من واوات الاصداغ
فى وجنات الملاح انتهى قلتُ وهذه الواو اعنى
واو عمرو نظم الشعرا فيها كثيرا منهُم ابو نواس

قال يهجوا اشجع السلمى ∴ شعر
قل لمن يدعى سليمى سفاها ∘ لست منها ولا قلامة ظفر ∘
انما انت من سليمى كواو ∘ الحقت فى الهجا ظلما بعمرو ∘
وقال ابو سعيد الرسيمى واجاد
افى الحق ان يعطى ثلثون شاعرا ∘ ويحرم مادون الرضى شاعر مثلى
كما سامحوا عمرا بواو مزيدة ∘ وضويق بسم الله فى الف الوصل
ومن لطايف المجتبى ما نقل عن السلطان صلاح الدين
يوسف بن ايوب قيل انه قال يوما للقاضى الفاضل
لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف
امض اليه وتفقد احواله فلما دخل الفاضل الى دار
العماد وجد اشيا انكرها فى نفسه مثل اثار مجالس
انس ورايحة خمر والات طرب فانشد فى الحال
ما ناصحتك خبايا الود من رجل ∘ ما لم ينلك بمكروه من العذل
محبتى فيك تابى عن مسامحتى ∘ بان اراك على شى من الزلل
فلما قام من عنده خرج العماد عن كل ما كان فيه واقلع

ولم يعد الى شى من ذلك البته ومن اللطايف ما نقل
عن الملك الظاهر رحمه الله تعالى قبل لما استعرض
الامير بدر الدين بيلبك الخازندار ليشتريه
قال له التاجر يا مولانا السلطان وهو يحسن الكتابه
فاحضر له دواة فكتب ∴ شعر

لولا الضرورات ما فارقتكم ابدا ٭ ولا انتقلت من ناس الى ناس

فاعجبه الاستشهاد بهذا البيت ورغبه ذلك في
مشتراه ويضارع هذا ما نقل عن الصاحب كمال الدين
ابن العديم قبل ان انسانا رفع قصة الى الصاحب
المشار اليه فاعجبه خطها فامسكها وقال لرافعها
هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت
بعض مماليكه فكتبها لى فقال على به فلما حضر وجده
مملوكه فقال هذا خطك قال نعم قال فهذه طريقتى
من هو الذى اظهرك عليها فقال يا مولانا كنت اذا
وقعت لاحد على قصة اخذتها منه وسألته المهلة
حتى اكتب عليها سطرين او ثلاثه فامر ان يكتب بين
يديه ليراه فكتب ∴ شعر

وما تنفع الاداب والعلم والحجى ٭ وصاحبها عند الكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد اكثر من الخط
ورفع منزلته بعد ذلك واذكرني اتفاق التورية
في الكمال هنا ما حكى عن القاضي فخر الدين بن لقمان
والقاضي تاج الدين احمد بن الاثير كانا صحبة السلطان
على تل العجول ولفخر الدين مملوك اسمه الطنبا فاتفق
انه طلب مملوكه المذكور وناداه يا الطنبا فقال
له نعم ولم ياته وكانت ليلة ممطرة مظلمة فاخرج
فخر الدين بن لقمان راسه من الخيمة فقال تقول نعم
ولم ارك فقال القاضي تاج الدين ∴ شعر

في ليلة من جمادى ذات اندية ٭ لا يبصر الكلب في ارجايها الطنبا

ومن اتفاق التورية ايضا ما كتبه الشيخ شرف الدين
عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماه ملغزا

في باب الى والده * شعر *

ماواقف في المخرج * يذهب طوراو يجي *

لستاخاف شره * مالم يكن بسر يجي *

فكتب اليه والده في الجواب ذهاب واياب وخوف
وشر هذا اباب خصومه والسلام * قيل
ان الصاحب جمال الدين بن مطروح كتب الى بعض
الروسا رقعه على يد صديق له يشفع فيها عنده فكتب
ذلك الرييس هذا الامر على فيه مشقه فكتب ابن
مطروح في جوابه لولا المشقة فلما فهم الاشارة
الى قول المتنبي * شعر *

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال

وقضى الشغل على الفور انتهى * قيل ان يوسف
الصديق عليه السلام كتب على باب السجن لما خرج
منه هذا قبر الاحيا وشماتة الاعدا وتجربة
الاصدقاء * وقال الشاعر

دعوى الاخا على الرخا كثيرة * بل في الشدايد تعرف الاخوان *

ولله در يزيد بن المهلب من ذي مروة وسخا وتصديق
امل فانه كان في سجن الحجاج يعذب فدخل عليه يزيد
ابن الحكم وقد حل عليه نجم وكانت نجومه في كل اسبوع
ستة عشر الف درهم * فقال شعر

اصبح في قيدك السماحة والجود * وفضل الصلاح والحسب *

لا بطر ان تتابعت نعم * وصابر في البلا محتسب *

برزت سبق الجياد في مهل * وقصرت دون سعيك العرب *

فالتفت يزيد رحمة الله عليه الى مولى له وقال اعطه
نجم هذا الاسبوع ونصبر على العذاب الى السبت
الاخر حكي الاصمعي قال حضرت مجلس الرشيد
وفيه مسلم بن الوليد اذ دخل ابو نواس فقال له
الرشيد ما احدثت بعدنا يا ابو نواس فقال
يا امير المومنين ولو في الخمر فقال قاتلك الله ولو
في الخمر * فانشد * شعر

يا شقيق النفس من حكم ∴ نمت عن ليلى ولم انم
حتى انتهى الى اخرها ∴ قال شعر
فتمشت في مفاصلهم ∴ كتمشي البرء في السقم ∴
فقال احسنت والله يا غلام اعطه عشرة الاف درهم
وعشر خلع فاخذها وخرج . قال الاصمعي فلما خرجنا
من عنده قال لي مسلم بن الوليد الم تر الى الحسن بن هاني
كيف سرق شعري واخذ به مالا وخلعا فقلت له
واي معنى سرق لك قال قوله فتمشت في مفاصلهم
البيت فقلت واي شي قلت ∴ فقال شعر
كان قلبي وشاحها اذا خطرت . وقلبها قلبها في الصمت والخرس
تجري محبتها في قلب وامقها . جري السلامة في اعطاء منتكس
ترجمة المعتزلة المعتزلة طائفة من المسلمين
يرون ان افعال الخير من الله عز وجل وافعال الشر
من الانسان وان القران مخلوق محدث ليس بقديم
وان الله تعالى غير مرئي يوم القيمة وان المومن اذا

ارتكب الذنب مثل الزنا وشرب الخمر كان في منزلة
بين منزلتين يعنون بذلك انه ليس بمومن ولا
كافر وان اعجاز القران في الصرفة لا انه في نفسه
معجز ولو لم يصرف الله العرب عن معارضته لاتوا
بما يعارضه وان من دخل النار لم يخرج منها وانما
سموا معتزله لان واصل بن عطا كان يجلس الى
الحسن البصري رضي الله عنه فلما ظهر الخلاف وقالت
الخوارج بكفر مرتكبي الكباير وقالت الجماعة بانهم
مومنون وان فسقوا بالكباير خرج واصل بن عطا
عن الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مومن
ولا كافر بل هو في منزلة بين منزلتين فطرده الحسن
رضي الله عنه عن مجلسه فاعتزل عنه فقيل لاتباعه
معتزلة ولم يزل مذهب الاعتزال ينموا الى ايام
الرشيد فظهر بشر المريسي واحضر الشافعي مكبلا
في الحديد وسأله بشر والسوال لما تقول يا قرشي

فی القران فقالوا بای تعنوا فاک نعم قال مخلوق فخلی
عنه فاحس الشافعی رضی الله عنه بالشروان
الفتنة تشتد فی اظهار القول بخلق القران فهرب
من بغداد الی مصر ولم یقل الرشید بخلق القران
فکان الامر بین اخذ وترك الی ان ولی المامون
فقال بخلق القران وبقی یقدم رجلا ویوخر اخری
فی دعوة الناس الی ذلک الی ان قوی عزمه فی السنة
التی مات فیها وطلب الامام احمد بن حنبل رضی الله عنه
فاخبر فی الطریق انه توفی فبقی الامام محبوسا بالرقة
حتی بویع المعتصم فاحضر الی بغداد وعقد له
مجلس المناظرة وفیه عبد الرحمن بن اسحق والقاضی
احمد بن ابی داوود وغیرهما فناظروه ثلثة ایام صوابه دؤاد
فلم ینقطع فی بحث وسفه اقوال الجمیع فامر به فضرب
بالسیاط الی ان غشی علیه ورمی علی باریة وهو مغشی
علیه ثم حمل وصار الی منزله ولم یقل بخلق القران ومکث

فی السجن ثمانیة وعشرین شهرا ولم یزل یحضر الجمعة ویفتی
ویحدث حتی مات المعتصم وولی الواثق فاظهر
ما اظهر من المحنة وقال للامام احمد لا تجمعن الیک
احدا ولا تساکنی فی بلد انا فیه فاختفی الامام احمد
لا یخرج الی الصلاة ولا غیرها حتی مات الواثق وولی
المتوکل فاحضره واکرمه واطلق له مالا فلم یقبله
وفرقه واجری علی اهله وولده فی کل شهر اربعة
الاف درهم ولم تزل جاریة الی ان مات المتوکل
وفی ایامه ظهرت السنة وکتب الی الافاق برفع
ما ترفع من المحنة واظهار السنة وتکلم فی مجلسه
بالسنة ولم یزالوا اعنی المعتزلة فی قوة الی ایام
المتوکل ولم یکن فی هذه الامة الاسلامیة اهل
بدعة اکثر منهم ومن مشاهیرهم علی ماذکروا
من الفضلا الاعیان الجاحظ وواصل بن عطا
والقاضی عبد الجبار والرمانی النحوی وابو علی الفارسی

واقضى القضاة الماوردى الشافعى وهذا غريب
ومن المعتزلة الصاحب بن عباد والزمخشرى
صاحب الكشاف والفرا النحوى والسيرافى والله اعلم
ومما جنيته من ثمرات الاوراق ان الرشيد
سال جعفر عن جواريه فقال يا امير المومنين كنت الليلة
الماضية مضطجعا وعندى جاريتان وهما يكبسانى
فتناومت عنهما لانظر صنعهما واحداهما مكية
والاخرى مدنية فمدت المدنية يدها الى ذلك
الشى فلعبت به فانتصب قايما فوثبت المكية وقعدت
عليه فقالت المدنية انا احق به لانى حدثت عن
نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
من احيا ارضا ميتة فهى له فقالت المكية وانا حدثت
عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال ليس الصيد لمن اثاره انما
الصيد لمن اقتنصه فضحك الرشيد حتى استلقى على

قفاه وقال هل من سلوة عنهما فقال جعفر هما ومولاهما
بحكم امير المومنين وحملهما اليه ومن ذلك ما حكى
ان بعض المطربين غنى فى جماعة عند بعض الامرا
اذا انت اوتيت السعادة لم تبل ولو نظرت شزرا اليك القبايل
وان فوق الاعدا نحوك اسهما نثنها على اعقابهن المفاصل
فاطرب الامير الى الغاية ولما زاد طربه قال لبعض
مماليكه هات خلعة لهذا المغنى ولم يفهم المغنى ما
يقوله الامير فقام لقلة حظه الى بيت الخلا وفى
غيبته جا المملوك بالخلعة فوجد المغنى غايبا
وقد حصل فى المجلس عربدة وامر الامير باخراج
الجميع فقيل للمغنى بعد ما خرج ان الامير امر لك
بخلعة فلما كان بعد ايام حضر المغنى عند ذلك الامير وغنى
اذا انت اعطيت السعادة لم تبل ولو نظرت شزرا اليك القبايل
بفتح التا وضم البا فانكروا عليه ذلك فقال
نعم لانى لما بلت فى ذلك اليوم فاتتنى السعادة من

الامير فاوضحوا له القصة فضحك واعجبه ذلك
وامر له بخلعة انتهى ومن المنقول ان عبدالله بن المعتز
في خلفاء بني العباس مع كماله وغزارة فضله كان
لم يزل منغصًا في مدة حياته بويع بالخلافة وظن
ان الحظ قد تنبه له فلم يتم الامر له الا يوما واحدا
ثم قبض عليه وقتل رحمه الله تعالى على انه ما وافق
على ولاية الامر حتى اشترط عليهم ان لا يسفكوا
في واقعته دمًا ومحله من الادب لا يخفى وشمعة
فضله لا تقط ولا تطفى ∴ وفيه قيل شعر

لله درك من ملك بمضيعة ∘ ناهيك في العلم والعلياء والحسب
ما فيه لولا ولا ليت فينقصه ∘ وانما ادركته حرفة الادب

وقال ابن الساعاتي

عفت القريض فلا اسمو له ابدا ∘ حتى لقد عفت ان ارويه في الكتب
هجرت نظمي له لا من مهانته ∘ لكنها خيفة من حرفة الادب

قلت ما برح الزمان مولعا بخمول اهل الادب

وخمود نارهم ∴ كان الملك الافضل نور الدين علي
ابن صلاح الدين يوسف من كبار اهل الادب وكان
حسن السيرة متدينا قل ان عاقب على ذنب وله
المناقب الجميلة وكان اكبر اخوته ومع كمال صفاته
وادواته التي سارت بها الركبان ما صفى له الدهر
ولا هناه بالملك بعد ابيه السلطان صلاح الدين
رحمه الله تعالى لبث مدة يسيرة بدمشق ثم حضر
اليه عمه ابو بكر العادل واخوه الملك العزيز عثمان
فاخرجاه من ملكه بدمشق الى صرخد ثم جهزاه
الى شميساط وفي ذلك كتب الى الامام الناصر ببغداد

مولاي ان ابا بكر وصاحبه ∘ عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي ∘ من الاواخر ما لاقى من الاول

وكتب الناصر الجواب ولكن الفرق مثل الصبح وهو

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا ∘ بالصدق يخبر ان اصلك طاهر
غصبوا عليا حقه اذ لم يكن ∘ بعد النبي له بيثرب ناصر

فاصبر فان غدا عليه حسابهم • وابشر فناصرك الامام
ولم ينصره الناصر بل توفي فجاة بشميساط رحمه
الله تعالى ومن شعره على ما ذكره ابن واصل في مفرج الكروب
يا من يسود شعره بخضابه • لعساه من اهل الشبيبة يحصل
ها فاختضب بسواد حظي مرة • ولك الامان بانه لا ينصل
قلت ومثله الملك الناصر داود بن الملك
المعظم وكان داود صاحب الكرك المشار اليه
ما برح مع كمال فضله منكدا مشتتا في البلاد
توجه الى بغداد ومعه فخر القضاة بن بصاقة
والشيخ شمس الدين بن الخسروشاهي وقد استصحب
جواهر نفيسة والتجى الى الامام الناصر وطلب
الحضور الى بين يديه ليشاهده في الملا فما قدر
له ذلك ولا وافق الخليفة عليه حتى امتدحه بقصيدته
البائية التي مطلعها وهي شعر
ودان المت بالكثيب ذوائبه • وجنح الدجى وحف تجول غياهبه

تقهقه في تلك الربوع رعوده • وتبكي على تلك الطلول سحائبه
وقال منها حكاية حاله مع الخليفة
ايحسن في شرع المعالي ودينها • وانت الذي تعزى اليه مذاهبه
باني اخوض الدو والدو مقفر • سباريته مغبرة وسباسبه
ويأتيك غيري من بلاد قريبة • له الامن فيها صاحب لا يجانبه
فيلقى دنوا منك لم الق مثله • ويحظى ولا احظى بما انا طالبه
وينظر من لالاء قدسك نظرة • فيرجع والنور الامامي صاحبه
ولو كان يعلوني بنفس ورتبة • وصدق ولاء لست فيه اصاقبه
لكنت اسلي النفس عما ارومه • وكنت اذود العين عما تراقبه
ولكنه مثلي ولو قلت انني • ازيد عليه لم يعب ذاك عائبه
الناصر يشير الى مظفر الدين كوكبوري بن كوجك
فانه قدم الى الديوان وطلب الحضور فاذن له
وبرز له الخليفة وشاهد وجهه ولما وقف الخليفة
على هذه القصيدة اعجبته غاية الاعجاب وهي
من النظم البديع في غاية لا تدرك فاستدعاه

بعد شطر من الليل واجتمع به خلوة وما نزل له ما
ظفر به مظفر الدين المذكور وسبب ذلك ان الخليفة
راعى عمه المذكور والذى ثبت عند اهل التاريخ
ان عمه العادل ما فعل معه ما فعل الا حسدا له
على كمال ادواته وبلاغة ادابه وقيل انه كتب
خطا منسوبا ازرى بالحدائق المدبّجة انتهى
وحكى صاحب الريحان والريعان قال حضر شاب
ذكى بعض مجالس الادب فقال بعضهم ما تصحيف
نصحت فخنتنى قال تصحيف حسن فاستغرب
اسراعه وكان بالمجلس شاعر من اهل بلنسيه
فافهم الشاب وقال مختبرا له ما تصحيف بلنسيه
فاطرق ساعه ثم قال اربعة اشهر فجعل البلنسى
يقول صدق ظنى انك تدعى وتنتحل ما تقول
والفتى يضحك ثم قال له اشعر انت يا شاعر فقال
له واى نسبة بين اربعة اشهر وبين بلنسيه فقال

له ان لم يكن فى اللفظ فهو فى المعنى ثم قام وهو
يقول ذلك فتنبه بعض الحاضرين ونظر فاذا ا
اربعة اشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسيه
فخجل الشاعر المنازع ومضى الى الشاب معترفا
ومعتذرا انتهى وهذا المعنى فى بلنسيه نظمه
الشيخ بدر الدين الدماميني احجيه فقال
ايا واحد العصر ما بلدة • محاسنها فى الورى تذكر
يجى ما يراد تصحيفها • وحقك اربعة اشهر
ومن غريب ما نقل عن الفقيه اليمنى عمارة الشاعر
انه مرّ بمصلوب • فقال شعر
ومد على صليب الصلب منه • يمينا لا تطول الى الشمال
ونكس راسه لعتاب قلب • دعاه الى الغواية والضلال
فلم يمض ثلثة ايام حتى صلب مع الجماعة بين القصرين
وكان الفقيه نجم الدين عمارة اديبا ماهرا شاعرا
فقيها شافعى المذهب من اهل السنة قدم فى دولة

الفاطميين الى الديار المصريه وصاحبها يومئذ
الفائز بن الظافر ووزيره الصالح بن رزيك فكان
عنده في اكرم محل واعز جانب واتحد به على ما كان
بينهما من الاختلاف في العقيدة ثم رحل الى اليمن
وعاد الى مصر واقام بها الى ان زالت دولة الفاطميين
على يد السلطان صلاح الدين يوسف ورثى اهل
القصر بقصيدته التي اولها شعر

رميت يا دهر كف المجد بالشلل • وجيده بعد حسن الحلي بالعطل •
قدمت مصر فاولتني خلائفها • من المكارم ما اربى على الامل •
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن • تمامها انها جاءت ولم اسل •
يا لائمي في هوى ابناء فاطمة • لك الملامة ان قصرت في عذلي •
بالله زر ساحة القصرين وابك معي • عليهما لا على صفين والجمل •
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة • بنسل آل امير المومنين علي •

وهي طويله في غاية الحسن فلما بلغت السلطان صلاح
الدين تغير عليه وقيل انه استفتي عليه في قوله

من قصيدته الميمية شعر

وكان مبدا هذا الامر من رجل • سعى فاصبح يدعى سيد الامم •

فافتى الفقها بقتله وقالوا ان هذا الكلام راى
الفلاسفة في النبوات وانها بالتكسب وهي احدى
المسائل التي كفروا بها والصحيح انه يجتبي من رسله
من يشاء ولم يكن احد من الانبياء عنده شعور بانه
يكون فيما بعد نبيا والذي يظهر ان هذا مفتعل
على الفقيه عمارة ونظمه بعض اعدائه على لسانه
ودسه في تلك القصيدة وما يبعد ان القاضي
الفاضل رحمه الله تعالى كان له ميل الى هلاكه
لانه لما استشاره السلطان صلاح الدين في ضربه
قال الكلب يسكت ثم ينبح قال فيسجن قال يرجى
له الخلاص قال فيقتل قال الملوك اذا ارادوا
شيئا فعلوه ونهض فامر بصلبه مع الغرماء فلما
امسكوه مروا به على باب الفاضل فلما راه مقبلا

قام ودخل الى بيته واغلق الباب فقال الفقيه عمارة

عبد الرحيم قد اعجب • ان الخلاص من العجب •

نكته ادبيه قال ابن سنا الملك من ابيات •

صلبني وهذا الحسن باق فربما • يعزل بيت الحسن منه ويكنس

فوقف القاضي الفاضل رحمه الله تعالى على هذه

القصيدة وكتب الى ابن سنا الملك من جملة فصل

وما قلت هذه الغاية الا ويعلمني انها البداية

ولا قلت هذا البيت اية القصيدة الا بان ما بعده

وما نريهم من اية افسحر هذا ام انتم لا تبصرون

ولا عيب في هذه المحاسن الا قصورها الافهام

وتقصيرها الانام والا فقد لهج الناس بما تحتها

ودونوا ما دونها والقصيدة فائقة في حسنها

بديعة في فنها ولكن بيت يعزل ويكنس اردت

ان اكنسه من القصيدة فان لفظة الكنس غير

لائقة بمكانها انتهى فاجاب ابن سنا الملك قائلا

وعلم المملوك ما نبه عليه مولانا من امر البيت الذي

اراد ان يكنسه من القصيدة وقد كان المملوك

مشغوفا بهذا البيت مستحليا له متعجبا منه معتقدا

ان قافية بيته اميرة ذلك الشعر وسيدة قوافيه

وما اوقعه في الكنس الا ابن المعتز حيث قال

وقوامي مثل القناة من الخط • وخدي من لحيتي مكنوس

والمولى يعلم ان المملوك لم يزل يجري خلف هذا الرجل

ويتعثر • ويطلب مطالبه فيتعسر عليه ويتعذر

وما مال المملوك الا الى طرق من ميله اليه طبعه

ولا سار الا الى من دل عليه سمعه • ورأى المملوك

ابا عبادة قد قال شعر

ويا عاذلي في عبرة قد سفحتها • لبين واخرى قبلها للتجنب

تحاول مني شيمة غير شيمتي • وتطلب مني مذهبا غير مذهبي

وقال

وما زارني الا ولهت صبابة • اليه والا قلت اهلا ومرحبا

فعلم المملوك ان هذه طريقة لا تسلك • وعقيلة
لا تملك • وغاية لا تدرك • ووجد المملوك ابا تمام
قد قال • سلم على الربع من سلمى بذي سلم ∴
ووجدته ايضا قد قال • خشنت عليه اخت بني خشين
فاشماز من هذا اللفظ طبعه • واقشعر منه فهمه
ونبا عنه ذوقه • وكان سمعه يتجرعه ولا يكاد
يسيغه • ووجد هذا المبدع السيد عبد الله بن المعتز

قد قال ∴

وقفت في الربع اشكوا فقد مشبهه • حتى بكت بدموع اعين الزهر
لو لم اعرها دموع العين تسفحها • لرحمتي لاستعارتها من المطر

وقد قال ∴

قدك غصن لا شك فيه كما • وجهك شمس نهاره جسدك

فوجد المملوك طبعه الى هذا الطبع مايلا • وخاطره
في بعض الاحيان عليه سائلا • فنسج على هذا الاسلوب
وغلب على خاطره مع علمه انه هو المغلوب • وحبك

للشي يعمي ويصم • فقد اعماه حبه واصمه • الى
ان نظم تلك اللفظة في تلك الابيات تقليدا
لابن المعتز قالها وحمل اثقالها وهي تغفر لذلك في
جنب حسناته • واما المملوك فهي عورة ظهرت من
اساءته • فاجابه الفاضل بقوله ولا حجة فيما
احتجه بابن المعتز عن الكشف في بيته فانه غير
معصوم من الغلط • ولا يقلد الا في الصواب فقط
وقد علم ما ذكره ابن رشيق في العمدة من تهافت
طبعه • وتباين صنعه • ومخالفة وضعه • فذكر
من محاسنه ما لا يعلق معه كاتب • ومن بارده
وغثه ما لا تلبس عليه الثياب • وقد تعصب
القاضي السعيد على ابي تمام فنقصه حظه •
والبحتري فاعطاه اكثر من حقه ∴ شعر

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى • فؤادي ولكن للعتاب مواضع

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي لما وقف على هذا

الفصل ان ابن سنا الملك استعمل هذه اللفظة في غير
هذا الموضع ولم يتعظ بنهي الفاضل ولا ارعوى •
بل غلب عليه الهوى • فقال : شعر
وخلصني من يدي عشقه • ظلام على خده حندسه •
كنست فوادي من حبه • ولحيته كانت المكنسه •
قلت ما برح الشيخ صلاح الدين غفر الله له يدوق
تقليدًا كقوله عن ابن سنا الملك لما استعمل في
هذه الصفة المشتملة • على الهجو بشاعة المكنسة
ولم يتعظ بنهي الفاضل ولا ارعوى • ولا ازدجر عما
قبحه بل غلب عليه الهوى • اما نقد الفاضل على
على ابن سنا الملك بوضع المكنسة على وجنة معشوقه
التي لبس العذار بوجنتها شعور فنقد صحيح واما
وضع مكنسة اللحية على وجنة من طلعت لحيته وكان
جائرا على عاشقه وسبكها هنا في قالب الهجو •
فهو نوع من المرقص والمطرب • ولو وقف الفاضل

18 على هذه المكنسة هنا لا عدها الا بيانه انتهى •
ومن لطائف المنقول ما حكي عن الشيخ مجد الدين
ابن دقيق العيد والد قاضي القضاة تقي الدين
تغمدهما الله برحمته ورضوانه وهو ان الشيخ
مجد الدين المشار اليه كان كثير الاحسان الى اصحابه
يسعى لهم على قدر استحقاقهم فيمن يصلح للحكم
فيمن يصلح للعدالة فجاءه بعض طلبته وشكى رقة
الحال وكثرة الضرورة فقال له اكتب قصة
وانا اتحدث مع الولد فكتب ذلك الطالب المملوك
فلان يقبل الارض وينهي انه فقير ومظرور بالظا
القائمة وقليل الحض بالضاد وناولها للشيخ فلما
قراها تبسم وقال يا فقيه سبحان الله ضرك
قائم وحظك ساقط انتهى • ومن لطائف المنقول
عن قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان رحمه
الله تعالى انه كان يهوى بعض اولاد الملوك وله

فيه الاشعار الرائقة يقال ان اول يوم زاره بسط
له الطرحة وقال ما عندي اعز من هذه طاء عليها
ولما فشي امرهما وعلم به اهله منعوه من الركوب فكتب اليه
يا سادتي اني قنعت وحقكم • في حبكم منكم باسر مطلب •
ان لم تجودوا بالوصال تعطفا • ورايتم هجري وفرط تجنبي •
لا تمنعوا عيني القريحة ان ترا • يوم الخميس جمالكم في الموكب •
لو كنت تعلم يا حبيبي ما الذي • القاه من كمد اذا لم تركب •
لرحمتني ورثيت لي من حالة • لولاك لم يك حملها من مذهب
قسما بوجهك وهو بدر طالع • وبليل طرتك التي كالغيهب •
وبقامة لك كالقضيب تركبت • من اخطارها في الحب اصعب مركب •
لو لم اكن في رتبة ارعى لها العهد • القديم صيانة للمنصب •
لهتكت ستري في هواك ولذ لي • خلع العذار ولج فيك مونبي
لكن خشيت بان تقول عواذلي • قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك حرقة قد قاربت • كشف القناع بحق دينك الذي
قال القاضي جمال الدين بن عبد القاهر ال[illegible]

١٩ الذي كان بهواه القاضي شمس الدين بن خلكان رحمه
الله الملك المسعود بن الملك الزاهر وكان قد تيمه
حبه وكنت انام عنده بالعادلية فحدثنا في بعض
الليالي الى ان ذهب الناس فقال لي نم انت ها هنا
والقى علي فروة قرض وقام يدور حول بركة العادلية
ويكرر هذين البيتين الى ان اصبح وهو قايم يدور
حول بركة العادلية • ويقول انا والله هالك
آيس من سلامتي • او ارى القامة التي • قد اقامت قيامتي •
قيل ان قاضي القضاة شمس الدين المشار اليه رحمه
الله تعالى سئل بعض اهل دمشق المحروسه وكان
المسئول من خواص اصحابه عن ترجمته عند اهل دمشق
فاستعفاه من ذلك فالح عليه فقال اما العلم
والفضل فهم مجمعون عليه • واما النسب فيدعون
فيه الادعاء • ويقولون ان مولانا ياكل الحشيش ويحب
المليح • فقال اما النسب والكذب فيه فهذا نوع

من الهذيان ولو اردت ان انتسب الى العباس او الى على بن ابى طالب او الى احد من الصحابة لاجازوا ذلك • واما النسب الى قوم لم يبق منهم بقية واصلهم فرس مجوس فما فيه فايدة • واما الحشيشة فالكل ارتكاب محرم واذا كان ولا بد فكنت اشرب الخمر لانه الذ • واما محبة الغلمان فالى غد اجيبك عن المسئلة انتهى • ومما يناسب لطف قاضى القضاة شمس الدين ما نقلته من روضة الجليس ونزهة الانيس حكى عن سليمان بن محمد المهلبى الصقلى قال كان بافريقية رجل نبيه شاعر وكان يهوى غلاما جميلا من غلمانها فاشتد كلفه به وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه كثيرا فبينا هو ذات ليلة وقد انفرد بنفسه بشرب الخمر وذكر محبوبه تجرى بخاطره ما يفعله به من التجنى فزاد سكره وقام على الفور وقد غلب عليه سكر الغرام وسكر المدام فاخذ قبس نارا وجعله عند باب الغلام • ليحرق عليه داره فلما دارت النار بالباب • بادر الناس لاطفائها واعتقلوه فلما اصبح نهضوا به الى القاضى فاعلموه بفعله فقال له القاضى لاى شى احرقت باب هذا الغلام • فانشد على الفور • شعر

لما تمادى على بعادى • واضرم النار فى فوادى •
ولم اجد من هواه بدا • ولا معينا على السهادى •
حملت نفسى على وقوفى • ببابه وقفة الجوادى •
فطار من بعض نار قلبى • اقل فى الوصف من زناد •
فاحرق الباب دون علمى • ولم يكن ذاك من مرادى •

قال فاستظرف القاضى واقعته واستملح شعره ورق لحكاية حاله وتحمل ما افسده من باب الغلام واطلقه ومما يناسب هذه اللطايف قيل انه دفع الى المامون ان حائكا يعمل سنته كلها لا ينعطل فى عيد ولا جمعة فاذا ظهر الورد طوى عمله وغرد

بصوت عال ∴ شعر

طاب الزمان وجا الورد فاصطبحوا • ما دام للورد ازهار وانوار •

فاذا شرب على الورد مع ندمايه غنى • شعر

اشرب على الورد من حمرا صافية شهرا وعشرا وخمسا بعد عددا

ولا يزال في صبوح وغبوق ما بقيت وردة فاذا انقضى •

الورد عاد الى عمله وغرد بصوت عال • شعر

فان يبقني ربي الى الورد اصطبح • وندمان صدق حاكه و ثبيط

فقال المامون لقد نظر هذا الرجل الى الورد بعين جليلة

فينبغي ان نعينه على هذه المروة فامر ان يدفع له في •

كل سنة عشرة الاف في زمن الورد ومن اللطايف

ما حكي عن مجير الدين ابن الخياط الدمشقي قيل انه كان يهوى

غلاما من اولاد الجند فشرب مجير الدين في بعض الليالي

وسكر فوقع في الطريق فمر الغلام عليه وهو راكب •

فراه في الليل مطروحا على الطريق فوقف عليه بالشمعة

ونزل واقعده ومسح وجهه فسقط من الشمعة نقط

على وجهه ففتح عينيه فراى محبوبه على راسه فاستيقظ

• وانشد يقول ••

يا محرقا بالنار وجه محبه • مهلا فان مدامعي تطفيه •

احرق بها جسدي وكل جوارحي • واحذر على قلبي فانك فيه •

ومن لطايف ما حكاه الاصمعي قال مررت بكناس

يكنس كنيفا وهو يغني • ويقول شعر

اضاعوني واي فتى اضاعوا • ليوم كريهة وسداد ثغر •

فقلت له اما سداد الثغر فلا علم لنا كيف انت فيه

واما سداد الكنيف فمعلوم • قال الاصمعي وكنت

حدث السن فاردت العبث به فاعرض عني

مليا ثم اقبل علي وانشد ∴ شعر

واكرم نفسي انني ان اهنتها • وحقك لم تكرم على احد بعدي •

فقلت له واي كرامة حصلت لها منك وما يكون

من الهوان اكثر مما اهنتها به فقال بلى والله من •

الهوان ما هو اعظم مما انا فيه فقلت له وما هو •

فقال الحاجة اليك والى امثالك قال فانصرفت
عنه وانا اخزى الناس • ذكرت بقول الكناس •
غريم الاصمعي ما يضارع ذلك • شعر
اضاعوني واى فتى اضاعوا • ليوم كريهة وسداد ثغر •
قيل انه كان لابي حنيفة رضي الله عنه جار اسكاف
بالكوفة يعمل نهاره اجمع فاذا اجنه الليل رجع
الى منزله بلحم وسمك فيطبخ اللحم ويشوي السمك
فاذا دب فيه السكر • انشد شعر
اضاعوني واى فتى اضاعوا • ليوم كريهة وسداد ثغر
ولا يزال يشرب ويردد البيت الى ان يغلبه السكر
وينام وكان الامام ابو حنيفة يصلي الليل كله •
ويسمع جلبته وانشاده ففقد صوته بعض ليال •
فسال عنه فقيل اخذه العسس منذ ثلاثة ايام وهو
محبوس فصلى الامام الفجر • وركب بغلته ومشى واستاذن
على الامير فقال ائذنوا له واقبلوا به راكبا حتى يطا

البساط فلما دخل على الامير اجلسه مكانه وقال ما
حاجة الامام فقال لي جار اسكاف اخذه العسس
منذ ثلثة ايام فتامر بتخليته فقال نعم وكل من اخذ
تلك الليلة الى يومنا هذا ثم امر بتخليته وتخليتهم
اجمعين فركب الامام وتبعه جاره الاسكاف
فلما وصل الى داره قال له الامام ابو حنيفة اترانا
اضعناك قال لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا
عن صحبة الجوار ورعايته ولله علي ان لا اشرب
بعدها خمرا فتاب من يومه ولم يعد الى ما كان عليه
انتهى ومما يناسب هذه اللطايف ما ذكره
الحريري في كتابه الموسوم بتوشيح البيان نقل ان
احمد بن المعذل كان يجد باخيه عبد الصمد وجدا
عظيما على تباين طريقهما لان احمد كان صواما قواما
وكان عبد الصمد سكيرا خميرا وكانا يسكنان دارا
واحدة ينزل احمد في غرفة اعلاها وعبد الصمد

في اسفلها فدعى عبد الصمد ذات ليلة جماعة من
ندمائه واخذ في القصف والعزف حتى منعوا احد
الورد ونغصوا عليه التهجد فاطلع عليهم وقال
افامن الذين مكروا السيات ان يخسف الله بهم
الارض فرفع عبد الصمد راسه وقال وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم ذكرت بهذا الاقتباس
الذي خلب القلوب هنا لحسن موقعه اقتباسا
خلب قلوب الناس لعظم موقعه وما ذاك
الا ان الحاكم الفاطمي على ما ذكر لما بنى المسجد الجامع
بالقاهرة المعزية المجاور لباب الفتوح قيل
انه فسد حاله في اخر امره وادعى الالهية وكتب
بسم الحاكم الرحمن الرحيم وجمع الناس الى الايمان
به وبذل لهم نفايس الاموال وكان ذلك في
فصل الصيف والذباب يتراكم على الحاكم والخدام
تدفعه ولا يندفع فقرا في ذلك الوقت بعض القرا

وكان حسن الصوت يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا
له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا
ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيا لا
يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب
ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز
فاضطرب الامة بعظم وقوع هذه الاية الشريفة
في حكاية الحال حتى كان الله تبارك وتعالى انزلها
تكذيبا للحاكم فيما ادعاه وسقط الحاكم من على سريره
خوفا من ان يقتل وولى هاربا واخذ في استجلاب
ذلك الرجل الى ان اطمان اليه فجهزه رسولا الى بعض
الجزاير وامر بغرقه وراى بعد ذلك في المنام
فقيل له ما وجدت فقال ما قصر معي صاحب
السفينة ارسى بي على باب الجنة ومن الاقتباسات
التي وقعت للمتاخرين في احسن الوقايع المتعلقة
بحكاية الحال ما سمعته وشاهدت حكاية حاله

بالجامع الاموى وما ذال الا ان قاضي القضاه علا
ابن ابى البقا الشافعى رحمه الله تعالى كان قد عزل
من وظيفة قضاء القضاة بدمشق المحروسه وما
حل الركاب الشريف الظاهرى بدمشق المحروسه
اعاده الى وظيفته والبسه التشريف من قلعة
دمشق وحضر الى الجامع على العادة ومعه اخوه
قاضى القضاة بدر الدين الشافعى بالديار المصريه
فاستفتح الشيخ معين الدين الضرير المقرى وقرا
قالوا يا ابانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا
ونمير اهلنا ونحفظ اخانا الى اخر الايه فحصل
بالجامع الاموى ترنم صفق النسر بجناحه ٭
وروى المرزبان باسناده ان المجنون خرج مع
اصحاب له ليمتار من وادى القرى فمر بجبلى نعمان
فقالوا ان هذين جبلا نعمان وقد كانت ليلى
تنزلهما قال فاى ريح تهب من نحو ارضها الى هذا

المكان فقالوا الصبا فقال والله لا ابرح حتى تهب
الصبا فاقام فى ناحية من الجبل ومضوا فامتاروا
لهم وله ثم اتوا فحبسهم حتى هبت الصبا ورحل
معهم ٭ وفى ذلك يقول ٭ شعر

ايا جبلا نعمان بالله خليا ٭ نسيم الصبا يخلص الى نسيمها ٭
اجد بردها او تشف منى حرارة ٭ على كبد لم يبق الا صميمها ٭
فان الصبا ريح متى ما تنسمت ٭ على نفس مهموم تجلت همومها ٭

وضمن البيت الاول الشيخ صفى الدين الحلى فى
مليح اسمه نعمان ٭ فقال ٭

اقول وقد عانقت نعمان ليلة ٭ بنور محياه انار اديمها ٭
وقد ارسلت رياه نحوى فشوقى ٭ يروح كرب المستهام شميمها ٭
ايا جبلا نعمان بالله خليا ٭ نسيم الصبا يخلص الى نسيمها ٭

وكان لابن الجوزى رحمه الله تعالى زوجة اسمها
نسيم الصبا فاتفق انه طلقها فحصل له بعد ذلك
ندم وهيام اشرف منه على التلف فحضرت فى

بعض الايام مجلس وعظه فحين راها عرفها فانه
انه جا امراتان وجلستا امامه فحجبتاها عنه
فانشد في الحال ..
ايا جبلي نعمان بالله خليا • نسيم الصبا يخلص الي نسيمها
قلت وعلى ذكر نعمان والكناية عنه فما الطف
ما ذكره الشيخ بدر الدين حسن بن زفر الطبيب
الاربلي في كتابه روضة الجليس ونزهة الانيس
وهو ان بعض الروسا قال اخبرني بعض الاصحاب
قال كنت يوما جالسا عند صديق لي بالموصل
اذ جاه كتاب من بغداد من صديقه له وفيه
تشوق وفيه عتاب بهذا البيت .. شعر
تناسيتم العهد القديم كاننا • على جبلي نعمان لن نتجمعا
فاخذ يستحسن هذا البيت ويهتز له فقلت بالله عليك
اسالك شيا لا تخفيه قال سل قلت هل معشوقتك
صاحبة هذا الكتاب هل كنت نايتها من ورا الدار

فقال اي والله ومن اين علمت ذلك قلت من هذا البيت
لانها ذكرتك فيه بجبلي نعمان وهما كناية عند الظرفاء
من اهل الادب عن جانبي الكفل المليح والمليحة فقال
والله ما ادركت ما ادركت ونقلت من اللطايف
المسبوكة في قالب التوبة ان بعض الكتاب دخل
يسلم على بعض النحاة وكان من اصحابه فوجده قايما
يلوط باحد الغلمان الملاح من طلبته فراه النحوي
ولم يره الغلام فجلس النحوي في مكانه وبقي الغلام
مبهوتا فقال الكاتب للنحوي ما لي ارى هذا الغلام
واقفا فقال النحوي وقع عليه الفعل فانتصب
ومن ذلك قصة ابن عنين مع الملك المعظم
عيسى بن الملك العادل لما كتب اليه في ضعفه •
انظر الي بعين مولى لم يزل • يولي الندا وتلاف قبل تلافي •
انا كالذي احتاج ما تحتاجه • فاغنم ثوابي والجزا الكافي •
فنهض اليه المعظم بنفسه ومعه ثلاثماية دينار

وقال له انت الذى وانا العائد وهذه الصلة

وظرف من قال ۞ شعر

وذى ادب بارع نكته • واوجبت فيه حمدا عنف

فقلت فدينك اعصر عليه • ففيه اللذاذة لو تعرف

فقال اجدت ولكن لحنت • لقولك اعصر بفتح الالف

فقلت لك الويل من احمق • فقال واحمق لا ينصرف

واظرف منه قول الحسين بن الريان • شعر

اتيت حانة خمار وصاحبها • مما جن منقن للنحو ذو لسن

وحوله كل هيفاء منعمة • وكل علق رشيق اهيف حسن

فقال اذ راى عينى قد انصرفت • الى النساء كلام الحاذق ال

• انث وركب وصف واعدل بمعرفة •

• واجمع وزد واسترح من عجمه وزن •

ومثله ما حكى ان بعض الفقراء وقف على باب

نحوى فقرعه فقال النحوى من بالباب فقال سائل

فقال ينصرف فقال اسمى احمد فقال النحوى لخادمه

اعطى سيبويه كسره ومثله قول ابن عنين •

شكى ابن المويد من عزله • وذم الزمان وابدى السفه •

فقلت له لا تذم الزمان • فتظلم ايامه المنصفه •

ولا تعجبن اذا ما صرفت • فلا عدل فيك ولا معرفه •

الطف منه قول القائل ۞ شعر

ورقيع اراد ان يعرف النحو • بزى العيار لا المستفتى •

قال لى لست تعرف النحو مثلى • قلت سلنى عنه اجب فى الوقت •

قال وما المبتدى وما الخبر المجرور واوجز فقلت ذقنك فى استى •

واحشم منه وابدع قول الشيخ زين الدين بن الوردى

• وشادن يسئلنى • ما المبتدا والخبر •

• مثلهما لى مسرعا • فقلت انت القمر •

ومن النكت المسبوكة فى قوالب النورية ايضا

قيل ان الشيخ شهاب الدين القوصى حضر

عند الملك الاشرف وقد دخل اليه سعد الدين

الحكيم فقال يا مولانا السلطان اذا كان زين به بك

فهو سعد الدين وعلى السماط سعد بلع وفي الجباء عن
الضيوف سعد الاخبيه وعند مرضى المسلمين
سعد الذابح قال فضحك الملك الاشرف واستحسن
اتفاقة البديعي وابدع منه في هذا الباب •
ما نقل عن الشيخ نظام الدين قيس قيل انه لقي الامير
عز الدين عبد العزيز بن منصور فسئله الصاحب
عن حاله ∴ فقال ∴ شعر
حال مثلي علم ابن منصور بها • جاء الزمان الي منها تايب
قيل ان نظام الدين احق من ابي الطيب بهذا البيت
ومن التنكيت بالتورية ايضا ان بعض الماجنات
ارادت السفر فلقيها بعض المجان فقال لها خذي
معكي هذا الكتاب واشار الى ذكره فقالت له على الفور
ان لم القا مالك اعطيه لاختك ومثل ذلك •
ان الشيخ بدر الدين بن الصاحب لقي شخصا ومعه
مليحان فقال ما اسمك فقال عبد الواحد فقال

اخرج منهما فانا عبد الاثنين ومثله ان ابن تقيلية
المغني مرض واشرف على الموت فجاء اليه ابن الصاحب
يعوده فقال له كيف حال التقلية فقال ما اخوفني
ان تصير مدفونة ومثله ان بعض المجان راى
امراة حاملة سرموجة فقال ستي زوجك جندي
حملك تركاشه فقالت له رح لا ادميك منه بفرده
ومثله ان بعضهم راى امراة حاملة فردة سقمان
تخيطه فقال لها اعتقي هذا الغراب فقالت له
رح لا اسيبه ينقرك ومثله ان الشيخ بدر الدين
المذكور اولا حضر الى المجلس قاضي القضاة ناصر الدين
التنسي المالكي فذكروا محاسن القاضي محب الدين
ناظر الجيش وحسن اخلاقه ثم ذكروا محاسن الشعر
فانشد قاضي القضاة رحمة الله عليه • شعر
فكم اب قد علا بابن ذوي شرف • كما علت برسول الله عدنان •
فكل من الجماعة اثنى على هذا البيت فقال الشيخ

بدر الدين بن الصاحب والقاضي محب الدين يحب
هذا البيت فطربوا له ومما وقع له بذلك المجلس
انه لما قدم المشروب على العادة كان قد تولى السقيا
مملوك له اسمه بكتمر فلما شرب الشيخ بدر الدين
قال له قاضي القضاة ما تقول يا شيخ فقال رايت
ملك العلماء وبكتمر الساقي ومثله ان الصاحب
ابن شكر اراد قارئا يقرا بالمدرسة التي انشاها
بالقاهرة فاختاروا له رجلين احدهما اسمه زيادة
والاخر مرتضى فوقع في ظهر القصة مرتضى زياده
وزياده مرتضى ومثله ان ابا الحسين الجزار جا
الى باب الصاحب زين الدين بن الزبير فاذن
للناس في الدخول ولم يوذن فكتب في ورقة بالباب
الناس كلهم كالاير قد دخلوا والعبد مثل الخصي ملقى على
فلما قراها ابن الزبير قال لحاجبه اخرج الى الباب
وقل يا خصي ادخل فدخل ابو الحسين وهو يقول

هذا دليل على السعة ومن التنكيت الحشم بالتورية
ان الشيخ صلاح الدين الصفدي قال اخبرني الشيخ
فتح الدين بن سيد الناس بالقاهرة قال قلت للشيخ
تقي الدين بن دقيق العيد ان بهاء الدين بن النحاس يرجح
ابا تمام على المتنبي فما رايك انت فسكت فقلت
ثانيا فقال كنت كذا في الاول قال الشيخ صلاح الدين
ولما حكيت ذلك للشيخ جمال الدين بن نباتة قال
انا على راي ابن دقيق العيد قال الشيخ صلاح الدين
وممن رايته يعظم ابا تمام شيخنا اثير الدين ويرجحه
على المتنبي فعذلناه في ذلك فقال انا ما اسمع عذلا
في حبيب انتهى ونقلت من خط الصاحب فخر الدين
ابن مكانس رحمه الله تعالى قال سافرت سنة احدى
وستين وسبعمايه مع الصاحب فخر الدين بن قروينه
الى دمشق المحروسه وقد ولي نظر مملكتها والذي
رحمه الله استيفاها وكان له دوادار يسمى صبيح

وهو من عنقا جده الوزير امين الدين بن الغنام وكا
لطيفا كثير النوادر فاتفق ان جمال الدين بن الرهاوى
موقع دست الوزارة ركب يوما فتقنطر به الفرس
وداس على راس احليله فحمل الى داره واقام اياما
الى ان عوفى وحضر مجلس الوزارة وهو غاص بالناس
فقال له الصاحب فخر الدين ما سبب تاخيرك
فقال تقنطرنى الفرس وداس راس احليلى فكدت
اموت والان فقد لطف الله تبارك وتعالى و
البرء والشفا فقال له صبيح الحمد لله على سلامة
الخصى فانقلب المجلس ضحكا وخجل الرهاوى وانصرف
ومثله ان بعض الروسا كان له خادم وعبد
فدخل يوما فوجد العبد فوق الخادم فضربه وخرج
فراى بعض اصدقائه فسئله عن غيظه فقال
هذا العبد النحس فعل بالخويدم الصغير فقال
له بل مولانا السيد الكبير فخجل منه وابرزها

فى قالب المجون **وانشد** بن الجوزى فى بعض مجالس وعظه
اصبحت الطف من مر النسيم على • زهر الرياض يكاد الوهم يولمنى •
من كل معنى لطيف اجتلى قدحا • وكل ناطقة فى الكون تطربنى •
فقام اليه انسان فقال يا سيدى الشيخ فان كان
الناطق حمارا فقال له اقول يا حمار اسكت **يعجبنى**
قول برهان الدين القيراطى • **شعر**
صاح هذى قباب طيبة لاحت • وفوادى على اللقاء حريص •
وتبدت نخيلها للمطايا • فعيون المطى للنخل خوص •
ويطربنى ما حكاه ابو الفوارس بن اسرائيل الدمشقى
قال كنت عند السلطان صلاح الدين يوسف
ابن ايوب فحضر رسول صاحب المدينة على ساكنها
افضل الصلاة والسلام ومعه قود وهدايا فلما
جلس اخرج من كمه مروحة بيضا عليها سطران
بالسعف الاحمر وقال الشريف يخدم مولانا السلطان
ويقول هذه المروحة ما راى مولانا السلطان •

ولا احد من بني ايوب مثلها فاستشاط السلطان
صلاح الدين غضبًا فقال الرسول يا مولانا السلطان
لا تعجل بالغضب قبل تاملها وكان صلاح الدين ملكا
حليمًا فتاملها فاذا عليها مكتوب ٭ شعر
انا من نخلة تجاور قبرًا ٭ ساد فيه سائر الناس طرًّا
شملتني سعادة القبر حتى ٭ صرت في راحة ابن ايوب اقرا
واذا هي من خوص النخل الذي في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقبلها السلطان صلاح الدين
ووضعها على راسه وقال لرسول صاحب المدينة
النبوية صدقت فيما قلت من تعظيم هذه المروحة
واحسن ما سمع فيها قول عرقلة ٭ شعر
ومحبوبة في القيظ لم تخل من يد ٭ وفي القر تسلوها اكف الحبائب
اذا ما الهوى المقصور هيج عاشقًا ٭ اتت بالهوى الممدود من كل جانب
٭ وقال غيره واجاد ٭ شعر
ومروحة اهدت الى النفس روحها ٭ لدى القيظ مثبوتا باهد [illegible]

روينا عن الريح الشمال حديثها ٭ على ضعفه مستخرجا من صحيحها
نقل الحافظ اليغموري ان ابا نصر المنازي واسمه
احمد بن يوسف دخل على ابي العلا المعري في جماعة
من اهل الادب فانشد كل واحد من شعره ما تيسر
٭ فانشد المنازي ٭ شعر
وقانا لفحة الرمضاء واد ٭ وقاه مضاعف النبت العميم
نزلنا دوحة فحنا علينا ٭ حنو الوالدات على الفطيم
وارشفنا على ظماء زلالا ٭ الذ من المدامة للنديم
تصد الشمس انا واجهتنا ٭ فيحجبها وياذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى ٭ فتلمس جانب العقد النظيم
فقال ابو العلا انت اشعر من بالشام ثم رحل ابو العلا
الى بغداد فدخل المنازي عليه في جماعة من اهل
الادب ببغداد وابو العلا لا يعرف منهم احدا فانشد
كل واحد ما حضره من شعره حتى جات نوبة المنازي فانشد
لقد عرض الحمام لنا بسجع ٭ اذا اصغى له ركب تلاحى ٭

شجى قلب الخلي فقيل غنى • وبرح بالشجى فقيل ناحا
وكم للشوق في احشاء صب • اذا اندملت اجدّ لها جراحا
ضعيف الصبر عنك وان تقاوى • وسكران الفؤاد وان تصاحا
كذاك بنو الهوى سكرى صحاة • كاحداق المهى مرضا صحاحا
فقال ابو العلا ومن بالعراق عطفا على قوله ومن
بالشام انتهى • نادرة مشى البيدق اليزيدي مع
شاب موسوم بالجمال فقال له شمس الدين المنجم
الشاعر اراك يا بيدق تفرزن حول هذه النفس
فقال له واذا كان فقال اخشى عليك من ذلك الرخ
لا يقطعك من الحاشية ويرميك عن الفرس ويقطع
عليك الرقعة ولو كان في كفك الفيل ومثله
في الظرف ان بعض الاجناد كان كثيرا اللعب بالشطرنج
وكان الجندي خليعا ظريفا فاعطاه الامير في
بعض الايام فرسا وقال لا تفرط فيها فقال نعم
وبعد ذلك التقاه الامير وهو لابس جوخه فقال

له ويلك اين الفرس فقال يا خوند ضربني الشتا شامات
سترت بالفرس • ويعجبني قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب
تامل ترى الشطرنج كالدهر دوله • نهارا وليلا ثم بوسا وانعما
محركها باق وتفنى جميعها • وبعد الفنا تحيى وتبعث اعظما
قلت وهذا يشبه قول القاضي الفاضل
وقد اخرج له السلطان صلاح الدين بن ايوب من
يعاني الخيال اعني خيال الظل ليفرجه عليه فقام
الفاضل عند الشروع في عمله فقال له الناصر ان
كان حراما فما نحضر وكان حديث العهد بخدمته
قبل ان يلي السلطنة فما اراد ان يكدّر عليه فقعد
الى اخره فلما انقضى ذلك قال له الملك الناصر كيف
رايت ذلك قال رايت موعظة عظيمة رايت
دولا تمضي ودولا تاتي ولما طوي الازار اذا
المحرك واحد فاخرج ببلاغته هذا الجد في هذا
الهزل انتهى وللشيخ بدر الدين بن الصاحب مضمنا في الشطرنج

أميل للشطرنج أهل النهى • واسلوه من ناقل الباطل •
وكم رمت تهذيب لعابها • وتأبى الطباع على الناقل •
ويعجبني قول الشيخ عز الدين الموصلي رحمة الله عليه
جاهل شطرنج ينادي وقد • أمات نفس اللعب من عكسه •
ما تفعل الأعداء في جاهل • ما يفعل الجاهل في نفسه •
وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمة الله عليه
أفديه لاعب شطرنج قد اجتمعت في شكله من معاني الحسن أشتات
عيناه منصوبة للقلب غالبة والخد فيه لقتل النفس شامات
نادرة لطيفة حكي أن السراج الوراق جهز غلامه
يوما ليبتاع له زيتا طيبا يأكل به لفتا فأحضره وقلبه
على اللفت فوجده زيتا حارا فأنكر على الغلام ذلك
وأخذه وجاء إلى البياع وقال له لم تفعل هذا مع مثلي
فقال له والله يا سيدي ما لي ذنب لأنه قال أعطني
زيتا للسراج انتهى **ومثله** ما حكاه الصاحب •
فخر الدين بن مكانس عن صاحبه سراج الدين القوصي

أنه كان حصل له طلوع في جسده فتردد إليه المزين
وصنع له فتائل على العادة فقلت له يوما كيف الحال
يا سراج الدين فقال كيف حال سراج فيه سبع فتائل
ورأيت في ديوانه يداعب سراج الدين المذكور بقوله
يا ذا السراج اشتري أيري فأنت به • أولى وذلك للأمر الذي وجبا •
سكندري وندعى بالسراج وذا • مثل المنار إذا ما قاموا انتصبا •
نادرة لطيفة اجتمع محدث ونصراني في سفينة
فصب النصراني من زكرة كانت معه في مشربة
وشرب وصب وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر
ولا مبالاة فقال النصراني جعلت فداك هذا
خمر فقال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامي
من خمار يهودي وحلف أنها خمر عتيق فشربها بالعجلة
وقال للنصراني أنت أحمق نحن أصحاب الحديث نروي
عن الصحابة والتابعين أفنصدق نصرانيا عن
غلامه عن يهودي والله ما شربتها إلا لضعف الإسناد

نادرة نظر طفيلي الى قوم ذاهبين فلم يشك
انهم ذاهبون الى وليمة فقام وتبعهم فاذاهم شعرا
قد قصدوا دار السلطان بمدايح لهم فلما انشد
كل واحد منهم شعره واخذ جايزته لم يبق الا
الطفيلي وهو جالس ساكت فقال له انشد شعرك
قال لست بشاعر قيل فمن انت قال من الغاوين
الذين قال الله تبارك وتعالى في حقهم والشعرا
يتبعهم الغاوون فضحك السلطان وامر له بجايزة
الشعرا حكى الهيثم بن عدي قال ماشيت الامام
ابا حنيفة رضي الله عنه في نفر من اصحابه الى
عيادة مريض من اهل الكوفة وكان المريض
مبخلا وتواصينا على ان نعرض بالغدا فلما دخلنا
وقضينا حق العيادة قال احدنا اتنا غدانا لقد
لقينا من سفرنا هذا نصبا قال فتمطى المريض وقال
ليس على الضعفا ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون

ما ينفقون حرج فغمز ابو حنيفة اصحابه وقال قوموا
فما لكم هنا فرج ومن غرايب المنقول ان يحيى بن
اسحق كان طبيبا حاذقا صايبا نعابيره وكان في صدر
دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله واستوزره نقل
عنه من حذقه انه اتى اليه بدوي على حمار وهو
يصيح على باب داره ادركوني وكلموا الوزير بخبري
فلما دخل عليه قال ما بالك قال ورم في احليلي
منعني النوم منذ ايام وانا في الموت فقال له اكشف
عنه فاذا هو وارم فقال لرجل جا معه احضر لي
حجرا املس فطلبه فوجده فقال له ضع عليه
الاحليل فلما تمكن احليل الرجل على الحجر جمع الوزير
يده وضرب الاحليل ضربة غشي على الرجل منها
ثم اندفع الصديد يجري فلما انقطع جريان الصديد
فتح الرجل عينيه ثم بال في اثر ذلك فقال له اذهب
فقد برئت علتك وانت رجل عابث واقعت بهيمة

في دبرها فصادفت شعيرة في علفها لحجت في عين
الاحليل فورمها وقد خرجت في الصديد
فقال له الرجل قد فعلت ذلك وهذا مما يدل على
الحذق المفرط **ومثله** ان ابن جميع الاسرائيلي
كان من الاطباء المشهورين والعلماء المذكورين
خدم سلطان مصر صلاح الدين يوسف بن ايوب
وحظي في ايامه وكان رفيع المنزلة نافذ الامر
ومما نقل عنه من حذقه انه كان جالسا في دكانه
وقد مرت عليه جنازة فلما نظر اليها صاح يا اهل
الميت ان صاحبكم لم يمت ولا يحل ان تدفنوه
حيا قال بعضهم لبعض هذا الذي يقوله ما
يضرنا ويتعين ان نمتحنه فان كان حيا فهو المراد
وان لم يكن حيا فما يتغير علينا شي فاستدعوه اليهم
وقالوا بين لنا ما قلت فامرهم بالعود الى البيت
وان ينزعوا اكفانه فلما فرغوا من ذلك ادخله الحمام

وسكب عليه الماء الحار واحمى بدنه ونطله فظهر
فيه ادنى حس وتحرك حركة خفيفة فقال ابشروا
بعافيته ثم تمم علاجه الى ان افاق وصلح فكان ذلك
مبدا اشتهاره بشدة الحذق والعلم ثم انه سئل
بعد ذلك من اين علمت ان في ذلك الميت بقية روح
وهو في الاكفان محمول فقال نظرت الى قدميه
فوجدتهما قائمتين واقدام الموتى منبسطة فحدست
انه حي وكان حدسي صائبا **نادرة لطيفة**
قيل ان المنصور بن ابي عامر الاندلسي كان اذا قصد
غزاة عقد لواه بجامع قرطبه ولم يسر الى الغزاة
الا من الجامع فاتفق انه في بعض حركاته للغزاة
توجه الى الجامع لعقد اللواء واجتمع عنده القضاه
والعلماء وارباب الدولة فرفع حامل اللواء اللواء
فصادف ثريا من قناديل الجامع فانكسرت على اللوا
وتبدد عليها الزيت فتطير الحاضرون من ذلك وتغير

وجه المنصور فقال رجل البشر يا امير المومنين بغزاة
هينة وغنيمة سارة فقد بلغت اعلامك الثريا
وسقاها الله عز وجل من شجرة مباركة فاستحسن
المنصور ذلك واستبشر به وكانت الغزوة من
ابرك الغزوات ومثل هذا ما خرج منصور
بني العباس الى قتال ابي يزيد الخارجي في جملة
من الاولياء وواجه الحصن سقط الرمح من يده
فاخذه بعض الاولياء ومسحه وقال • شعر
فالقت عصاها واستقر بها النوى • كما قر عينا بالاياب المسافر
قال فضحك المنصور وقال لم لا قلت فالقى •
موسى عصاه فقال يا امير المومنين العبد تكلم
بما عنده من اشارات المتادبين وتكلم امير
المومنين بما انزل في بيته من كلام رب العالمين
فكان الامر على ما ذكروا اخذ الحصن وحصل الظفر
بابي يزيد حكي ان الشيخ شهاب الدين محمود

قال عدت قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في
دمشق بالمدرسة النجيبية سنة احدى وثمانين
وستمائة فانشدني لبعض اهل الادب في نقيب
الاشراف بالمداين رثاء خلب قلبي • وهو •
قد قلت للرجل المولى غسله • هلا اطاع وكنت من نصحائه •
جنبه ماءك ثم غسله بما • اذرت عيون المجد عند بكائه •
وازل افاوية الحنوط ونحها • عنه وحنطه بطيب ثنائه •
ومر الملائكة الكرام بنقله • شرفا الست تراهم بازائه •
لا توه اعناق الرجال بحمله • يكفي الذي حملوه من نعمائه •
قال الشيخ فوقع في نفسي انه احق الناس بهذه الرثا
وانه نعى نفسه فمات في ذلك الاسبوع برد الله مضجعه
نكتة لطيفة قيل انه لما رجع الشيخ شهاب الدين
السهروردي رحمه الله تعالى من الشام الى بغداد
وجلس على عادته اخذ يقلل احوال الناس ويهضم
جانب الرجال وانه ما بقي من يلقى وقد خلت الدنيا

وانشد
ما في الصحاب اخو وجد نطارحه • حديث نجد ولا خل نجاريه •
فصاح من اطراف المجلس رجل عليه قبا وكلوته يا شيخ
كم تنتقص بالقوم والله ان فيهم من لم يرض بمجاريك
وقصاراك ان تفهم ما يقول هلا قلت •
ما في الصحاب وقد سارت حمولهم • الا محب له في الركب محبوب
كانما يوسف في كل راحلة • والحي في كل بيت فيه يعقوب
فصاح السهروردي ونزل من على الكرسي وطلب
الشاب فلم تجده حكى عن ابن المطرزة الشاعر
انه مر وفي رجله نعل بالية بالشريف الرضي فامر
باحضاره وقال انشدني ابياتك التي تقول فيها
اذا لم تبلغني اليكم ركابي فلا وردت ماء ولا رعت العشبا
فانشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت اشار
الى نعله البالية وقال هذه كانت ركابك فاطرق
ابن المطرزة ساعة ثم قال لما عادت هبات سيدنا

الشريف الى مثل قوله • شعر •
وخذ النوم من عيوني فاني • قد خلعت الكرى على العشاق •
عادت ركابي الى مثل ما ترى لانك خلعت ما لا يملك
على ما لا يقبل فخجل الشريف وقابله بما يليق به من
الاكرام قلت واما الاجوبة الهاشمية وبلاغتها
فهي في المحل الارفع فمن ذلك انه اجتمع عند معاوية
عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعتبة بن ابي سفين
والمغيرة بن شعبة فقالوا يا امير المومنين ابعث لنا الى
الحسن بن علي فقال لهم فيم فقالوا كي نوبخه ونعرفه
ان اباه قتل عثمان فقال لهم معوية انكم لا تنتصفون
منه ولا تقولون شيئا الا كذبكم الناس ولا يقول
لكم ببلاغة شيئا الا صدقه الناس فقالوا ارسل
اليه فانا سنكفيك فارسل اليه معاوية فلما حضر
قال يا حسن اني لم ارسل اليك ولكن هولاء ارسلوا
اليك فاسمع مقالهم واجب ولا تخرمني فقال الحسن

عليه السلم فليتكلموا ونسمع فقام عمرو بن العاص
فحمد الله واثنى عليه ثم قال هل تعلم يا حسن ان اباك
اول من اثار الفتنة وطلب الملك فكيف رايت صنع
الله عز وجل به ثم قام الوليد بن عقبة بن ابي معيط
فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا بني هاشم كنتم
اصهار عثمان بن عفان فنعم الصهر كان يقربكم ويفضلكم
ثم بغيتم عليه فقتلتموه ولقد اردنا يا حسن قتل
ابيك فانقذنا الله منه ولو قتلناه بعثمان ما كان
علينا من الله ذنب ثم قام عتبة بن ابي سفين فقال
تعلم يا حسن ان اباك بغى على عثمان فقتله حسدا
على الملك والدنيا فسلبهما ولقد اردنا قتل ابيك
حتى قتله الله تعالى ثم قام المغيرة بن شعبة فكان
كلامه كله سبا لعلي وتعظيما لعثمان فقام الحسن
عليه السلم فحمد الله واثنى عليه وقال بك ابدا
يا معاوية لم يشتمني هولاء ولكن انت شتمتني بغضا

وعداوة وخلافا لجدي صلى الله عليه وسلم ثم التفت
الى الناس وقال انشدكم الله اتعلمون ان الرجل
الذي شتمه هولاء كان اول من امن بالله تبارك وتعالى
وصلى للقبلتين وانت يا معاوية يومئذ كافر تشرك
بالله وكان معه لواء النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر
ومع معاوية وابيه لوا المشركين ثم قال انشدكم
الله والاسلام اتعلمون ان معاوية كان يكتب الرسايل
لجدي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه يوما فرجع الرسول
وقال هو ياكل فرد الرسول اليه ثلث مرات كل ذلك
ويقول هو ياكل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا
اشبع الله بطنه اما تعرفوا ذلك في بطن معاوية
ثم قال وانشدكم الله اتعلمون ان معاوية كان يقود
بابيه على جمل واخوه يسوقه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعن الله الجمل وقائده وراكبه وسائقه
هذا كله لك يا معاوية واما انت يا عمرو تنازع فيك

خمسة من قريش فغلب عليك شبه الامهم حسبا
وشرهم منصبا ثم قمت وسط قريش فقلت اني شانئ
محمد فانزل الله على نبيه ان شانئك هو الابتر
ثم هجوت محمدا صلى الله عليه وسلم بثلاثين بيتا من
الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
اني لا احسن الشعر ولكن العن عمرو بن العاصي بكل
بيت لعنة ثم انطلقت الى النجاشي بما علمت وعملت
فاكذبك الله وردك خائبا فانت عدو بني هاشم
في الجاهلية والاسلام فلم نلمك على بغض واما
انت يا بن معيط فكيف الومك على سبك لعلي وقد
جلد ظهر ابيك في الخمر ثمانين سوطا وقتل اباك
صبرا بامر جدي وقتله جدي بامر ربه جل وعز
ولما قدمه للقتل قال من للصبية يا محمد فقال
له النار فلم يكن لكم عند النبي غير النار ولم يكن
لكم عند علي غير السيف والسوط واما انت يا عتبة

فكيف تعد احدا بالقتل لم لا قتلت الذي وجدته
في فراشك مضاجعا لزوجتك ثم امسكتها بعد ان
بغت عليك واما انت يا اعور ثقيف ففي اي ثلث
تسب عليا افي بعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ام في حكم جائر ام في رغبة في الدنيا فان قلت شيا
من ذلك فقد كذبت وكذبك الناس وان زعمت
ان عليا قتل عثمان فقد كذبت واكذبك الناس واما
وعيدك فانما مثلك كمثل بعوضة وقفت على نخلة
فقالت لها استمسكي فاني اريد ان اطير فقالت لها
النخلة ما علمت بوقوفك فكيف يشق علي طيرانك
وانت فما شعرنا بعداوتك فكيف يشق علينا
سبك ثم نفض ثيابه وقام فقال لهم معاوية الم
اقل لكم انكم لا تنتصفون منه فوالله لقد اظلم
على البيت حتى قام فليس فيكم بعد اليوم خير انتهى
ومن غريب النقل ان شريك بن الاعور دخل على معاوية

وهو يختال في مشيته فقال له معاوية والله انك
لشريك وليس لله عز وجل من شريك وانك ابن الاعور
والصحيح خير من الاعور وانك لذميم والوسيم خير من
الذميم فبم سودك قومك فقال له شريك
والله انك لمعاوية وما معاوية الا كلبة عوت فاستعوت
فسميت معاوية وانك ابن حرب والسلم خير من الحرب
وانك ابن صخر والسهل خير من الصخر وانك ابن
امية وما امية الا امة صغرت فسميت امية
صرت امير المومنين فقال له معاوية اقسمت عليك
الا ما خرجت عني نكتة لطيفة اتفق ان الملك
المعظم عزم على الصيد فقال له بعض جماعته
يا مولانا القمر في العقرب والسفر فيه مذموم
والمصلحه الصبر الى ان ينزل القمر القوس فعزم على
الصبر فبينما هو مفكر اذ دخل عليه مملوك له من
احسن الناس وجها فوقف قدامه وقد توشح بقوس

فقال له بعض الحاضرين يا مولانا بالله اركب في هذه
الساعة فهذا القمر قد حل في القوس حقيقة فقام
لوقته وركب استبشارا بالقول فلم ير اطيب من
تلك السفرة ولا اكثر من صيدها ومن غرائب
المنقول ما حكى اسحق النديم عن ابيه قال استاذنت
الرشيد ان يهب لي يوما من الجمعة لانبعث فيه
بجواري واخواني فاذن لي في يوم السبت وقال هو
يوم استثقله فاله فيه بما شئت قال فاقمت يوم
السبت بمنزلي وتقدمت لاصلاح طعامي وشرابي
وامرت بوابي باغلاق الباب وتقدمت اليه في
ان لا ياذن لاحد من الناس فبينما انا في مجلسي والحرم
قد حففن بي واذا انا بشيخ عليه هيبة وله هياة
وجمال وعلى راسه قلنسوة وبيده عكاز مقمع بفضة
وروائح الطيب تفوح منه فدخلني لدخوله على
ما تقدمت به من الوصية غيظ عظيم وهممت

بطرد بوابي ومن يحجبني لاجله فسلم على احسن سلام
فرددت عليه وامرته بالجلوس فجلس واخذ في
حديث الناس وايام العرب واشعارها حتى سكن
ما بي فظننت ان غلماني قصد وامسرني بادخاله
علي لظرفه وادبه فقلت هل لك في الطعام فقال
لا حاجة لي به فقلت هل لك في الشراب فقال ذلك
اليك قال فشربت رطلا وسقيته مثله فقال
يا ابا اسحق هل لك في ان تغني فنسمع منك ما قد
فقت به على الخاص والعام قال فغاضني منه
ذلك ثم سهلت الامر على نفسي واخذت العود
وضربت وغنيت فقال احسنت يا ابراهيم
فازددت غيظا وقلت ما رضي بما فعله حتى
سماني ولم يحسن مخاطبتي ثم قال هل لك في ان
تزيدنا ونكافيك قال فتذممت واخذت العود
فغنيت وتحفظت وقمت بما غنيته قياما تاما

طرب وقال احسنت يا سيدي ثم قال اتاذن
لعبدك في الغنا فقلت شانك واستضعفت عقله
كيف سولت له نفسه ان يغني بحضرتي بعد ما سمعه
مني فاخذ العود وجسه فوالله لقد خلته ان ينطق
بلسان عربي واندفع يغني: شعر
ولي كبد محروقة من يبيعني • بها كبدا ليست بذات قروح •
اباها على الناس ان يشتروها • ومن يشتري ذا علة بصحيح •
قال ابراهيم فوالله لقد ظننت ان الحيطان والابواب
وكلما في البيت يجيبه ويغني معه وبقيت مبهوتا
لا استطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبي ثم غنى
الا يا حمامات اللوى الابيات فكاد عقلي يذهب طربا
ثم قال يا ابراهيم خذ هذا الغنى وانح نحوه في غناك
وعلمه جواريك فسالته ان يعيد ما غناه فقال لم
تحتج الى شي من ذلك ثم غاب من بين عيني فارتعت
وقمت الى السيف فجردته ثم عدت نحو الابواب وقلت

للجواري اي شي سمعتن فقالوا سمعنا احسن غنا آ

فخرجت متحيرا الى باب الدار فوجدته مغلقا فسا

البواب عن الشيخ فقال اي شيخ والله ما دخل اليو

اليك احد من الناس فرجعت لا تامل امري فاذا به

قد هتف من بعض جوانب الدار لا باس عليك

يا ابا اسحق انا ابليس وقد اخترت مُنادمتك في هذا

اليوم فلا ترتاع فركبت على الفور الى الرشيد واتحفته

بهذه الطرفة فقال ويحك اعتبر الاصوات التي

اخذتها عنه فاخذت العود فاذا هي راسخة في

صدري فطرب الرشيد وامر لي بصلة وقال ليته

امتعنا يوما واحدا كما امتعك • قال ابو الفرج

الاصفهاني هكذا حدثنا ابن ابي الازهر وما ادري

ما اقول فيه ويضارع هذا ما اورده ابن

خلكان في ترجمة ابن دريد قال ابو بكر محمد بن

الحسن بن دريد سقطت من منزلي بفارس فانكسر

فانكسر بعض اعضاي فسهرت ليلتي فلما كان اخر

الليل غمضت عيني فرايت رجلا طويلا اصفر الوجه

كوسجا دخل علي بعضادتي الباب وقال انشدني

احسن ما قلت في الخمر فقلت ما ترك ابو نواس

لاحد شيا في هذا الباب فقال انا اشعر منه فقلت

ومن انت قال انا ابو ناجية من اهل الشام وانشدني

وحمرا قبل المزج صفرا بعده • بدت بين ثوبي نرجس وشقايق

حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا • عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقلت اسات قال ولم قلت لانك قلت وحمرا

تقدمت الحمرة ثم قلت نرجس وشقايق فقدمت

الصفرة فقال ما هذا الاستقصا في هذا الوقت

البغيض وابو ناجية من كنى ابليس قال قاضي القضاة

شمس الدين بن خلكان في تاريخه وفي رواية اخرى

ان الشيخ ابا علي الفارسي قال انشدني ابن دريد هذين

البيتين وقال جاني ابليس في المنام ثم ذكر بقية الكلام

الى اخره ونقل ابن خلكان وغيره ان ابا بكر بن
قريعة قاضي السندية وغيرها من اعمال بغداد
كان من عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالاجوبة
عن جميع ما يسئل عنه في افصح لفظ واملح سجع
وكان مختصا بحضرة الوزير ابي محمد المهلبي ومنقطعا
اليه وله مسائل واجوبة مدونة في ايدي الناس
وكان روساء ذلك العصر والعلماء والفضلاء
يكتبون له المسائل الغريبة المضحكة فيكتب
الاجوبة من غير توقف ولا يكتبون الا مطابقا لما
سالوه وكان الوزير المذكور يغري به جماعة يصنعون
المسائل الهزلية من معان شتى من النوادر فمن ذلك
ما كتب اليه بعض الفضلاء على سبيل الامتحان
ما يقول القاضي ايده الله في رجل سمى ولده مدام
وكناه ابو الندامى وسمى ابنته الراح وكناها
ام الافراح وسمى عبده الشراب وكناه ابا الاطراب

وسمى وليدته القهوة وكناها ام النشوة اينهى عن
بطالته ام يودب على خلاعته فكتب تحت سؤاله
لو نعت هذا لابي حنيفة لاقعده خليفة وعقد
له رايته وقاتل من تحتها من خالف رايه ولو علمنا
مكانه لمسحنا اركانه فانا نتبع هذه الاسماء افعالا
وهذه الكنى استعمالا علمنا انه احيى دولة المجون
واقام لواء ابنة الزرجون فبايعناه وشايعناه
وان تكن اسماء سماها ما له بها من سلطان خلعنا
طاعته وفرقنا جماعته فنحن الى امام فعال
احوج منا الى امام قوال وكتب اليه العباس
الكاتب ما يقول القاضي وفقه الله تعالى في
يهودي زنا بنصرانية فولدت له ولدا جسمه
للبشر ووجهه للبقر وقد قبض عليهما فما
يرى القاضي فيهما فكتب تحت السؤال بديها
هذا من اكبر الشهود على الملاعين اليهود

فانهم اشربوا حب العجل في صدورهم • حتى خرج
من ابورهم • وارى ان يناط راس اليهودي براس
العجل • ويسلب على عنق النصرانية الساق مع الرجل
ويسحبان على الارض • وينادي عليهما ظلمات بعضها
فوق بعض والسلام من نادرة لطيفة لما خرج
ابو جعفر المنصور يريد الحج بالناس قال لعيسى بن
موسى انت تعلم ان الخلافة صائرة اليك واريد
ان اسلم لك عمي وعمك عبد الله بن علي فخذه واقتله
واياك ان تجبن في امره ثم مضى المنصور الى الحج
وكتب اليه من الطريق يستحثه على ذلك فكتب اليه
قد انفذت امر امير المومنين وكان الامر بخلاف
ذلك فلم يشك ابو جعفر انه قتله ودعا عيسى بن
موسى كاتبه يونس فقال له ان المنصور دفع الي عمه
وامرني بقتله فقال له يريد ان يقتلك بقتله فانه
امرك بذلك سرا ويدعي به عليك علانية والراي

ان تستره في منزلك ولا تطلع عليه احدا فان طلبه
منك علانية دفعته اليه علانية ولا تدفعه اليه
سرا ابدا ففعل ذلك وقدم المنصور فدس على عمومته
من حركهم ان يسلوا المنصور ان يهب لهم اخاهم
عبد الله ففعلوا ذلك وكلموه فاجاب وقال نعم
على بعيسى بن موسى فاتاه فقال يا عيسى كنت دفعت
اليك عمي وعمك عبد الله قبل خروجي الى الحج وامرتك
ان يكون في منزلك مكرما قال قد فعلت ذلك
فقال قد كلمني فيه عمومتك فرايت الصفح عنه فاتنا
به قال يا امير المومنين الم تامرني بقتله قال لا انما
امرتك بحبسه عندك ثم قال المنصور لعمومته
ان هذا قد اقر لكم بقتل اخيكم وادعى اني امرته
بذلك وكذب قالوا فادفعه الينا نقتله قال شانكم
فاخرجوه الى صحن الدار واجتمع الناس واشتهر الامر
فقام احدهم وشهر سيفه وتقدم الى عيسى ليضربه

فقال عيسى لا تعجلوا فان عمي حتى تردوني الى امير المومنين
فردوه اليه فقال يا امير المومنين انما اردت بقتلنا
قتلي هذا عمك حتى ان امرتني بدفعه اليهم دفعته
فقال ائتنا به فاتى به فجعله في بيت فسقط عليه
فمات وكان المنصور قد وضع في اساس البيت ملحا
لما شرع في عمارته واعده لهذا المعنى ولما جلس فيه
عمه اجرى الماء في اساس البيت سرًا بحيث لا يشعر به
احد فذاب الملح وسقط البيت وركب المنصور بعد
موت عمه وفي خدمته ابن عياش المنتوف وكان
يباسطه في كل وقت فقال له المنصور وهو يحادثه
هل تعرف ثلثة في اول اسمآئهم عين قتلوا ثلثة في اول
اسمآئهم عين قال لا اعرف الا ما تقول العامة يا امير المو
قالوا ان عليًّا قتل عثمان وكذبوا والله وعبد الملك
ابن مروان قتل عبد الله بن الزبير وسقط البيت
على عم امير المومنين قال فضحك المنصور وقال يسقط

البيت على عمي فانا ما ذنبي قال قلت ما لك ذنب يا امير المومنين
وقتل عبد الله كان بسبب البيعة التي تقدمت له من
السفاح وشرحها يطول انتهى ونقلت من خط قاضي
القضاة شمس الدين بن خلكان ما صورته نقلت
من خط القاضي كمال الدين بن العديم من مسودة
تاريخه ان ابن الزقاق البلنسي الشاعر المشهور
كان يسهر بالليل ويشتغل بالادب وكان ابوه حدادا
فقيرا فلامه ابوه وقال يا ولدي نحن فقرا ولا طاقة
لنا بالزيت الذي تسهر عليه فاتفق انه برع في العلم
والادب وقال الشعر وعمل في ابي بكر بن عبد العزيز
صاحب بلنسية قصيدة مطربة اولها ∴
يا شمس خدر ما لها من مغرب ∴ وقال منها
ناشدتك الله نسيم الصبا • اين استقرت بعدنا زينب
لم تسر الا بشذا عرفها • او لا فما ذا النفس الطيب
فاطلق له ثلاثمائة دينار فجاء الى ابيه وهو جالس في

حانوته مكب على صنعته فوضعها في حجره وقال خذها
وابتاع بها زيتا انتهى حكى عن عبد العزيز بن
الفضل قال خرج القاضي ابو العباس احمد بن عمر بن سريج
وابو بكر بن داود وابو عبد الله نفطويه الى وليمة
فافضى بهم الطريق الى مكان ضيق فاراد كل واحد
منهم تقديم صاحبه عليه فقال ابن سريج ضيق
الطريق يورث سوء الادب فقال ابن داود لكنه يعرف
فيه مقادير الرجال فقال نفطويه اذا استحكمت
المودة بطلت التكاليف وحكى عن سريج جد
ابي العباس المشهور بالصلاح الوافر انه كان عجميا لا
يعرف بلسان العرب شيئا فاتفق انه راى الباري عز
وجل في النوم فحادثه وقال يا سريج طلب كن فقال
باخداي سار بسر وهذا لفظ عجمي معناه بالعربي
يا سريج اطلب فقال يا رب راسا براس كما يقال رضيت
ان اخلص راسا براس ومن لطايف المنقول انه كان

بالعقيبة ظاهر دمشق المحروسة خان يجمع فيه اسباب
الملاد ويتفق فيه من الفسوق والفجور ما لا يحد ولا
يوصف فرفع ذلك الى ابي الفتح موسى بن ابي بكر
العادل بن ايوب الملقب بالاشرف فهدمه وعمر
جامعا وسماه الناس جامع التوبة كانه تاب الى
الله تعالى واناب مما كان فيه وجرت في خطابته نكتة
لطيفة وهي انه كان بمدرسة ست الشام التي
خارج البلد امام يعرف بالجمال قيل انه كان في
صباه يلعب بشي من الملاهي وهي التي تسمى الجغانة
ولما كبر حسنت طريقته وعاشر العلما واهل
الصلاح حتى صار معدودا في الاخيار فلما احتاج
الجامع المذكور الى خطيب رشح جانبه للخطابة
لكثرة الثنا عليه فتولاها فلما توفي تولى موضعه
العماد الواسطي الواعظ وكان متهوما باستعمال
الشراب وكان صاحب دمشق يوميذ الملك الصالح

عماد الدين اسمعيل بن العادل بن ايوب فكتب اليه
الجمال عبد الرحيم المعروف بابن زويتينه ابياتا وهي
يا مليكا اوضح الحق الينا وابانه • جامع النوبة قد حملني منه امانه
قال قل للملك الصالح اعلا الله شانه • يا عماد الدين من حمّلنا منه زمانه
كم الى كم انا في بوس وضر واهانه • لي خطيب واسطي يعشق [illegible] ديانه
والذي قد كان من قبل يغني بخانه • فكما نحن وما زلنا ولا ابرح حانه
ردّني للنمط الاول واستبق ضمانه • ومن لطايف المنقول
ان بثينة وعزة دخلتا على عبد الملك بن مروان فانحرف
الى عزة وقال انت عزة كثيّر قالت لست لكثيّر بعزة
ولكنني ام بكر قال اتروين قول كثيّر •• شعر
وقد زعمت اني تغيرت بعدها • ومن ذا الذي يا عز لا يتغير
قالت لست اروي هذا ولكنني اروي قوله ••
كاني انادي او اكلم صخرة • من الصم لو تمشي بها العصم زلت
ثم انحرف الى بثينة فقال انت بثينة جميل قالت
نعم يا امير المومنين قال ما الذي رآه فيك جميل

لهج بذكرك من بين نساء العالمين قالت الذي راوا الناس
فيك فجعلوك خليفتهم قال فضحك حتى بدا له درس
اسود لم ير قبل ذلك وفضّل بثينة على عزّة في الجائزة
ثم امرهما ان يدخلا على عاتكة فدخلتا عليها فقالت
لعزة اخبريني عن قول كثيّر •• شعر •
قضى كل ذي دين فوفى غريمهُ • وعزّة ممطولٌ معنّى غريمها •
ما كان دينه وما كنت وعدتيه قالت كنت وعدته
بقبلة ثم تاثمت منها قالت وددت انك فعلت
واني تحملت اثمها عنك ثم ندمت عاتكة واستغفرت
الله تعالى واعتقت عن هذه الكلمة اربعين رقبة
يعجبني قول اسامه بن منقذ في ابن طليب المصري
وقد احترقت داره •• شعر •
انظر الى الايام كيف تسوقنا • قسرا الى الاقرار بالاقدار •
ما اوقد ابن طليب قط بداره • نارا وكان حريقها بالنار •
قلت ومما يناسب هذه الواقعة ان الوجيه

ابن صورة المصري دلال الكتب بمصر كان له دار
موصوفة بالحسن فاحترقت فعمل فيها نشو الملك
المعروف بابن المنجم ** شعر **
اقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها مارج يتضرم *
كذا كل مال اصله من نهاوش * فعما قليل في نهابر يعدم
وما هو الا كافر طال عمره * فجاته لما استبطاته جهنم
قلت وهذه اللطائف تضارع قصة ابي الحسن
الجزار مع اهل الادب بمصر وكان شيخا فظهر عليه جرب
فالتطخ بالكبريت فلما سمع ابو الحسين الجزار ذلك كتب اليه
ايها السيد الاديب دعاء * من محب خال من التنكيت *
انت شيخ وقد قربت من النار * فكيف ادهنت بالكبريت
قيل ان ابا القاسم الزعفراني مدح الصاحب
ابن عباد بقصيدة نونية وانتهى فيها الى قوله منها *
وحاشية الدار يمشون في * صنوف من الخز الا انا *
فقال الصاحب قرات في اخبار معن بن زائدة الشيباني

ان رجلا قال له احملني ايها الامير فامر له بناقة وفرس
وبغل وحمار وجارية ثم قال لو علمنا ان الله سبحانه وتعالى
خلق مركوبا غير هذا لحملناك عليه وقد امرنا لك من
الخز بجبة وقميص وعمامة ودراعة وسراويل ومنديل
ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس ولو علمنا
لباسا اخر من الخز لاعطيناكه * وبلغ حديث معن
المذكور للمعلا بن ايوب فقال رحم الله ابن زائدة
لو كان يعلم ان الغلام يركب لامر له به ولكنه كان
عربيا خالصا لم يدنس بقاذورات انتهى *
ان بيوت الشعر اربعة فخر ومدح وهجاء ونسيب
وكان جرير افحل شعراء الاسلام في الاربعة فالفخر قوله
اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
* والمدح قوله *
الستم خير من ركب المطايا * واندى العالمين بطون راح *
* والهجاء قوله *

فغض الطرف انك من نمير • فلا كعبا بلغت ولا كلابا •

• والنسيب قوله •

ان العيون التي في طرفها مرض • قتلننا ثم لم يحيين قتلانا •
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به • وهن اضعف خلق الله اركانا •

وقال ابو عبيدة التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير • شعر

فانك لاق بالمنازل من منى • فخارا فاخبرني بما انت فاخر •

فقال له جرير بلبيك اللهم لبيك قال ابو عبيدة واصحابه يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون به قيل لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وفد الشعراء اليه واقاموا ببابه اياما لا يوذن لهم فبينما هم كذلك اذ مر بهم رجا بن حياة وكان جليس عمر فلما راه جرير داخلا قام اليه وانشده

يا ايها الرجل المرخي عمامته • هذا زمانك فاستاذن لنا عمرا
فدخل عليه ولم يذكر شيا من امرهم • ثم مر بهم

عدي بن ارطا فقال جرير ابياتا اخرها •
لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة • قد طال مكثي عن اهلي وعن ولدي •

قال فدخل عدي على عمر فقال يا امير المومنين الشعرا ببابك وسهامهم مسمومة واقوالهم نافذة قال ويحك يا عدي ما لي وللشعراء قال اعز الله امير المومنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح واعطى ولك في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة قال كيف قال امتدحه العباس بن مرداس السلمي فاعطاه حلة قطع بها لسانه قال او تروي من قوله

• قال نعم قوله •

رايتك يا خير البرية كلها • نشرت كتابا جا بالحق معلما •
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا • عن الحق لما اصبح الحق مظلما •
ونورت بالبرهان امرا مدنسا • واطفات بالاسلام نارا تضرما •
فمن مبلغ عني النبي محمدا • وكل امرئ يجزى بما كان قدما •
اقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه • وكان قديما ركنه قد تهدما •

فقال عمر ويلك يا عدى من بالباب منهم قال عمر

ابن ابى ربيعة قال اليس الذى يقول ∴

ثم نبهتها فمدت كعابا ∘ طفلة ما تبين رجع الكلام

ساعة ثم انها بعد قالت ∘ ويلنا قد عجلت يا ابن الكرام

فلو كان عدو الله اذ فجر كتم على نفسه لكان استر له

لا يدخل والله على ابدا فمن بالباب سواه قال الفرزدق

قال اوليس هو الذى يقول ∴ شعر

هما دلتانى من ثمانين قامة ∘ كما انقض باز اقتم الريش كاسره

فلما استوى رجلاى فى الارض قالتا ∘ احى فيرجى ام قتيل نحاذره

لا يدخل على والله فمن سواه بالباب منهم قال الاخطل

قال يا عدى هو الذى يقول ∴ شعر

ولست بصائم رمضان طوعا ∘ ولست باكل لحم الاضاحى

ولست بزاجر عنسا بكورا ∘ الى بطحاء مكة للنجاح

ولست بزائر بيتا عتيقا ∘ بمكة ابتغى فيه صلاحى

ولست بقائم كالعير ادعو ∘ قبيل الصبح حى على الفلاح

ولكنى سأشربها شمولا ∘ واسجد عند منبلج الصباح

والله لا يدخل على وهو كافر ابدا فمن بالباب سوى

من ذكرت قال الاحوص قال اليس هو الذى يقول

الله بينى وبين سيدها ∘ يفر منى بها واتبعه

فما هو بدون من ذكرت فمن ها هنا ايضا قال

جميل بن معمر قال هو الذى يقول ∴

الا ليتنا نحيى جميعا وان امت ∘ يوافق فى الموتى ضريحى ضريحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاها فى الدنيا ليعمل بعد

ذلك صالحا لكان اصلح والله لا يدخل على ابدا

فهل سوى من ذكرت احد قال جرير قال اما انه الذى يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ∘ حين الزيارة فارجعى بسلام

فان كان ولا بد فهو الذى يدخل فلما مثل بين يديه

قال يا جرير اتق الله عز وجل ولا تقل الا حقا فانشد

قصيدته الرائية المشهورة التى منها ∴

انا لنرجو اذا ما الغيث اخلفنا ∘ من الخليفة ما نرجو من المطر

نال الخلافة اذ كانت له قدرا • كما اتى ربه موسى على قدر
هذا الارامل قد قضيت حاجتها • فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
الخير ما دمت حيًّا لا يفارقنا • بوركت يا عمر الخيرات من عمر
فقال يا جرير ما ارى لك فيما ها هنا حقًّا قال بلى
يا امير المومنين انى ابن سبيل ومنقطع فاعطاه من
طيب ماله مائة درهم وقال ويحك يا جرير لقد
ولينا هذا الامر وما نملك الا ثلثمائة درهم فمائة
اخذها عبد الله ومائة اخذتها ام عبد الله يا غلام
اعطه المائة الباقية قال فاخذها جرير وقال
والله لهي احب الى مما اكتسبته ثم خرج فقال له
الشعراء ما وراك فقال ما يسوكم خرجت من عند
خليفة يعطي الفقراء ويمنع الشعراء وانه عنه لراض

• وانشد • شعر

رايت رقى الشيطان لا تستفزه • وقد كان شيطانى من
الجن راضيا • ومن لطايف الطرف ما حدث

ابراهيم بن المهدى قال قال لى جعفر يوما انى استاذنت
امير المومنين فى الخلوة غدا فهل انت مساعدى
فقلت اجعل فداك انا اسعد بمساعدتك واسر
بمحادثتك قال فبكر الى بكور الغراب قال فاتيته
عند الفجر فوجدت الشمعة بين يديه وهو ينتظرنى
للميعاد فصلينا ثم افضينا للحديث وقدم الطعام
فاكلنا فلما غسلنا ايدينا خلعت علينا ثياب المنادمة
ثم ضمخنا بالخلوق ومدت الستارة ثم انه ذكر
حاجة فدعى الحاجب وقال اذا اتى عبد الملك فاذن
له يعني قهرمانا له فاتفق ان جا عبد الملك بن صالح
الهاشمي شيخ الرشيد وهو من جلالة القدر
والورع والامتناع من منادمة امير المومنين على
امر جليل وكان الرشيد قد اجتهد ان يشرب معه
قدحا واحدا فلم يقدر عليه ترفعا لنفسه فلما رفع
الستر وطلع علينا سقط فى ايدينا وعلمنا ان الحاجب

قد خلط بينه وبين عبد الملك القهرمان فاعظم
جعفر ذلك وارتاع له ثم قام اجلالاً فلما نظر الينا
على تلك الحال دعى غلامه فدفع اليه سيفه وعمامته
ثم قال اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم قال فجاء اليه
الغلمان فطرحوا عليه الثياب الحرير وضمخوه ودعا
بالطعام فطعم وشرب ثلاثا ثم قال ليخفف عنى
فانه شي ما شربته والله فتهلل وجه جعفر وفرح
ثم التفت اليه فقال جعلت فداك قد بالغت في الخير
والفضل فهل من حاجة تبلغ اليها مقدرتي وتحيط
بها نعمتي فاقضيها مكافاة لما صنعت قال بلى ان في
قلب امير المومنين على غضب فتسئله الرضى عني
فقال له جعفر قد رضي امير المومنين عنك ثم قال
وعلى عشرة الاف دينار فقال هي لك حاضرة من مالي
ومن مال امير المومنين ضعفها ثم قال وابني ابراهيم
احب ان اشد ظهره بصهر من امير المومنين قال

قد زوجه امير المومنين ابنته العالية قال واحب ان
تخفق على راسه الالوية قال قد ولاه امير المومنين
مصر فانصرف عبد الملك بن صالح قال ابراهيم بن
المهدى فبقيت متعجبا من اقدام جعفر على امير المومنين
من غير استيذان وقلت عسى ان تجيبه فيما سئل
من الرضى والمال والولاية ولكن من اطلق لجعفر او
لغيره تزويج بنات الرشيد فلما كان من الغد بكرت
الى باب الرشيد لارى ما يكون فدخل جعفر فلم يلبث
حتى دعى بابي يوسف القاضي وابراهيم بن عبد الملك
ابن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالعالية
بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية
بين يديه وحملت البدر الى منزل عبد الملك
وخرج جعفر فاشار الينا فقال تعلقت قلوبكم
بحديث عبد الملك فاحببتم علم اخره لما دخلت على
امير المومنين ومثلت بين يديه قال كيف كان

يومك يا جعفر فقصصت عليه القصة حتى بلغت
الى دخول عبد الملك وكان متكيا فاستوى جالسا
وقال بخ لله ابوك فقلت سئلني في رضى امير المومنين
قال فما اجبته قلت قد رضي امير المومنين عنك
قال قد اجرت ثم ماذا قلت وذكر ان عليه عشرة الاف
دينار قال فما اجبته قلت قضاها امير المومنين عنك
قال قد قضيت قلت وذكر انه راغب في ان تشد
ظهر ولده ابراهيم بصهر منك قال فما اجبته قلت
قد زوجه امير المومنين ابنته العاليه قال امضيت ذلك
ثم ماذا لله ابوك قلت وذكر انه يشتهي ان تخفق على
راس ولده ابراهيم الالوية قال فما اجبته قلت ولاه
امير المومنين مصر قال قد وليته فاحضر ابراهيم
والقضاة والفقهاء وتمم له جميع ذلك من ساعته
قال ابراهيم بن المهدي فوالله ما ادري بهم اكرم
واعجب فعلاً ما ابتداه عبد الملك من الموافقة وشرب

الخمر ولم يكن شربها قط ولباسه ما لبس لبسه من ثياب
المنادمة ام اقدام جعفر على الرشيد بما قدم ام
امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر عليه غفر الله لهم
ومن لطائف المنقول ما حكي عن ابي معشر جعفر
البلخي المنجم الامام المصنف صاحب التصانيف المفيدة
في علم النجامة قيل انه كان متصلاً بخدمة بعض الملوك
وان ذلك الملك طلب رجلاً من اتباعه واكابر دولته
ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه فاستخفى وعلم
ان ابا معشر يدل عليه بالطرق التي يستخرج بها
الخبايا والاشياء الكامنة فاراد ان يعمل شيئاً
لا يهتدي اليه ويبعد عنه حدسه فاخذ طستاً
وجعل فيه دماً وجعل في الدم هاون ذهب وقعد
على الهاون اياماً وتطلبه الملك وبالغ في التطلب
فلما عجز عنه احضر ابا معشر وطلب منه اظهاره
فعمل المسئلة التي يستخرج بها وسكت زماناً حائراً

له الملك ما سبب سكونك وحيرتك فقال ارى
شيئا عجيبا فقال وما هو فقال ارى الرجل المطلوب
على جبل من ذهب والجبل في بحر من دم ولا اعلم
في العالم موضعا على هذه الصفة فقال له اعد نظرك
ففعل ثم قال ما ارى الا كما ذكرت وهذا شي ما وقع
لي مثله فلما ايس الملك من تحصيله نادى في البلد
بالامان للرجل ولمن اخفاه فلما اطمان الرجل ظهر
وحضر بين يدي الملك فسأله عن الموضع الذي
كان فيه فاخبره بما اعتمده فاعجبه حسن احتياله في
اخفاء نفسه ولطافة ابي معشر المنجم في استخراجه
وله غير ذلك من الاصابات قال قاضي القضاه
شمس الدين بن خلكان ومما يناسب هذا من فطن
المتطببين ما رواه الحسين بن ادريس الحلواني
قال سمعنا الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه
يقول ما افلح سمين قط الا ان يكون محمد بن الحسن

قيل له ولم ذاك قال لانه لا يعدو العاقل احدى
خلتين اما ان يهتم لآخرته ومعاده او لدنياه في
معيشته والشحم مع الهم لا ينعقد • ثم قال وكان
بعض ملوك الارض قديما كثير الشحم لا ينتفع بنفسه
فجمع الحكماء وقال احتالوا لي بحيلة يخف عني لحمي هذا
قليلا قال فما قدروا له على شي فجاءه رجل عاقل اديب
متطبب فاده فقال له عالجني ولك الغنا قال اصلح
الله الملك انا طبيب منجم ودعني حتى انظر الليلة في
طالعك لارى اي دواء يوافقه فلما اصبح قال ايها
الملك الامان فلما امنه قال رايت طالعك يدل على
انه لم يبق من عمرك غير شهر واحد فان اخترت عالجتك
وان اردت بيان ذلك فاحبسني عندك فان كان
لقولي حقيقة فخل عني والا فاستقص مني قال فحبسه
ثم رفع الملك الملاهي واحتجب عن الناس وخلا وحده
مغتما فكلما انسلخ يوم ازداد غما حتى هزل وخف لحمه

ومضى لذلك ثمانية وعشرون يوما فبعث اليه واخرج
فقال ما ترى قال اعز الله الملك انا اهون على الله جل
وعز من ان اعلم الغيب والله انى لم اعلم عمرى فكيف
اعلم عمر الغير ولكن لم يكن عندى دواء الا الغم
فلم اقدر اجلب اليك الغم الا بهذه الحيلة فان
الغم يذيب شحم الكلا فاجازه على ذلك واحسن
اليه غاية الاحسان وذاق حلاوة الفرج بعد مرارة
الغم **قلت** ويعجبنى قول جعفر بن شمس الخلافة
فى هذا المعنى **شعر**

هى شدة ياتى الرجاء عقيبها ... واسى يبشر بالسرور العاجل
واذا نظرت فان بوسا زائلا ... للمرء خير من نعيم زائل

ويعجبنى قوله وان كان فى غير ما نحن فيه

مدحتك السنة الانام مخافة ... وتشاهدت لك بالثناء الاحسن
اترى الزمان موخرا فى مدتى ... حتى اعيش الى انطلاق الالسن

نادرة لطيفة نقل قاضى القضاة شمس الدين بن
خلكان فى تاريخه ان الجنيد قال ما انتفعت بشى
كانتفاعى بابيات سمعتها قيل له وما هى قال مررت
بدرب القراطيس فسمعت جارية تغنى من دار وتقول

اذا قلت اهدى الهجر لى حلل البلا ... تقولين لولا الهجر لم يطب الحب
وان قلت ما اذنبت قالت مجيبة ... حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

فصعقت وصحت فبينما انا كذلك اذا صاحب
الدار قد خرج فقال ما هذا يا سيدى فقلت له
مما سمعت فقال انها هبة لك منى فقلت قد قبلت
وهى حرة لوجه الله تعالى ثم دفعتها لبعض اصحابنا
بالرباط فولدت له ولدا نبيلا وحج على قدميه ثلثين
حجة **ذكر** قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان
فى ترجمة ابى على الفارسى انه كان يوما يساير عضد
الدولة بن بويه فى ميدان شيراز فقال له لم
انتصب المستثنى فى قولنا قام القوم الا زيدا فقال
الشيخ بفعل مقدر فقال له كيف تقديره فقال

استثنى زيدا فقال له عضد الدوله هلا رفعته
وقدرت الفعل امتنع زيد فانقطع وقال هذا الجواب
ميدانى ثم انه لما رجع الى منزله وضع فى ذلك كلاما
حسنا وحمله اليه فاستحسنه وحكى ابو القاسم
احمد الاندلسى قال جرى ذكر الشعر بحضرة ابى على
الفارسى وانا حاضر فقال انى لاغبطكم على قول
الشعر فان خاطرى لا يوافقنى على قوله مع تحقيقى العلوم
التى هى من مواده فقال له رجل فما قلت قط شيا منه
فقال ما اعلم ان لى شعرا غير ثلاثة ابيات فى الشيب

وهى قوله شعرا

خضبت الشيب لما كان عيبا • وخضب الشيب اولى ان يعابا
ولم اخضب مخافة هجر خل • ولا عيبا خشيت ولا عتابا
ولكن المشيب بدا ذميما • فصيرت الخضاب له عقابا

ومن لطائف المنقول ان ابا محمد الحسن الوزير المهلبى
كان غاية فى الادب والمحبة لاهله وكان قبل اتصاله

بمعز الدولة بن بويه فى شدة عظيمة من الضرورة
والضائقة وسافر وهو على تلك الحالة ولقى فى سفره
شدة عظيمة فاشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال ارتجالا

الا موت يباع فاشتريه • فهذا العيش ما لا خير فيه
الا موت لذيذ الطعم ياتى • يخلصنى من الموت الكريه
اذا ابصرت قبرا من بعيد • وددت لو اننى مما يليه
الا رحم المهيمن نفس حر • تصدق بالوفاة على اخيه

وكان معه رفيق يقال له ابو عبد الله الصوفى وقيل
ابو الحسن العسقلانى فلما سمع الابيات اشترى له لحما
بدرهم وطبخه واطعمه وتفارقا وتنقلت الاحوال
وولى الوزارة ببغداد لمعز الدولة المذكور وضاقت
الحال برفيقه الذى اشترى له اللحم فى السفر وبلغه
وزارة المهلبى فقصده وكتب اليه شعرا

الا قل للوزير فدته نفسى • مقالة مذكر ما قد نسيه
اتذكر اذ تقول لضنك عيش • الا موت يباع فاشتريه

فلما وقف عليها تذكر الحال وهزته اريحة الكرام
فامر له بسبعمائة درهم ووقع في رقعته مثل
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة
انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة
ثم دعا به فخلع عليه وقلده عملا يرتفق به انتهى
وذكر الحريري صاحب المقامات في كتابه المسمى
بدرة الغواص ما مثاله قال حماد الراوية كان
انقطاعي الى يزيد بن عبد الملك بن مروان في خلافته
وكان اخوه هشام يجفوني لذلك فلما مات يزيد
وافضت الخلافة الى هشام خفته ومكثت في بيتي سنة
لا اخرج الا لمن اثق اليه من اخواني سرا فلما لم اسمع
احدا ذكرني في السنة امنت فخرجت وصليت الجمعة
في الرصافة فاذا شرطيان قد وقفا علي وقالا يا حماد
اجب الامير يوسف بن عمر الثقفي وكان واليا على العراق
فقلت في نفسي من هذا كنت اخاف ثم قلت لهما

تدعاني حتى اتي اهلي واودعهم ثم اصير معكما فقالا لا
ما الى ذلك سبيل فاستسلمت في ايديهما ثم صرت
الى يوسف بن عمر وهو في الايوان الاحمر فسلمت
عليه فرد علي السلام ورمى الي كتابا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام امير المومنين
الى يوسف بن عمر اما بعد فاذا قرات كتابي هذا
فابعث الى حماد الراوية من ياتيك به من غير ترويع
وادفع اليه خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير
عليه ثنتي عشرة ليلة الى دمشق فاخذت الدنانير
ونظرت فاذا جمل مرحول فركبته وسرت حتى وافيت
دمشق في اثني عشر ليلة فنزلت على باب هشام
واستاذنت فاذن لي ودخلت عليه وهو جالس على
طنفسة حمرا وعليه ثياب من حرير احمر وقد تضمخ
بالمسك فسلمت عليه فرد علي السلام واستدناني
فدنوت منه حتى قبلت رجله فاذا جاريتان لم ار

مثلهما قط فقال كيف انت وكيف حالك فقلت بخير
يا امير المومنين فقال اندري فيم بعثنا اليك قلت
لا قال بعثت بسبب بيت خطر ببالي لا اعرف قائله
قلت وما هو يا امير المومنين • قال ••
ودعوا للصبوح يوما فجاءت • قينة في يمينها ابريق
فقلت يقوله عدي بن زيد العبادي في قصيدة
قال انشدنيها فانشدته •• شعر
بكر العاذلون في وضح الصبح • يقولون لي اما تستفيق •
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله • والقلب عندكم موثوق
لست ادري اذ اكثروا العذل فيها • اعدو يلومني ام صديق •
قال حماد فانتهيت فيها الى قوله ••
ودعوا للصبوح يوما فجاءت • قينة في يمينها ابريق •
قدمته على عقار كعين الديك • صفا سلافها الراووق
مرة قبل مزجها فاذا ما • مزجت لذ طعمها من يذوق •
قال فطرب هشام ثم قال احسنت يا حماد سل •

حاجتك قال احدى الجاريتين قال هما جميعا لك
بما عليهما وما لهما فاقام عنده مدة ثم وصله بمائة
الف درهم قلت انظروا ايها المتاملون المناديب الى
نفاق رخيص الادب في ذلك العصر وكساد غاليه
في هذا العصر وشهادة الله عز وجل ان البيت الذي
طلب حماد الراويه بسببه من بغداد الى دمشق في
اثني عشر ليلة واجيز عليه بالجاريتين والمائة الف
تانف نفسي ان اضعه في قصيد من قصائدي
لرخصه وسفالته وهو •• شعر •
ودعوا للصبوح يوما فجاءت • قينة في يمينها ابريق
وكنت اود ان اكون في ذلك العصر ويسمع هشام
ابن عبد الملك من قولي في هذا الباب من قصيد
في ليلة رقم البدر المنير لها • طارا به لعصي الجوزاء نقرات •
وبات لي من لماه اذ تبسم لي • تحت الظفار صبحات وغبقات •
والراح دق على فهم فضورها • لكن لها ضاع في الكاسات نفحات

كانت علامة تخفيفي وقال فمي • هي المنازل لي فيها علامات •
مذ انشأتنا سجعنا في محاسنها • مغردين وللانشاء سجعات •
هذا وافواه كاسلي قد ابتسمت • لما جنيها ثغور لؤلؤيات •
ومن يقل حركات الهم ما سكنت • فللحباب على التسكين زمات •
قال ثعلب ما احد من الشعراء تكلم في الليل
الا قارب ولكن خالدا الكاتب ابدع في قوله ••
رقدت فلم ترث للساهر • وليل المحب بلا آخر •
ولم تدر بعد ذهاب الرقاد • ما صنع الدمع بالناظر •
وقال بعض من كان يحضر مجلس المبرد كنا نختلف اليه
فاذا كان آخر المجلس املى علينا من طرف الاخبار
وملح الاشعار ما نرتاح الى حفظه فانشدنا يوما
مرثيه زياد الاعجم في المغيرة بن المهلب وهي •
فاذا مررت بقبره فاعقر له • كوم الهجان وكل طرف سابح •
وانضح جوانب قبره بدمائها • فلقد يكون اخا دم وذبائح •
قال فخرجت من عنده وانا اديرها في لساني •

لاحفظها فاذا الشيخ قد خرج من خربة وفي يده حجر
فهم ان يرميني فتترست بالمحبرة والدفتر فقال ماذا
تقول اتشتمني فقلت اللهم لا ولكني كنت عند
استاذنا ابي العباس المبرد فانشدنا مرثية زياد
الاعجم في المغيرة بن المهلب فقال ايه ايه انشدني
ما انشدكم باردكم لا مبردكم فانشدته فقال والله ما
جود الرائي ولا انصف المرثي ولا احسن الراوي
قلت فما عساه ان يقول قال كان يقول •
احملاني ان لم يكن لكما عقر • الى جنب قبره فاعقراني •
وانضحا من دمي عليه فقد كان • دمي من نداه لو تعلماني •
قال فقلت هل رأيتنا احدا واسا احدا بنفسه قال
نعم هذا الفتى الفتح بن خاقان طرح نفسه على
المتوكل حتى خلط لحمه بلحمه ودمه بدمه ثم تركني
وولى فلما عدت الى المبرد قصصت عليه القصة
قال اتعرفه قلت لا قال ذاك اخو خالد الكاتب تأخذه

السود ايام الباذنجان انتهى • قيل كبر خالد
الكاتب حتى دق عظمه ورق جلده وقوى به
الوسواس وراى ببغداد والصبيان يتبعونه
فاستظهر الى قصر المعتصم والصبيان يصيحون
به يا بارد فقال كيف اكون باردا وانا الذى اقول
بكى عاذلى من رحمتى فرحمته • وكم مثله من مسعد ومعين
ورقت دموع العين حتى كانها • دموع دموعى لا دموع عيونى •
وحدث ابو الحسن على بن مقلة قال حدثنى ابى عن
عمه قال اجتاز بى خالد الكاتب وانا على باب
دارى بسر من راى والصبيان حوله يولعون به
فجانى لما رانى وسالنى صرفهم عنه فصرفتهم
وادخلته دارى وقلت له ما تشتهى تاكل قال
هريسه فتقدمت باصلاحها له فلما اكل قلت اى
شى تحب بعدها قال رطب فامرت باحضاره
فلما اكل وفرغ من اكله قلت له انشدنى شيا من

شعرك • فانشدنى • شعر •
تناسيت ما اوعيت سمعك يا سمعى • كانك بالضر خال من النفع •
فان كنت مطبوعا على الصد والجفا • فمن اين لى صبرا فاجعله فى طبعى •
لان كان اضحى فوق خديك روضة • فان على خدى غديرا من الدمع •
فقلت زدنى فقال لا يصيبك بهريستك ورطبك
اكثر من هذا قلت حاشية هذا المعنى اخذه
الشيخ جمال الدين بن نباته بلفظه حيث قال
اشرت الى سمعى غداة ترحلت • حديثا الى حفظ العهود بشير •
وهيج عندى قرب خدى لخدها • بكا فلا قا روضة وغدير •
اخرها نادرة لطيفة دخل ابو دلامة على المهدى
فانشده قصيدة فقال سل حاجتك فقال يا امير
المومنين هب لى كلبا فغضب وقال اقول لك سل
حاجتك فتقول هب لى كلبا فقال يا امير المومنين
الحاجة لى او لك قال بل لك قال فانى اسلك ان تهب
لى كلب صيد فامر له بكلب فقال يا امير المومنين هبنى

خرجت الى الصيد اغدوا على رجلي فامر له بدابة فقال
يا امير المومنين فمن يقوم عليها فامر له بغلام فقال
يا امير المومنين فهبني قد صدت صيدا واتيت به
المنزل فمن يطبخه فامر له بجارية فقال يا امير المومنين
هولاء اين يبيتون فامر له بدار فقال يا امير المومنين
قد صيرت في عنقي عيالا فمن اين لي ما يقوت هولاء
قال المهدي اعطوه جريب نخل ثم قال هل بقيت لك
حاجة قال نعم تاذن لي ان اقبل يدك وحكي
ان هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى بيت الله الحرام
فلما دخل الحرم قال ايتوني برجل من الصحابة فقيل
يا امير المومنين قد تفانوا قال فمن التابعين فاتي
بطاووس اليماني رحمة الله عليه فلما دخل عليه خلع
نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بامير المومنين
ولم يكنه وجلس الى جانبه بغير اذنه وقال كيف
انت يا هشام فغضب من ذلك غضبا شديدا حتى

هم بقتله فقيل له يا امير المومنين انت في حرم الله عز وجل
وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمكن ذلك
فقال يا طاووس ما حملك على ما صنعت قال وما
صنعت قال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم
تسلم علي بامير المومنين ولم تكنني وجلست بازاي
بغير اذني وقلت يا هشام كيف انت فقال له طاووس
اما خلع نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعها بين يدي
رب العزة جل وعلا في كل يوم خمس مرات فلا يعاتبني
ولا يغضب علي واما قولك لم تسلم علي بامرة المومنين
فليس كل المومنين راضيين بامرتك فخفت ان اكون
كاذبا واما قولك لم تكنني فان الله عز وجل سمى انبياءه
وقال يا داوود يا يحيى يا عيسى وكنى اعداءه فقال
تبت يدا ابي لهب واما قولك جلست بازاي فاني
سمعت امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر

الى رجل جلس وحوله قوم قيام فقال له عظني قال
انى سمعت امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يقول ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال
تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته ثم قام فخرج انتهى
نادرة لطيفة مروية عن ابن عمر وعامر الشعبي
ولكن ينبغي ان نبدا بشي من ترجمته اولا قال
الزهري العلماء اربعة ابن المسيب بالمدينة والحسن
البصري بالبصرة ومكحول بالشام والشعبي بالكوفة
ويقال انه ادرك خمسماية من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم والنادرة الموعود بذكرها حكى
الشعبي قال انفذني عبد الملك بن مروان الى ملك
الروم فلما وصلت اليه جعل لا يسئلني الا اجبته
وكانت الرسل لا تطيل الاقامة فحبسني عنده اياما
كثيرة فلما اردت الانصراف قال امن اهل المملكة
انت فقلت لا ولكني رجل من العرب فدفع الى رقعة

وقال اذا اديت الرسائل الى صاحبنا وصل اليه هذه
الرقعة قال فاديت الرسائل عند وصولي الى عبد الملك
وانسيت الرقعة فلما صرت الى الباب اريد الخروج
ذكرت الرقعة فرجعت فاوصلتها اليه فلما قراها
قال لي هل قال لك شيا قبل ان يدفعها اليك قلت نعم
قال انت من اهل بيت المملكة قلت لا ولكني رجل من
العرب في الجملة ثم خرجت من عند عبد الملك فلما
بلغت الباب طلبني فرددت فلما مثلت بين يديه
قال اتدري ما في الرقعة قلت لا قال اقراها فقراتها
فاذا فيها عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره
فقلت والله يا امير المومنين لو علمت ما فيها ما حملتها
وانما قال هذا لانه لم يرك قال افتدري لم كتبها
قلت لا قال حسدني عليك فاراد ان يغريني بقتلك
وقيل كان الشعبي ضئيلا نحيلا فقيل له في ذلك فقال
زوحمت في الرحم وكان قد ولد هو واخ اخر توام

في البطن سنتين ذكره صاحب كتاب المعارف ويقال
ان الحجاج قال له يوماً كم عطاك في السنة قال الفين
فقال له ويحك كم عطاوك فقال الفان فقال كيف
لحنت اولاً فقال لحن الامير فلحنت فلما اعرب اعربت
وما يمكن ان يلحن الامير واعرب انا فاستحسن ذلك
منه واجازه نادرة بديعة غريبة منقولة عن
سديد الملك ابي الحسن علي بن منقذ صاحب قلعة
شيزر لان سديد الدين المذكور كان مقصوداً من
البلاد ممدوحاً ومدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط
والخفاجي وغيرهما وله شعر جيد ايضاً فمنه قوله
وقد غضب على مملوكه فضربه شعر
اسطو عليه وقلبي لو تمكن من ... كفي غلهما غيظا الى عنقي
واستعير اذا عاقبته حنقا ... واين ذل الهوى من عزة الحنق
وكان موصوفاً بقوة الفطنة ويحكى عنه في ذلك
حكاية عجيبة وهي انه كان يتردد الى حلب قبل

تملكه قلعة شيزر وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك
محمود بن صالح بن مرداس فجرى امر خاف سديد الملك
منه على نفسه فخرج من حلب الى طرابلس الشام وصاحبها
يومئذ جلال الملك بن عمار فاقام عنده فتقدم محمود
صاحب حلب الى كاتبه ابي نصر محمد بن الحسين بن علي بن
النحاس الحلبي ان يكتب الى سديد الملك كتاباً يتشوقه
فيه ويستعطفه ويستدعيه الى حلب ففهم الكاتب
انه يقصد له شراً اذا جاء به اليه وكان الكاتب صديقاً
لسديد الملك فكتب الكتاب كما امر مخدومه الى ان
بلغ الى اخره وهو ان شاء الله تعالى فشدد النون وفتحها
فلما وصل الكتاب الى سديد الملك عرضه على عمار
صاحب طرابلس ومن بمجلسه من خواصه فاستحسنوا
عبارة الكاتب واستعظموا ما فيه من رغبة محمود
فيه وايثاره لقربه فقال سديد الملك اني ارى ما لا
ترون في الكتاب ثم اجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال

وكتب في جملة فصول الكتاب انا الخادم المقر بالانعام
وكسر الهمزة من انا وشدد الكتاب فلما وصل الكتاب
الى محمود ووقف الكتاب عليه سر بما فيه وقال الاصدقا
قد علمت ان الذى كتبته لا يخفى على مثله وقد اجاب
بما طيب قلبى عليه وكان الكاتب قد قصد قوله تعالى
ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك فاجاب سديد الملك
بقوله تعالى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فكانت
هذه النادرة معدومة من شدة تيقظه وفهمه
وحكى ابن الصابى فى كتاب الاعيان والاماثل
ان رجلا اتصلت عطلته وانقطعت مادته فزور
كتابا من الوزير ابى الحسن على بن الفرات وزير المقتدر
بالله العباسى الى ابى زنبور المادرائى عامل مصر
يتضمن المبالغة فى الوصايا وزيادة الاكرام وعمل
المصالح فلما دخل مصر واجتمع بابى زنبور ارتاب فى امره
لتغير لفظ الخطاب عما جرت به العادة وكون الدعا

اكثر مما يقتضيه محله فراعاه مراعاة قريبة ووصله
صلة قليلة وحبسه عنده على وعد وعده به ثم
كتب الى ابى الحسن بن الفرات يذكر الكتاب الذى
ورد عليه وانفذه بعينه فلما وقف عليه ابن الفرات
عرف الرجل وذكر ما كان عليه من الحرمة وما له من
الحقوق القديمة عليه فعرضه على كتابه وعرفهم
الصورة وعجب اليهم منها وقال لهم ما الراى فى
امر هذا الرجل فقال بعضهم تاديبه وقال اخر
قطع ابهامه وقال اجملهم محضرا يكشف لابى زنبور
امره ويرسم له بطرده وحرمانه فقال ابن الفرات
ما ابعدكم من الخير رجل توسل بنا وتحمل المشقة الى
مصر وامل الخير بجاهنا والانتساب الينا يكون
حاله عند احسنكم منظرا ان تكذبه وتخيب
سعيه والله لا كان هذا ابدا ثم اخذ القلم ووقع
على الكتاب المزور هذا كتابى ولست اعلم لم انكرت امره

واعترضك فيه شبهة ولبس كل من خدمنا تعرفه
وهذا رجل خدمني ايام نكبتي فاحسن تفقده ورفده
وصرفه فيما يعود عليه نفعه ثم ردّ الكتاب الى ابي زنبون
من يومه ومضت على ذلك مدة طويلة اذ دخل
على ابن الفرات رجل ذو هيئة مقبولة وبزة جميلة
فاقبل يدعو له ويثني عليه ويبكي ويقبل يده والارض
فقال له ابن الفرات من انت بارك الله فيك فقال
صاحب الكتاب المزوّر الى ابي زنبون الذي صححه
كرم الوزير بفضله فضحك ابن الفرات وقال كم
وصل اليك منه قال اوصل الي من ماله ومن قسط
قسّطه على عامله عشرين الف دينار فقال ابن الفرات
الحمد لله على صلاح حالك ثم اختبره فوجده كاتبًا
شديدًا فاستخدمه انتهى ذكر الحصري في كتابه
المسمى بالمصون في سر الهوى المكنون ان الجاحظ
ذكر للواثق لينادب بعض اولاده فلما راه استبشع

منظره فامر له بعشرة الاف درهم وصرفه قال الجاحظ
فخرجت من عنده فلقيت محمد بن ابرهيم وهو يريد
الانحدار الى مدينة الاسلام فعرض علي ان انحدر
معه فانحدرت ونصبت ستارة وامر بالغنا
فاندفعت عوّاده تغنّي ∴ شعر
كل يوم قطيعه وعتاب ∘ ينقضي دهرنا ونحن غضاب ∘
ليت شعري انا خصصت بهذا ∘ دون ذا الخلق ام كذا الاحباب ∘
ثم سكتت فامر طنبورية فغنت ∴ شعر
وارحمتا للعاشقينا ∘ ما ان ارى لهم معينا ∘
كم يهجرون ويصرمون ∘ ويقطعون فيصبرونا ∘
فقالت لها العوادة فيصنعون ماذا فقالت يصنعون
هكذا وضربت بيدها الى الستارة وبدت كانها
فلقة قمر ثم رمت بنفسها في الما قال وعلى راس محمد
غلام يضاهيها في الجمال وفي يده مذبة فالقى المذبة
من يده لما راى ما صنعت الجارية ثم اتى الى الموضع

شعر

تعلمينا

ونظر اليها وانشد • انا الذي عرفتني بعد القضا لو
وزج بنفسه في اثرها فادار الملاح الحراقة فاذا
بهما متعانقين ثم غاصا فهال ذلك محمدا واستعظمه
وقال يا عمرو ان لم تحدثني حديثا يسكنني عنها الحقته
بهما قال الجاحظ فحضرني خبر سليمن بن عبد الملك
وقد قعد يوما للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت
قصة فيها مكتوب ان راى امير المومنين اعزه الله ان
يخرج الى جاريته فلانة حتى تغنيني ثلثة اصوات فعل
ان شا الله تعالى فاغتاض سليمن لذلك وامر من ياتيه
براسه ثم اردفه رسولا اخر ان يدخل به اليه فلما
دخل قال ما حملك على ما صنعت فقال الثقة بحلمك
والاتكال على عفوك فامر بالقعود حتى لم يبق من
بني امية احد الا خرج ثم امر بالجارية فاخرجت
ومعها عود فقال لها غني ما يقول لك فقال الفتى غني
تالق البرق نجديا فقلت له • يا ايها البرق اني عنك مشغول

غني

فغنته فقال لسليمن تامر لي برطل فاتي به فشربه ثم قال
جيد ارجعها الينا ايدها • في يدي درعها تحل الازار •
فغنته ثم طلب رطلا ثانيا فاتي به وشربه ثم قال لها غني
افاطم مهلا بعد هذا التذلل • وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي •
فغنته فقال لسليمان تامر لي برطل فما استتم شربه
حتى صعد على الفور الى قبة لسليمن فرمى بنفسه على
دماغه فمات فقال سليمن انا لله وانا اليه راجعون
اتراه الاحمق ظن اني اخرج اليه جاريتي واردها الى ملكي
يا غلمان خذوا بيد هذه الجارية وانطلقوا بها الى اهله
ان كان له اهل والا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عليه
فلما انطلقوا بها نظرت الى حفيرة في دار سليمن اتخذت
للمطر فجذبت نفسها من ايديهم ثم قالت •
من مات عشقا فليمت هكذا • لا خير في عشق بلا موت •
فزجت بنفسها في الحفيرة فماتت فسرى عن محمد واحسن
صلته انتهى كتب ابو منصور افتكين التركي •

متولى دمشق الى عضد الدولة بن بويه كتابا مضمونه ان الشام قد صفا وصار فى يدى وزال عنه حكم صاحب مصر وان قويتنى بالاموال والعدد حاربت القوم فى مستقرهم فكتب اليه عضد الدولة جوابه هذه الكلمات وهى متشابهة فى الخط لا تقرا الا بعد النقط والضبط وهى

غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك بهذا تهدا

قال قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان تغمده الله برحمته لقد ابدع فيها غاية الابداع قلت وابدع منه قول السلامى فيه من قصيدته التى منها شعر

اليك طوى عرض البسيطة جاعل ۞ قصارى المطايا ان يلوح لها القصر
فكنت وعزمى فى الظلام وصارمى ۞ ثلاثة اشباه كما اجتمع النسر
وبشرت امالى بملك هو الورى ۞ ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

قال ابن خلكان هذا على الحقيقة هو السحر الحلال

كما يقال وقد اخذ هذا المعنى القاضى ابو بكر الارجانى وقال شعر

يا سائلى عنه لما جئت امدحه ۞ هذا هو الرجل العارى من العار
لقيته فرايت الناس فى رجل ۞ والدهر فى ساعة والارض فى دار

ولكن اين الثرا من الثريا والم ابو الطيب المتنبى ايضا بهذا المعنى لكنه ما استوفاه بقوله

هو الغرض الاقصى ورويتك المنى ۞ ومنزلك الدنيا وانت الخلائق

ومع هذا فليس لاحد منهما طلاوة بيت السلامى انتهى

نادرة لطيفه كان ابو بكر المحلى يتولى نفقات ابى المسك كافور الاخشيدى وكان له فى كل عيد اضحى عادة وهو ان يسلم الى ابى بكر المذكور بغلا محملا ذهبا وجريدة تتضمن اسما قوم من حد القرافة الى الجبانة وما بينهما قال ابو بكر المذكور وكان يمشى معى صاحب الشرطه ونقيب يعرف المنازل واطوف من بعد العشا الاخرة الى الليل حتى اسلم

اخر

ذلك الى من تضمنت اسمه الجريدة فاطرق منزل كل
انسان ما بين رجل وامراة واقول الاستاد ابو المسك
كافور يهنيك بالعيد ويقول لك اصرف هذا
في منفعتك فادفع اليه ما جعل له وفي اخر وقت
زاد في الجريدة الشيخ ابا عبد الله بن جابار وجعل
له في ذلك العيد مائة دينار فطفت في تلك الليلة
وانفقت المال في اربابه ولم يبق الا الصرة فجعلتها في
كمي وسرت مع النقيب حتى اتينا منزله بظاهر القرافة
فطرقت الباب فنزل الينا الشيخ وعليه اثر السهر
فسلمت عليه فلم يرد علي وقال ما حاجتك قلت
الاستاد ابو المسك كافور يخص الشيخ بالسلام
فقال والي بلدنا قلت نعم قال حفظه الله الله يعلم
انني ادعو له في الخلوات وادبار الصلوات
وللمسلمين بما الله عز وجل سامعه ومستجيبه قلت
وقد انفد معي نفقة وهي هذه الصرة ويسئلك

قبولها للتصرف في مونة هذا العيد المبارك فقال
نحن رعيته ونحبه في الله تعالى وما نفسد هذا بعلة
فراجعته القول فتبين لي الضجر في وجهه والقلق
واستحييت من الله تبارك وتعالى ان اقطعه عما هو عليه
فتركته وانصرفت قال فجئت فوجدت الامير قد تهيا
للركوب وهو ينتظرني فلما راني قال اية يا ابا بكر
فقلت ارجوا الله سبحانه وتعالى يستجيب فيك كل
دعوة صالحة دعيت لك في هذه الليلة وفي هذا
اليوم الشريف فقال الحمد لله الذي جعلني سببا لايصال
الراحة الى عياله ثم اخبرته بامتناع ابن جابار فقال
نعم هو جديد لم تجر بيننا وبينه معاملة قبل هذا
اليوم ثم قال لي عد اليه واركب دابة من دواب النوبة
واطرق بابه فاذا نزل اليك فانه سيقول لك الم
تكن عندنا فلا ترد عليه جوابا ثم استفتح واقرا
بسم الله الرحمن الرحيم ● طه ما انزلنا عليك القران

لتشقى • الا تذكرة لمن يخشى • تنزيلا ممن خلق الارض
والسموات العلى • الرحمن على العرش استوى •
له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت
الثرى • يا بن حابار الاستاد كافور يقول لك
ومن كافور العبد الاسود ومن مولاه ومن الخلق
ليس لاحد مع الله عز وجل ملك ولا شركة بلا شي
الناس كلهم ها هنا تدري من هو معطيك وعلى من
رددت انت ما سألت وانما هو ارسل لك يا بن حابار
ما تفرق بين السبب والمسبب قال ابو بكر فركبت
وسرت فطرقت منزله فنزل الي وقال لي مثل لفظ
كافور فاضربت عن الجواب وقرات طه ثم قلت له
ما قال لي كافور فبكى وقال ابن ما حملت فاخرجت الصرة
فاخذها وقال علمنا الاستاد كيف التصوف قلت
له احسن الله جزاك ثم عدت اليه فاخبرته فسر بذلك
وسجد شكرا لله تبارك وتعالى وقال الحمد لله على ذلك

نقل ابن خلكان في تاريخه ان ابا عبد الله محمد
ابن الاعرابي كان يزعم ان الاصمعي وابا عبيدة لا
يحسنان شيئا وكان يقول جائز في كلام العرب ان
يعاقب بين الضاد والظاء ولا يخطي من يجعل هذا
في موضع هذا وينشد • بشعر •
الى الله اشكو من خليل اوده • ثلاث خلال كلها لي غائض •
ويقول هذا سمعته بالضاد ومن النوادر اللطيفه
ورود ابي نصر الفارابي الى دمشق على سيف الدولة
ابن حمدان وهو اذ ذاك سلطانها قيل انه لما دخل
عليه وهو بزي الاتراك وكان ذاك زيه دائما فوقف
فقال له سيف الدولة اجلس فقال حيث انا او حيث
انت فقال حيث انت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى
الى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى اخرجه
عنه وكان على راس سيف الدولة مماليك وله معهم
لسان خاص يسارهم به فقال لهم بذلك اللسان

ان هذا الشيخ قد اسا الادب واني مسائله عن
اشيا ان لم يعرف بها اخرقوا به فقال له ابونصر
ايها الامير اصبر فان الامور بعواقبها فعجب سيف
الدولة منه وعظم عنده ثم اخذ يتكلم مع العلماء
الحاضرين في كل فن فلم يزل كلامه يعلوا وكلامهم
يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده ثم اخذوا
يكتبون ما يقوله فصرفهم سيف الدولة وخلا به
فقال له هل لك في ان تاكل فقال لا فقال فهل تشرب فقال
لا فقال هل تسمع فقال نعم فامر سيف الدولة
باحضار القيان فحضر كل ماهر في الصنعة بانواع
الملاهي فخطا الجميع فقال له سيف الدولة وهل
تحسن هذه الصنعة فقال نعم ثم اخرج من وسطه
خريطة ففتحها واخرج منها عيدانا وركبها ثم لعب
بها فضحك كل من في المجلس ثم فكها وغير تركيبها
وحركها فنام من في المجلس حتى البواب فتركهم نياما

وخرج وهو الذي وضع القانون وكان منفردا بنفسه
لا يجالس الناس وكان مدة اقامته بدمشق لا يكون
غالبا الا عند مجتمع المياه ومشتبك الرياض
وهناك يولف كتبه وكان ازهد الناس في الدنيا
لا يحتفل بامر مسكن ولا مكسب وسئله سيف الدولة
في مرتب من بيت المال فقال تكفيني اربعة دراهم
ولم يزل على ذلك الى ان توفي سنة تسع وثلثين وثلثمائة
بدمشق وصلى عليه سيف الدولة في اربعة من
خواصه وقد ناهز ثمانين سنة ودفن بظاهر
دمشق خارج باب الصغير رحمه الله تعالى
ومن المنقول من خط القاضي الفاضل ان نور الدين
الشهيد كتب الى راشد الدين سنان صاحب قلاع
الاسماعيلية كتابا يتهدده فيه فشق ذلك على سنان
فكتب اليه بما هو فوق الوصف في حكاية الحال وهو
يا ذا الذي بقراع السيف هددنا • لا قام مصرع جنبي حين تصرعه

ضبعه
قام الحمام الى البازى يهدده • واستيقظت لاسود الغاب
صبعه
اضحى يسد فم الافعى باصبعه • يكفيه ماذا تلاقى منه ا •
وقفنا على تفصيله وجمله • وعلمنا ما هدد نابه من
قوله وعمله • فيالله العجب من ذبابة تطن فى اذن فيل
وبعوضة تعد فى التماثيل • ولقد قالها من قبلك قوم
اخرون • فدمرنا عليهم فما كان لهم من ناصرين •
او للحق تدحضون وللباطل تنصرون • وسيعلم الذين
ظلموا اى منقلب ينقلبون • واما ما صدر من قولك
فتلك امانى كاذبه • وخيالات غير صائبه • فان
الجواهر لا تزول بالاعراض • كما ان الارواح لا
تضمحل بالامراض • فان عدنا الى الظواهر والمحسوسات
وعدلنا عن البواطن والمعقولات • قلنا اسوة
بسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى قوله ما اوذى نبى ما اوذيت • وقد علمتم ما
جرى على عترته • واهل بيته وشيعته • والحال

ما حال • والامر ما زال • ولله الحمد فى الاخرة والاولى •
اذ نحن مظلومون لا ظالمون • ومغصوبون لا غاصبون •
واذ جاء الحق زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا •
وقد علمتم ظاهر حالنا • وكيفية رجالنا • وما يتمنون
من الفوت • ويتقربون به الى حياض الموت • قل
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين • وفى امثال العامة
السائرة اوللبط تهددون بالشط • فهى للبلايا
جلابا • وتدرع للرزايا البابا • وانك لكالباحث
عن حتفه بظلفه • والجادع انفه بكفه • وما
ذلك على الله بعزيز • ومن غريب الظرف ما حكاه
ابن خلكان فى تاريخه قال حدثنى من اثق اليه ان
شخصا قال له رايت فى تواليف ابى العلا المعرى
ما صورته اصلحك الله وابقاك لقد كان من
الواجب ان تاتينا اليوم الى منزلنا الخالى لكى نحدث
بانك يا زين الاخلا فما مثلك من غير عهدا وغفل

وسئله من اى الابحر هذا وهل هو بيت واحد ام اكثر
فان كان اكثر فهل ابياته على روى واحد وهى
مختلفة الروى قال فافكر فيه ثم اجابه بجواب حسن
قال ابن خلكان فقلت للقائل اصبر حتى انظر فيه ولا
تقل ما قاله فاجابه قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان
بعد حسن النظر بما اجاب عنه ذلك الرجل وهذه
الكلمات تخرج من بحر الرجز وتشتمل على اربعة ابيات
فى روى الكلام وهى على صورة تسوغ استعمالها
عند العروضيين ومن لا يكون له بهذا الفن معرفة
ينكرها لاجل قطع الموصول منها ولا بد من الاتيان
بها لتظهر صورة ذلك • وهى •

اصلحك الله وابقاك لقد كان من آل واجب ان تاتينا اليوم الى منزلنا ال
خالى لكى نحدث بك يا زين الاخلا • لا فما مثلك من غير عهدا و غفل

قلت وعلى ذكر ابى العلا الضرير يعجبنى قول مظفر
ابن جماعة الضرير • شعر •

قالوا عشقت وانت اعمى • ظبيا كحيل الطرف المى
وحلاه ما عاينتها • فنقول قد شغفتك وهما
وخياله بك فى المنام • فما اطاف ولا الما
من اين ارسل للفؤاد • وانت لم تنظره سهما
ومتى رايت جماله • حتى كساك هواه سقما
وباى جارحة وصلت • لوصفه نثرا ونظما
فاجبت انى موسوى • العشق انصاتا وفهما
اهوى بجارحة السماع ولا • ارى ذات المسمى

• ويعجبنى ايضا قول ضرير اخر •

وغادة قالت لاترابها • يا قوم ما اعجب هذا الضرير
ايعشق الانسان ما لا يرى • فقلت والدمع بعينى غزير
ان لم تكن عينى رات شخصها • فانها قد مثلت فى الضمير

• ومثل هذا قول المهذب عمر بن الشحنه •

وانى امرؤ احببتكم لمحاسن • سمعت بها والاذن للعين تعشق

• ويتقدمه بشار بن برد بقوله •

يا قوم اذنى لبعض القوم عاشقة • والاذن تعشق قبل العين احيانا •

ونقل الشيخ جمال الدين بن نباته فى كتابه المسمى بسرح
العيون فى شرح رساله ابن زيدون عن على بن ابى طالب
رضى الله عنه انه قال سبحان الله ما ازهد كثيرا من
الناس فى الخير عجبا لرجل يجيه اخوه المسلم فى حاجة
فلا يرى نفسه للخير اهلا ولا يرجوا ثوابا ولا يخاف عقابا
وكان ينبغى له ان يسارع الى مكارم الاخلاق فانها
تدل على سبل النجاح فقام اليه رجل فقال يا امير المومنين
اسمعته من النبى صلى الله عليه وسلم قال نعم لما اتى
بسبايا طى وقفت جارية جميلة لما رايتها اعجبت بها وقلت
لاطلبنها من النبى صلى الله عليه وسلم فلما تكلمت انسيت
جمالها لفصاحتها فقالت يا محمد ان رايت ان تخلى سبيلى
ولا تشمت بى احياء العرب فانى ابنة سيد قومى
وان ابى كان يفك العانى ويشبع الجايع ويكسوا العارى
ويفشوا السلام ولا يرد طالب حاجة قط انا ابنة

حاتم الطاى فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه
صفة المومنين خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم
الاخلاق والمنقول عن حاتم فى زيادة الكرم كثير
من ذلك ما حكاه المداينى قال اقبل ركب من بنى اسد
ومن قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما فقالوا تركنا
قومنا يثنون عليك خيرا وقد ارسلوا اليك رساله
فقال وما هى فانشد الاسديون شعر النابغة فيه
فلما انشدوه قالوا انا نستحيى ان نسلك شيا وان
لنا الحاجة قال وما هى قالوا صاحب لنا قد ارجل يعنى
فقدت راحلته فقال حاتم خذوا فرسى هذه فاحملوه
عليها فاخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها
فافلت يتبع امه واتبعته الجارية لترده فصاح
حاتم ما يتبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجاريه
قيل اجواد العرب فى الجاهلية ثلاثة حاتم
الطاى وهرم بن سنان وكعب بن مامه وحاتم كان

اشهرهم ذكرا ادرك مولد النبي صلى الله عليه وسلم
وحكى الهيثم بن عدى قال تمارى ثلاثة في
اجواد الاسلام فقال رجل اسخى الناس في عصرنا هذا
عبد الله بن جعفر بن ابى طالب • وقال اخر بل اسخى
الناس عرابة الاوسى • وقال اخر بل هو قيس بن
سعد بن عبادة واكثروا الجدال في ذلك وكثر
ضجيجهم وهم بفناء الكعبة فقال لهم رجل قد اكثرتم
الجدال فلا عليكم ان يمضى كل واحد منكم الى صاحبه
يسئله حتى ننظر ما يعطيه ونحكم على العيان فقام
صاحب عبد الله بن جعفر اليه فصادفه قد وضع
رجله في غرز راحلته يريد ضيعة فقال له يا بن عم
رسول الله فقال قل ما تشاء قال ابن سبيل ومنقطع
به قال فاخرج رجله من غرز الناقة وقال له ضع
رجلك واستو على الراحلة وخذ ما في الحقيبة واحتفظ
بسيفك فانه من سيوف على بن ابى طالب رضى الله عنه

قال فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطارف خز واربعة
الاف دينار واعظمها واجلها السيف • ومضى صاحب
قيس بن سعد بن عبادة فصادفه نائما فقالت الجارية
هو نائم فما حاجتك اليه قال ابن سبيل ومنقطع به
فقالت حاجتك اهون من ايقاظه هذا كيس فيه
سبعمائة دينار والله عز وجل يعلم ان ما في دار
قيس غيره خذه وامض الى معاطن الابل الى مولى لنا
بعلامتنا فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبدا
وامض لشانك فقيل ان قيسا لما انتبه من رقدته
اخبرته الجارية بما صنعت فاعتقها • ومضى صاحب
عرابة الاوسى اليه فالفاه قد خرج من منزله يريد
الصلاة وهو يمشى على عبدين وقد كف بصره فقال
يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به قال فخلى العبدين
وصفق بيمينه على اليسرى وقال اواه اواه ما تركت
الحقوق لعرابة مالا ولكن خذهما يعنى العبدين

قال ما كنت بالذى اقضى حاجتك فقال ان لم تاخذهما
فهما حران فان شئت تاخذ وان شئت تعتق واقبل
يلتمس الحائط بيده راجعا الى منزله قال فاخذهما
وجاء بهما فثبت انهما اجود اهل عصرهما الا انهم
حكموا العرابة لانه اعطى جهده رحمة الله عليهم
نادرة غريبة حضر يعقوب بن اسحق الكندى
المسمى فى وقته بفيلسوف الاسلام مجلس احمد بن
المعتصم وقد دخل عليه ابو تمام فانشده قصيدته
المشهورة فلما بلغ الى قوله • شعر •
اقدام عمرو فى سماحة حاتم • فى حلم احنف فى ذكاء اياس
قال له الكندى ما صنعت شيا قال كيف قال ما
زدت على ان شبهت ابن امير المومنين بصعاليك
العرب وايضا فان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح
من كان قبله الا ترى الى قول العكوك فى ابى دلف
رجل ابر على شجاعة عامر • باسا وغبر فى محيا حاتم •

فاطرق ابو تمام ثم انشد • شعر •
لا تنكروا ضربى له من دونه • مثلا شرودا فى الندا والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره • مثلا من المشكاة والنبراس
ولم يكن هذا فى القصيدة فتزايد العجب منه ثم طلب
ان تكون الجائزة ولاية عمل فاستصغر عن ذلك فقال
الكندى ولوه فانه قصير العمر لان ذهنه ينحت من
قلبه وكان كما قال وقد يكون ظهرت له دلايل من
شخصه فى ذلك الوقت على قرب اجله انتهى وسمع
الكندى انسانا ينشد • شعر •
وفى اربع منى حلت منك اربع • فما انا ادرى ايها هاج لى كربى
خيالك فى عينى ام الذكر فى فمى • ام النطق فى سمعى ام الحب فى قلبى
فقال والله لقد قسمتها تقسيما فلسفيا انتهى •
نادرة لطيفة نقل الشيخ جمال الدين بن نباتة
رحمه الله فى كتابه المسمى بسرح العيون فى شرح رسالة
ابن زيدون ان واضع العود بعض حكماء الفرس

ولما فرغ منه سماه البربط تفسيره باب النجاة ومعناه
انه ماخوذ من صرير باب الجنة وجعلنا وتاره اربعة
بازا الطبايع فالزير بازا السودا والبم بازا الصفرا
والمثنى بازا الدم والمثلث بازا البلغم فاذا اعتدلت
اوتاره المرتبة على ما يجب جانست الطبايع وانبعث
الطرب وهو رجوع النفس الى الحالة الطبيعية دفعة
واحدة وبدا هذا العلم ببطليموس وختم باسحق
ابن ابراهيم الموصلي وحكى ابن حمدون في
تذكرته ان الحسن بن دحمان قال كنت بالمدينة
فخلا لي الطريق نصف النهار فجعلت اتغنى بشعر ذي يزن وهو
ما بال قومك يا رباب ● خزرا كانهم غضاب
فاذا كوة قد فتحت واذا وجه قد بدا منها يتبعه لحية
حمرا فقال يا فاسق اسات التادية ومنعت القايلة
واذعت الفاحشة ثم اندفع فغنى الصوت غناء لم
اسمع مثله فقلت اصلحك الله من اين لك هذا فقال

نشات وانا غلام يعجبني الاخذ عن المغنين فقالت
امي يا بني ان المغني اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى
غنايه فدع الغنى واطلب الفقه فتركته وتبعت
الفقها فبلغ الله تبارك وتعالى بي الى ما ترى فقلت
اعد الصوت جعلت فداك فقال لا ولا كرامة اتريد
ان تقول اخذته عن مالك بن انس فايدة غريبة
روي عن ابي سعد بن وقاص رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا
القران نزل بحزن فاذا قراتموه فابكوا فان لم تبكوا
فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن بالقران فليس منا
رواه ابن ماجة وعن ابن ابي مليكة قال قال
عبد الله بن ابي يزيد قال مر بنا ابو لبابة فاتبعناه
حتى دخل بيته فاذا رجل رث الهيئة يقول سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس منا من لم يتغن
بالقران قال فقلت لابن ابي مليكة يا ابا محمد ارايت

انلم يكن حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع
رواه ابو داود **نادرة لطيفه** تتضمن حل
المثل السائر في قولهم عن الخايب رجع بخفي حنين
المنقول عن حنين انه كان اسكافا من اهل الحيرة
ساومه اعرابي بخفين ولم يشتري منه شيا واغاضه
ذلك فخرج الى الطريق التي لابد للاعرابي من المرور
بها فعلق الفردة الواحدة في شجرة على طريقه وتقدم
قليلا وطرح الفردة الثانية واختفى فجا الاعرابي
فراى احد الخفين فوق الشجرة فقال ما اشبهه بخف
حنين لو كان معه اخر لتكلفت اخذه وتقدم فراى
الخف الاخر مطروحا فنزل وعقل بعيره واخذه ورجع
لياخذ الاول فخرج حنين من الكمين فاخذ بعيره
وذهب ورجع الاعرابي الى حيه بخفي حنين فصارت
مثلا **نادرة لطيفه** قيل ان بعض وفود العرب
قدم على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكان

فيهم شاب فقام وتقدم في المجلس فقال يا امير المومنين
اصابتنا سنون سنة اذابت الشحم وسنة اكلت اللحم
وسنة انقت العظم وفي ايديكم فضول اموال فان
كانت لنا فعلام تمنعوها عنا وان كانت لله ففرقوها على
عباد الله وان كانت لكم فتصدقوا بها علينا ان الله يجزي
المتصدقين فقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما
ترك لنا الاعرابي في واحدة عذرا انتهى **وقف**
اعرابي على حلقة الحسن البصري فقال رحم الله من
تصدق من فضلة او واسى من كفاف او اثر من قوت
فقال الحسن البصري ما ترك الاعرابي منكم احدا حتى
عمه بالسوال **قلت** هذا النوع سماه البديعيون
التقسيم **نادرة** ادبية بديعة حكى ضياء الدين
ابن الاثير في المثل السائر بعد ما اورد لغزا في الخلخال وهو

ومضروب بلا جرم ۞ مليح اللون معشوق ۞
له شكل الهلال على ۞ رشيق القد ممشوق ۞

واكثر ما يرى ابدًا * على الامشاط في السوق *
قال بلغني ان بعض الناس سمع هذه الابيات وقال
دخلت السوق فلم ار على الامشاط شيا ومن نوادر
الادب ايضًا اشارة ابن حجاج الى قول ابن نباته السعدي
في فرس اغر محجل * شعر *
غضبت صباح وقد رانى قابضًا * ايرى فقلت لها مقالة فاجر
بالله الا ما لطمت جبينه * حتى تحقق فيك قول الشاعر
* يريد بذلك قوله *
وكانما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه فخاض في احشائه
ومن المنقول المشهور ان الادب واهله كانا عند
اصحاب حماه المحروسة في الذروة العالية ولكن قصة
زكي الدين عبد الرحمن انقوصي مع الملك المظفر محمود
ابن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين
عمر بن شاهنشاه كانت على غير المعهود منه ومن سلفه
الطاهر وما ذاك الا ان زكي الدين المذكور انشد

الملك المظفر محمود قبل ان يتملك حماه *
متى اراك ومن تهوى وانت كما * تهوى على رغم راغمهم روحين في بدن
هناك انشد والامال حاضرة * هنيت بالملك والاحباب والوطن
فوعده اذا تملك حماه ان يعطيه الف دينار فلما ملكها انشد
* مولاي هذا الملك قد نلته * برغم مخلوق من الخالق *
* والدهر منقاد لما شئته * فذا اوان الموعد الصادق *
فدفع الف دينار واقام معه مدة ولزمته اسفار انفق
فيها المال الذي اعطاه ولم يحصل بيده زيادة عليه فقال
* ان الذي اعطوه لي جملة * قد استردوه قليلا قليل *
* فليتهم لم يعطوا ولم ياخذوا * وحسبنا الله ونعم الوكيل *
فبلغ ذلك المظفر فاخرجه من دار كان قد انزله بها فقال
اخرجني من كسر بيت مهدم * ولي فيك من حسن الثناء بيوت *
فان عشت لم اعدم مكانا يضمني * وانت فقد دري كم من سيموت *
فحبسه المظفر فقال ماذنبي اليك فقال وحسبي الله ونعم
الوكيل وامر بخنقه فما احسن بذلك قال

يتي

اعطيتني الالف تعظيما وتكرمة • ياليت شعري اما اعطيتني د
قلت كان حلم الملك المظفر اليق بهذا المقام الذى لم
يقصد به زكى الدين القوصى غير ترويج الادب فى
اختلاف معانيه والمداعبة به والتوصل بذلك الى
بسط الملك المظفر ولكن كان حال الزكى كقول الشاعر •
وكنت كالمتمنى ان يرى فلقا • من الصباح فلما ان راه عمى •
قلت وكان والد الملك المظفر السلطان المنصور
من كبار اهل الادب وكان احب الناس لاهله وله كتاب
طبقات الشعرا فى عشر مجلدات وسمع الحديث من
الحافظ السلفى بالاسكندرية وكان مغرما بحب الادبا
والعلما وجمع تاريخا على السنين فى عدة مجلدات ومن
مصنفاته كتابه المسمى بمضمار الحقايق وسر الخلايق
وهو كبير نفيس يدل على فضله وجمع عنده من الكتب
ما لا مزيد عليه وكان فى خدمته ما يناهز مايتى متعمم
من الفقها والادبا والنحاة والمشتغلين بالحكمة

والمنجمين والكتاب واقامت دولته ثلثين سنة وتوفى
عشرة وستماية **ومن شعره** ارنى راح وريحان
ومحبوب وشادى • والذى ساق لى الملك • له دفع الاعادى •
قلت وقد تقدم القول وتقرر ان جميع ملوك
حماة المحروسة من بنى ايوب كان لهم المام بالادب
واهله وقد تعين ان نذكر هنا ترجمة مويدهم فانه
كان بدر كمالهم ومسك ختامهم وهو الملك المويد
عماد الدين ابو الفدا اسمعيل بن الملك الافضل بن الملك
المظفر بن الملك المنصور بن الملك المظفر صاحب حماه
كان اميرا بدمشق المحروسة فخدم الملك الناصر لما
كان بالكرك وبالغ فى ذلك فوعده بحماه ووفى له بذلك
وجعله بها سلطانا يفعل فيها ما يشا من اقطاع وغيره
ليس لاحد من الدولة المصرية معه حديث واركبه
فى القاهرة بشعار الملك وابهة السلطنة ومشى الامرا
فى خدمته حتى الامير سيف الدين رغون النايب وقام

له القاضي كريم الدين بكل ما يحتاج اليه في ذلك المهم
من التشاريف والانعامات على وجوه الدولة ولقبوه
الملك الصالح ثم بعد قليل لقب بالمويد وتقدم امر
السلطان الملك الناصر الى نوابه بان يكتبوا اليه يقبل
الارض بالمقام الشريف العالي السلطاني الملكي المويدي
العمادي وفي العنوان صاحب حماه وكان الملك الناصر
يكتب اليه اخوه محمد بن قلاوون اعز الله انصار
المقام الشريف العالي السلطاني الملكي المويدي العمادي
بلا مولوي وكان الملك المويد من علما الفقه والادب
والطب والحكمة والهية ونظم الحاوي وله تاريخ
بديع وكتاب الكناش وكتاب تقويم البلدان هذبه
وجدوله واجاد فيه ما شا وله كتاب الموازين
وكان قد رتب للشيخ جمال الدين بن نباته في
كل سنة الف درهم غير ما يتحفه وهو مقيم بدمشق
وتوجه الملك المويد في بعض السنين الى الديار المصرية

ومعه ابنه الملك الافضل محمد فمرض ولده فجهز اليه
السلطان الحكيم جمال الدين بن المغربي رييس الاطبا
فكان يجي اليه بكرة وعشا فيراه ويبحث معه في مرضه
ويقرر له الادوية ويطبخ الشراب بيده في دست فضة
فقال له ابن المغربي يا مولانا السلطان انت والله ما
تحتاج لمملوك وما اجي الا امتثالا للاوامر الشريفة
ولما عوفي اعطاه بغلة بسرج ذهب ولجام وكنبوش
زركش وبقجتين قماش وعشرة الاف درهم والدست
الفضة وقال يا رييس اعذرني فاني لما خرجت من حماه
ما حسبت مرض هذا الولد ومدحه شعرا زمانه
واجازهم وبنى بظاهر حماه المحروسة جامعا حسنا
وسماه جامع الدهشة ووقف به كتبا قيل انها
ما جمعت لغيره من ساير الفنون فانه اجتهد في جمعها
من ساير البلاد شرقا وغربا وتوفي رحمه الله سنة
اثنين وثلثين وسبعمايه ومن شعره

كم من دم حللت وما ندمت * تفعل ما تشتهى فلا عدمت
سمت فلو تبلغ السموس لى * لثم مواطى اقدامها لثمت

والمنقول عن القاسم المكنى بابى دلف انه جمع بين طرفى الكرم والشجاعة وولد دمشق فى خلافة المعتصم واما شجاعته فانه لحق قوما من الاكراد قطعوا الطريق فطعن فارسا فنفذت الطعنة الى فارس اخر رديفه فقتلهما فقال بكر بن النطاح * شعر *

قالوا وينظم فارسين بطعنة * يوم الهياج ولا تراه كليلا
لا تعجبوا فلو ان طول قناته * ميل اذا نظم الفوارس ميلا

* وفيه يقول احمد بن ابى فنن *

تمشى المنايا الى غيرى فاكرهها * فكيف امشى اليها بارز الكتف
ظننت ان نزال القرن من خلقى * وان قلبى فى جنبى ابى دلف

واما شهرته بالكرم فهو الذى قال فيه ابو تمام *

يا طالبا للكيمياء وعلمها * مدح ابن عيسى الكيمياء الاعظم
لو لم يكن فى الارض الا درهم * ومدحته لاتاك ذاك الدرهم

٦٠ ودخل عليه بعض الشعراء فانشده * شعر *

ابا دلف ان المكارم لم تزل * مغلغلة تشكو الى الله محلها
فبشرها منه بميلا وقاسم * فارسل جبريلا اليها فحلها

فامر له بمال فقال الحارث لم يكن هذا القدر ببيت المال فامر له بضعفيه فقال هذا غير ممكن فامر له بضعفه فلما حمل اليه المال قال ابو دلف * شعر *

اتعجب ان رايت على دينا * وان ذهب الطريف مع التلاد
وما وجبت على زكاة مال * وهل تجب الزكاة على جواد

وفيه يقول العكوك على بن جبلة * شعر *

انما الدنيا ابو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى ابو دلف * ولت الدنيا على اثره
كل من فى الارض من عرب * بين باديه الى حضره
مستعير منك مكرمة * يكتسيها يوم مفتخره

فاعطاه ابو دلف عليها مائة الف درهم ولما بلغت المامون غضب غضبا شديدا على العكوك فطلبه فهرب

فاجتهد الى ان جاءوه به مقيدًا فلما صار بين يديه قال
له يا بن اللخنا انت القائل في مدحك لابي دلف كل
من في الارض من عرب البيتين جعلتنا ممن يستعير
المكارم منه ويفتخر به فقال يا امير المومنين انتم اهل
بيت لا يقاس بكم لان الله عز وجل اختصكم لنفسه على
عباده واتاكم الكتاب والحكمة وانما ذهبت في قولي
الى اقران واشكال لابي دلف فقال والله ما ابقيت
من احد ولقد ادخلتنا في الكل وما استحل دمك بهذا
ولكن بكفرك في شعرك حيث قلت في عبد ذليل مهين
انت الذي تنزل الايام منزلها • وتنقل الدهر من حال الى حال
وما نظرت مدى طرفك الى احد • الا قضيت بارزاق واجال
ذاك هو والله اخرجوا لسانه من قفاه ففعلوا به ذلك
فمات ومن مصنفاته اعني ابو دلف كتاب البزاه
والصيد وكتاب السلاح وكتاب النزه وكتاب سياسة
الملوك وكانت له اليد الطولى في الغنا رحمة الله عليه

وهو مترجم بذلك في كتاب الاغاني انتهى وذكر
ابو عبيدة في كتاب مثالب اهل البصرة ان النضر بن
شميل النحوي البصري كان عالما بفنون من العلم صاحب
غريب وفقه وشعر ومعرفة بايام العرب ورواية الحديث
وهو من اصحاب الخليل بن احمد فاتفق ان ضاقت به
المعيشة ورق حاله فخرج يريد خراسان فشيعه
من اهل البصرة ثلاثة الاف رجل ما فيهم الا محدث او
نحوي او عروضي او لغوي او اخباري او فقيه فلما ابعد
عن البلد جلس فقال يا اهل البصرة يعز علي فراقكم والله لو
وجدت كل يوم كيلجة باقلا ما فارقتكم قال فلم يكن
فيهم احد يتكلف له ذلك القدر اليسير وسار حتى
وصل الى خراسان فافاد بها مالا عظيما فمن ذلك انه اخذ
على حرف ثمانين الف درهم وهذه القصة نقلها
الحريري صاحب المقامات في كتابه المسمى بدرة الغواص
في اوهام الخواص قال حكي عن محمد بن ناصح

الاهوازى قال حدثنى النضر بن شميل المازنى قال
كنت ادخل على المامون فى سمره فدخلت ذات ليلة
وعلى قميص مرقوع فقال يا نضر ما هذا التقشف
حتى تدخل على امير المومنين فى هذا الخلقان قلت
يا امير المومنين انا شيخ ضعيف وحر شديد فانبرد
بهذه الخلقان قال لا ولكنك قشف ثم اجرينا الحديث
فاجرى هو ذكر النسا فقال حدثنى هشيم عن مجالد
عن الشعبى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المراة
لدينها وجمالها كانت سدادا من عوز بفتح السين
من سداد قال فقلت صدق يا امير المومنين هشيم
حدثنا عوف عن ابن ابى جميلة عن الحسن بن على
ابن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا تزوج الرجل المراة لدينها وجمالها
كان فيه سداد من عوز بكسر السين قال وكان المامون

متكيا فاستوى جالسا وقال يا نضر كيف قلت سداد
قلت نعم يا امير المومنين لان سداد بالفتح هنا لحن
قال او تلحنى قلت انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع
امير المومنين لفظه قال فما الفرق بينهما قلت السداد
بالفتح القصد فى الدين والسبيل والسداد بالكسر
البلغة وكلما سددت به شيا فهو سداد قال وتعرف
العرب ذلك قلت نعم هذا العرجى يقول
اضاعونى واى فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر
فقال المامون قبح الله من لا ادب له واطرق مليا ثم
قال ما مالك يا نضر قلت اريضة لى بمرو قال افلا
نفيدك معها مالا قلت انى الى ذلك لمحتاج قال فاخذ
القرطاس وانا لا ادرى ما يكتب ثم قال كيف تقول
اذا امرت ان يترب قلت اترب قال فهو ماذا قلت
مترب قال فمن الطين قلت طنه قال فهو ماذا قلت
مطين فقال هذه احسن من الاولى ثم قال يا غلام اتربه

ثم صلى بنا العشا وقال لخادمه تبلغ معه الى الفضل
ابن سهل قال فلما قرا الفضل الكتاب قال يا نضر ان
امير المومنين قد امر لك بخمسين الف درهم فما كان
السبب فاخبرته ولم اكذبه فقال لحنت امير المومنين
قلت كلا انما لحن هشيم وكانت لحانة فتبع امير المومنين
لفظه وقد تتبع الفاظ الفقها ورواة الاثار ثم
امر لى الفضل بثلاثين الف درهم فاخذت ثمانين
الف بحرف واحد انتهى وتحكى ان النضر بن شميل
مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال رجل منهم
يكنى ابا صالح مسح الله ما بك فقال لا تقل مسح
الله بالسين ولكن قل مصح الله بالصاد اى اذهبه
وفرقه اوما سمعت قول الاعشى ∴ شعر
واذا ما الخمر فيها ازبدت ∘ افل الازباد فيها ومصح ∘
فقال له الرجل ان السين قد تبدل من الصاد كما
الصراط والسراط وصقر وسقر فقال له النضر فاذاً

انت ابو سالح قلت ويشبه هذه النادرة ما حكى
ان بعض الادبا جوز بحضرة الوزير ابى الحسن بن الفرات
ان تقام السين مقام الصاد فى كل موضع فقال الوزير
انقرا جنات عدن يدخلونها ومن صلح من اباءهم
ام من سلح فخجل الرجل وانقطع والذى ذكره ارباب
اللغة فى جواز ابدال الصاد من السين ان كل كلمة كان
فيها سين وجا بعدها احد الحروف الاربعة وهى
الطا والخا والعين والقاف فتقول الصراط والسراط
وفى سخر لكم صخر لكم وفى مسغبه مصغبه وفى سيقل
صيقل وقس على هذا ونقل قاضى القضاة شمس الدين
ابن خلكان فى تاريخه ان ابا جعفر احمد بن يحيى البلادرى
المورخ قال كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء
فقال لست اقبل الا ممن يقول مثل قول البحترى فى المتوكل
فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما ∘ فى وسعه لسعى اليك المنبر ∘
قال البلادرى فرجعت الى دارى واتيته وقلت قد

قلت فيك احسن مما قاله البحتري فقال هاته فانشدته

ولو ان برد المصطفى اذ لبسته * يظن لظن البرد انك صاحبه

وقال وقد اعطيته ولبسته * نعم هذه اعطافه ومناكبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما امرك به فرجعت فبعث

الي سبعة الاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث من

بعدي ولك الجراية والكفاية ما دمت حيا قلت

ويعجبني من المدايح الرافلة في حلل الحشمة قول

هبة الله الاسطرلابي * شعر *

اهدي لمجلسه الكريم وانما * اهدي له ما حزت من نعمايه

كالبحر يمطره السحاب وماله * فضل عليه لانه من مايه

ومثله قول القاضي الفاضل وقد كتب الى وزير بغداد

يا ايها المولى الوزير ومن له * منن حللن من الزمان وثاقي

من شاكر عني نداك فانني * من عظم ما اوليت ضاق نطاقي

منن تخف على يديك وانما * ثقلت مؤونتها على الاعناق

قلت كان نظم القاضي الفاضل رحمه الله ونثره

كفرسي رهان ولكن نثره اكثر مما نظم واجماع الناس

انه اتى مع الاكثار بالعجايب * وذكر قاضي القضاة

شمس الدين بن خلكان في تاريخه ان مسودات رسايله

اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وهو مجيد في اكثرها

ولعمري ان الانشاء الذي صدر في الايام الاموية

والايام العباسية نسي والغي بانشاء الفاضل وما

اخترعه من النكت الادبية والمعاني المخترعة والانواع

البديعة والذي يؤيد قولي قول العماد الكاتب في

الخريدة انه في صناعة الانشاء كالشريعة المحمدية

نسخت الشرايع ومن غرر نثره هذه الرسالة التي

انشاها في حمام الرسايل وسحب فيها ذيل البلاغة

والفصاحة على سحبان وايل * وهي: سرحتها لا تزال

اجنحتها تحمل من البطايق اجنحة * وتجهز جيوش

المقاصد والاقلام اسلحة * وتحمل من الاخبار ما تحمله

الضماير * وتطوي الارض اذا نشرت الجناح الطاير *

وتروى لها الارض حتى ترى ما سيبلغه ملك هذه الامة
وتقرب منها السما، حتى ترى ما لا يبلغه وهم ولا همة
وتكون مراكبا للاغراض والاجنحة قلوعا • وتركب الجو بحر
ا تصفق فيه هبوب الريح موجا مرفوعا • وتعلق
الحاجات على اعجازها • ولا تعوق الارادات عن
انجازها • ومن بلاغات البطايق استفادة ما
هى مشهورة به من السجع • ومن رياض كتبها الفت
الرياض فهى البها دآيمة الرجع • وقد سكنت
النجوم فهى انجم • واعدت فى كنانتها فهى للحاجات
اسهم • وكادت تكون ملكة لانها رسل واذا اينطت
بالرقاع • صارت اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع
وقد باعد الله بين اسفارها وقربها • وجعلها
طيف خيال اليقظة الذى صدق العين وما كذبها
وقد اخذت عهود ادا الامانة فى رقابها اطواقا
واذ نها من اذنابها اوراقا • وصارت حوافى

مزورا الخوافى • وغطت سرها المودع بكتمان
سحبت عليه ذيول ريشها الصوافى • ترغم انف
النوى بتقريب العهود • وتكاد العيون بملاحظتها
تلاحظ انجم السعود • وهى انبيا الطير لكثرة ما
تاتى به من الانبا • وخطباها لانها تقوم على منابر
الاغصان مقام الخطبا قلت ومن غريب المنقول
انى حضرت بعض الليالى على جانب النيل المبارك
فى خدمة مولانا المقر الاشرف المرحومى القاضوى
الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب
دواوين الانشا الشريف بالممالك الاسلامية المحروسه
كان تغمده الله بالرحمة والرضوان وبيده الكريمة جزء
من تذكرة الشيخ صلاح الدين الصفدى رحمه الله بخطه
وهذه الرسالة فى اوله الجزء فشرع فى قراتها وكررها
مرارا وهو يترنم فى بديعها وغريبها ورسم فى غضون
ذلك بمعارضتها فلم اجد بدا من الشروع فى هذا

الالتزام الواجب • واوترت قوس العزم مطمئنا بهذا
الراى الصائب • وقد اوصلت هنا شمل القطعتين •
لينفكه المتامل في جنى الجنتين • وينزه نظره في
حدائق الروضتين • ويطرب لسجع حمائم الدوحتين
قلت سرح فما سرح العيون الا دون رسالته
المقبوله • وطلب السبق فلم يرض مغرق البرق جناحا
ولا استطلى صفحته المصقوله • وهمز جواد النسيم
فقصر وامست اذياله بعرق السحب مبلوله •
وارسل فاقر الناس برسالته وكتابه المصدق
وانقطع كوكب الصبح خلفه فقال عند التقصير
كنت نجابا وعلى يدى يخلق • يودى ما جا على يديه
من الترسل فيهيج الاشواق • وما برح الحمائم يحسن
الادا في الاوراق • وصحبناه على الهدى • فقال
ما ضل صاحبكم وما غوى • ومن روى عنه حديث
الفضل المسند فعن عكرمة قد روى • يطير مع

الهوى لفرط صلاحه • ولم يبق على السر المصون جناح
اذا دخل تحت جناحه • ان يبرز من مقفصه لم يبق
لطروح البرد قيمه • بل تتغزل بنت ببح اطواقه
وتعلق عليه من العين تلك التميمه • ما سجن الا
صبر على السجن وضيقة الاطواق • ولهذا احمدت
عاقبته على الاطلاق • ولا غنى على عود الا سال
دموع الندا من حدائق الرياض • ولا اطلق من كبد
الجو الا كان سهما مريشا تبلغ به الاغراض • كم علا
فصار بريش الفواد مركالاهداب لعين الشمس •
وامسى عند الهبوط لعين الهلال النعلية كالطمس
فهو الطاير الميمون والغاية السابقه • والامين
الذى اذا اودع اسرار الملوك حملها بطاقه •
فهو من الطيور التى خلا لها الجو فنقرت ما شات
من حبات النجوم • والحجا التى من اخذ عنها شرح
المعلقات فقد اعرب عن دقائق المفهوم • والمقدمه

والنتيجة للكتاب المجلي في منطق الطير • وهي من
جملة الكتاب الذي اذا وصل القاري منه الى الفتح
تهلل بفاتحة الخير • ان تصيد البازي بغير علم فكم
جمعت بين طير في كتاب • وان سلت العقبان عن
بديع السجع احجمت عن رد الجواب نعم
رعت النسور بقوة جيف الفلا • ودعى الذباب الشهد وهو ضعيف
ما قدمنا الا وارتنا من شمايلها اللطيفة نعم القادمة
واظهرت لنا من خوافيها ما كانت له خير كاتمة •
كم اهدت من مخلفها وهي غادية رايحة • وكم جنت
اليها الجوارح وهي اذا امر الله اطلاقها غير جارحة
وكم ادارت من كوس السجع ما هو ارق من قهوة
الانشا • وابهج على زهر المنثور من صبح الاعشى •
وكم عامت بحور الفضا ولم تحفل بموج الجبال •
وكم جات ببشارة وخضبت الكف ورمت من تلك
الانملة قلامة الهلال • وكم زاحمت النجوم بالمناكب

حتى ظفرت بكف الخضيب • واخذت كان قادمته
سقطت على خد الشفق لامر مريب • وكم لمع في اصيل
المشمش خضاب كفها الوضاح • فصارت بسموها
وفرط البهجة كمشكاة فيها مصباح • والله تعالى
يديم بافنان ابوابه العالية الحان السواجع • ولا
برح تغريدها مطربا بين البادي والمراجع • انتهى
قلت وذكر ضياء الدين ابو الفتح نصر الله المعروف
بابن الاثير الجزري في كتابه الذي سماه الوشي المرقوم
في حل المنظوم • فقال حدثني القاضي الفاضل عبد الرحيم
ابن علي البيساني بمدينة دمشق المحروسة سنة ثمان
وثمانين وخمسمائة وكان اذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية
ان فن الانشا كان في زمن الدولة العلوية غضا وكان
ديوان الانشا لا يخلو من راس مكانا وبيانا واذا الانشا
اقام لسلطانه بانشايه سلطانا وكان من العادة ان
كلا من ارباب البيوت اذا انشا له ولدا احضره الى الديوان

المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع
فارسلني والدي وكان اذ ذاك قاضيا بثغر عسقلان
الى الديار المصرية في ايام الحافظ العبيدي وهو احد
خلفائها فدخلت ديوان المكاتبات وكان الذي يرأس
به في تلك الايام وهو صاحب الانشاء بمصر موفق الدين
ابو الحجاج يوسف المعروف بابن الخلال فلما مثلت
بين يديه وعرفته من انا وما طلبتي رحب بي ثم قال
ما الذي اعددت لفن الانشاء وكتابته فقلت ليس
عندي سوى انني احفظ القران وكتاب الحماسة فقال
في هذا بلاغ ثم امرني بملازمته فلما ترددت اليه وتدربت
عليه وطال تدريبي بين يديه امرني ان احل عليه
ديوان الحماسة فحللته من اوله الى اخره ثم امرني ان
احله مرة اخرى فحللته انتهى ما ذكره ابن الاثير
قلت وقال عماد الدين الكاتب في كتاب الخريدة
في حق موفق الدين بن الخلال كان فن الانشاء والترسل

مدار اليه وكان في ذلك ناظر مصر وانسان ناظره
وقبلته وجامع مفاخره قلت الذي ثبت
وتقرر عند المورخين وعلماء هذا الفن ان القاضي
الفاضل رحمه الله تعالى اخذ علم الانشاء وحكمه
عن موفق الدين بن الخلال منشي الخليفة الحافظ
العلوي ورتبته في الانشاء معلومة ولكن جنحت
الى الوقوف على شيء من نظمه لانظر في الرتبتين كما
قررت ذلك في نظم القاضي الفاضل ونثره فوجدت
قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان رحمه الله تعالى
قد اورد له في تاريخه نظما دلني على انه مع نثره
رضيعا لبان وفرسا رهان فمن ذلك قوله في الشمعة
ولله دره حيث قال شعر

وصحيحة بيضاء تطلع في الدجى … صبحا وتشفي الناظرين بدائها
شابت ذوائبها اوان شبابها … واسود مفرقها اوان فنائها
كالعين في طبقاتها ودموعها … وسوادها وبياضها وضيائها

ولـه

• واغن سيف لحاظه • يفرى الحسام بحدّه •
• عجب الورى لما جنت • وقد فنيت ببعده •
• وبقا جسمي ناحلا • يصلى بوقد صديه •
• كبقا، عنبر خاله • في نار صفحة خده •

نادرة كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عدى
ابن ارطاه ان اجمع بين اياس بن معوية والقاسم بن ربيعة
فول القضا، انفذ بما تجمع بينهما فقال له اياس ايها
الرجل سل عنى وعنه فقيهى المصر الحسن وابن سيرين
وكان القاسم ياتيهما واياس لا ياتيهما ففهم القاسم
انه ان سئلهما عنه اشارا به فقال له لا تسئل عنى
ولا عنه فوالله الذى لا اله الا هو ان اياس بن معوية
افقه منى واعلم منى بالقضا، فان كنت كاذبا فما عليك
ان تولّينى وانا كاذب وان كنت صادقا فينبغى ان
تقبل قولى فقال له اياس انك جئت برجل وقفت

به على شفير جهنم فنجّى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر
الله منها وينجوا مما يخاف فقال له عدى اما اذا فهمتها
فانت لها فاستقضاه نادرة لطيفة نقل ابن
عبد ربه في العقد ان ابا سفيان زار معوية بالشام
فلما رجع من عنده دخل على الامام عمر رضي الله عنه فقال
له الامام اجدنا قال ما اصبنا شيا فنجد بك فاخذ
الامام عمر خاتمه فبعث به الى هند وقال للرسول
قل لها يقول لك ابو سفيان انظرى الخرجين اللذين جئت
بهما من عند معوية فاحضرى بهما فلم يلبث عمران
اتى بالخرجين فيهما عشرة الاف درهم فالقاها عمر
في بيت المال فلما ولى عثمان بن عفان رضي الله عنه اراد
ردّها اليه قال ما كنت لاخذ مالا عابه عمر علىّ والله ان
بنا اليه لحاجة ولكن تردّ على من قبلك فيرد عليك من
بعدك استنجاز المواعيد قلت وما ظنك بشى
جعله الله في كتابه العزيز مدحة وفخرا لانبيائه

فقال واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد
ولو لم يكن في خلف الوعد الا قول الله تبارك وتعالى
يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند
الله ان تقولوا ما لا تفعلون • وقال عمر بن الحارث
كانوا يفعلون ولا يقولون ثم صاروا يقولون ولا يفعلون
ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون فزعم انهم ظنوا
بالكذب فضلا عن الصدق ويعجبني قول
العباس بن الاحنف • شعر •

ما ضر من شغل الفؤاد ببخله • لو كان عللني بوعد كاذب
صبرا عليك فما ارى لي حيلة • الا التمسك بالرجاء الخائب
ساموت من كمد وتبقى حاجتي • فيما لديك وما لها من طالب

وذكر حبان بن سليمان عامر بن الطفيل فقال كان
والله اذا وعد الخير وفا واذا وعد الشر اخلف وهو القائل

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي • ويامن مني سطوة المتهدد
واني ان اوعدته او وعدته • ليكذب ايعادي ويصدق موعدي

وقال ابن ابي حازم

اذا قلت في شي نعم فاتمه • فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها • لئلا يقول الناس انك كاذب

ويعجبني قول عبد الصمد الرقاشي في خالد بن ديسم
عامل الري وقد ابطى عليه بوعد • شعر •

اخالد ان الري قد اجحفت بنا • وضاق علينا رحبها ومعاشها
وقد اطمعتنا منك يوما سحابة • اضاءت لها برقا وابطا رشاشها
فلا غيمها يصحو فييأس طامع • ولا ودقها يهمي فتروى عطاشها

قلت ومن البلاغة المرقصة في هذا الباب خطاب
كوثر بن زفر وقد وعده يزيد بن المهلب وابطا بوعده
وهو اصلح الله الامير انت اعظم من ان يستعان
بك او يستعان عليك ولست تفعل من الخير شيا
الا وهو يصغر عنك وانت اكبر منه وليس العجب
ان تفعل ولكن العجب ان لا تفعل • قيل ان يزيد بن
المهلب لما سمع هذا الخطاب البليغ مال سكرا وطربا

وقال له سل حاجتك قال حملت من عشيرتي عشر
ديات قال قد امرت لك بها وشفعتها بمثلها ويعجبني
قول بعضهم اما بعد فان شجر وعدك قد اورق
فليكن ثمرها سالما من جوايح المطل لطيف الاستمناح
قالت الحكما لطيف الاستمناح سبب للنجاح
والانفس ربما انطلقت وانشرحت بلطيف السوال
وانقبضت وامتنعت بجفاء السايل ولله در القايل
ان الكريم اخو المودة والنهى من ليس في حاجاته بمثقل
دخل عبد الملك بن صالح على الرشيد فقال له
اسلك بالقرابة والخاصة ام بالخلافة والعامة
قال بل بالقرابة والخاصة فقال يا امير المومنين يداك
بالعطية اطلق من لساني فاجزل عطيته وقفت
امراة على قيس بن سعد بن عبادة فقالت اشكو اليك
قلة الجرذان قال ما احسن هذه الكناية املووا لها
بيتها لحما وخبزا وسمنا نادرة لطيفة كان ابو

جعفر المنصور ايام بني امية اذا دخل البصرة دخل
متنكرا فكان يجلس في حلقة ازهر السمان المحدث
فلما افضت اليه الخلافة قدم ازهر عليه فرحب به
وقربه وقال له حاجتك يا ازهر فقال يا امير المومنين
داري منهدمة وعلي اربعة الاف درهم واريد ان ازوج
ابني محمد فوصله باثني عشر الفا وقال قد قضينا
حاجتك يا ازهر فلا تاتينا بعدها طالبا فاخذها
وارتحل فلما كان بعد سنة اتاه فقال له ابو جعفر
ما جاء بك يا ازهر فقال جيت مسلما فقال لا والله بل
جيت طالبا وقد امرنا لك باثني عشر الفا فلا تاتينا
طالبا ولا مسلما فاخذها ومضى فلما كان بعد سنة
اتاه فقال ما جاء بك يا ازهر قال اتيت عايدا فقال
لا والله بل جيت طالبا وقد امرنا لك باثني عشر الفا
فاذهب ولا تاتينا بعدها طالبا ولا مسلما ولا عايدا
فاخذها وانصرف فلما مضت السنة اقبل فقال له

ماجاء بك يا اذهر قال يا امير المومنين دعا كنت اسمعك
تدعوا به حيث لا كتبه فضحك ابو جعفر وقال الدعا
الذي تطلب غير مستجاب فاني دعوت الله به ان لا اراك
فلم يستجب لي وقد امرنا لك باثني عشر الفا وتعالى
اذا شيت فقد اعيينا فيك الحيله ودخل رجل من
الشعرا على يحيى بن خالد بن برمك فانشده

سئلت الندا هل انت حر فقال لا ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة توارثها عن والد بعد والد

فامر له بعشرة الاف درهم

اجواد الجاهلية

الذين انتهى لهم الجود ثلاثة نفر حاتم بن عبد الله الطاي
وهرم بن سنان المزني وكعب بن مامة الايادي
ولكن المضروب به المثل حاتم وحده وكان اذا اشتد
البرد وكلب الشتا امر غلامه فاوقد نارا على يفاع
الارض لينظر اليها من ضل عن الطريق ليلا فيبادر
اليها وهو القايل لغلامه يسار شعر

اوقد فان الليل ليل قر والريح يا موقد ريح صر
عسى يرى نارك من يمر ان جلبت ضيفا فانت حر

واما هرم بن سنان فهو صاحب زهير الذي يقول فيه

تراه اذا ما جيته متهللا كانك معطيه الذي انت سايله

واما كعب بن مامة الايادي فلم يات له الا ما ذكر
عنه من ايثاره رفيقه السعدي بالما حتى مات عطشا
ونجا السعدي وناهيك بهذا الكرم الذي ما سبق
اليه واما اجواد الاسلام فاحد عشر رجلا رحمة
الله تعالى عليهم في عصر واحد بعضهم قريب من بعض
لم يكن فيهم ولا بعدهم مثلهم واما اجواد
الحجاز ثلاثة في عصر واحد وهم عبد الله بن العباس
وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص واجواد
اهل البصرة خمسة في عصر واحد وهم عبد الله بن
عامر وعبد الله بن ابي بكر مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسالم بن زياد وعبيد الله بن معمر القرشي

التيمي وطلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله بن خالد
الخزاعي واجواد اهل الكوفة ثلاثة في عصر واحد
وهم عتاب بن ورقا الرياحي واسما بن خارجة وعكرمة
الفياض فمن جود عبيد الله بن العباس انه اول
من فطر جيرانه واول من وضع الموايد على الطرق
ومن جوده انه اتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين
يديه وقال له يا بن عباس ان لي عندك يدا وقد احتجت
اليها فصعّد فيه بصره وصوّبه فلم يعرفه فقال له
ما يدك عندنا قال رايتك واقفا بزمزم وغلامك
يملا لك من مايها والشمس قد صهرتك فظللتك
بطرف كساي حتى شربت فقال اجل اني لاذكر ذلك
ثم قال لغلامه ما عندك فقال مايتا دينار وعشرة
الاف درهم قال ادفعها اليه وما اراها تفي بحق
يده عندنا فقال له الرجل والله لو لم يكن لاسمعيل
ولد غيرك لكان فيك كفاية فكيف وقد ولده

سيد الاولين والاخرين ثم شفع بك وبابيك ومن
جوده ايضا ان معوية حبس على الحسين بن علي عليهما
السلم صلاته حتى ضاقت عليه فقيل له لو وجهت الى
ابن عمك عبيد الله بن عباس لكفاك وقد قدم بنحو
الف الف فقال الحسين وما مقدارها عنده والله انه
اجود من الريح اذا عصفت واسخا من البحر اذا زخر
ثم وجّه اليه رسوله بكتاب ذكر فيه حبس معوية عنه
صلاته وضيق حاله وانه يحتاج الى ماية الف فلما
قرا عبيد الله كتابه وكان ارق الناس قلبا والينهم عطفا
انهملت عيناه ثم قال ويلك يا معوية تكون لين المهاد
رفيع العماد والحسين يشكو ضعف الحال وكثرة العيال
ثم قال لقهرمانه احمل الى الحسين نصف ما نملكه
من فضة وذهب ودواب واخبره اني شاطرته مالي فان
اقنعه ذلك والا فارجع واحمل اليه الشطر الاخر فلما وصل
الرسول الى الحسين قال انا لله ثقلت على ابن عمي والله ما

حسبت انه يتسع لنا بهذا كله فاخذ الشطر من ماله
وهو اول من فعل هذا في الاسلام ومن جوده ايضا
ان معوية اهدى اليه وهو عنده في شهرين هدايا
النيروز حللا كثيرا ومسكا وانية من ذهب وفضة
ووجهها مع صاحبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب
وهو يطيل النظر فيها فقال هل في نفسك منها شي قال نعم
والله ان في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف
فضحك عبد الله وقال فشانك بها فهي لك قال جعلت
فداك اخاف ان يبلغ ذلك معوية فيغضب لذلك قال
فاختمها بخاتمك وادفعها الى الخازن فهو يحملها ليلا قال
الحاجب والله ان هذه الحيلة في الكرما اكثر من
المكرم ولو وددت ان لا اموت حتى اراك مكانه يعني
معوية فظن عبيد الله انها مكيدة منه فقال دع
هذا الكلام فانا قوم نفي بما عقدنا ولا ننقض ما
اكدنا وقال له يوما رجل من الانصار جعلت

فداك والله لو سبقت حاتما بيوم ما ذكرته العرب
ابدا وانا اشهد ان عفو جودك اكثر من مجهوده وطل
صوبك اكثر من وابله ومن جود عبد الله بن جعفر
ان عبد الرحمن بن عمارة دخل على نخاس يعرض قيانا للبيع
فشغفه حب واحدة منهن ولم يكن له جدة يتوصل بها
الى المشترى فشبب بذكرها حتى مشى اليه عطا
وطاووس ومجاهد يعدلونه في ذلك فكان جوابه ان قال
يلومني فيك اقوام اجالسهم فما ابالي اطار اللوم ام وقعا
فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم يكن له هم غيره فحج
وبعث الى مولى الجارية فاشتراها منه باربعين الف
درهم وامر قيمة جواريه ان تزينها وتحليها ففعلت
وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه فقال ما لي لا ارى
ابن عمارة زارنا فاخبر بذلك فاتى مسلما فلما ان اراد
ان ينهض استجلسه ثم قال ما فعل بك حب فلانة
قال جها في الدم واللحم والمخ والعصب قال اتعرفها ان

رايتها قال لو ادخلت الجنة لم انكرها فامرها عبد الله ان
تخرج اليه وقال له انما اشتريتها لك والله ما دنوت
منها فشانك بها بارك الله لك فيها فلما ولى قال يا غلام
احمل معه مائة الف درهم قال فبكى عبد الرحمن
وقال يا اهل البيت والله لقد اخصكم الله عز وجل
بشرف ما خص به احدًا من صلب ادم فهناكم الله بهذه
النعمة وبارك لكم فيها وقد تقرر ان اجواد الاسلام
احد عشر جوادا رحمة الله عليهم ذكرت من جود
بعضهم ما تيسر وقال صاحب العقد انه جاء
بعدهم طبقة اخرى وهي الطبقة الثانية فمنهم
الحكم بن حنطب قيل سأله اعرابي فاعطاه خمسمائة
دينار فبكى الاعرابي فقال له لعلك استقللت
ما اعطيناك قال لا والله ولكن ابكي لما تاكل الارض
منك ثم انشد يقول شعر
فكان آدم حين حان وفاته • اوصاك وهو يجود بالحوباء •

بنيه ان ترعاهم فرعيتهم • وكفيت آدم علية الابناء •
وحكى عن العتبي انه قال حدثني رجل من منبج قال
قدم علينا الحكم بن خطب وهو مملق فاغنانا فقلت
له وكيف اغناكم وهو مملق قال علمنا المكارم فعاد
غنينا على فقيرنا ومنهم معن بن زائدة كان يقال
فيه حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن معن واتاه
رجل يستحمله فقال يا غلام اعطه فرسا وبردونا وبغلا
وعيرا وبعيرا وجارية ولو عرفت مركوبا غير هؤلاء
اعطيتك ومنهم يزيد بن المهلب قيل كان هشام
ابن حسان اذا ذكره قال والله كانت السفن تجري
في بحر جوده حكى الاصمعي انه قدم على يزيد
قوم من قضاعة فقال رجل منهم • شعر
والله ما ندري اذا ما فاتنا • طلب اليك من الذي نتطلب •
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد • احدا سواك الى المكارم ينسب •
فاصبر لعادتنا التي عودتنا • اولا فارشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار ومنهم يزيد بن حاتم قيل ان ربيعة
الرى قدم مصر فاتى يزيد السلمى فلم يعطه شيا ثم عطف
على يزيد بن حاتم فشغل عنه لامر ضرورى فخرج وهو يقول
اراني ولا كفران لله راجعا • بخفى حنين من نوال ابن حاتم •
فلما فرغ يزيد من ضرورته سئل عنه فاخبر انه خرج
وهو يقول كذا وانشد البيت فارسل من يجد فى طلبه
فاتى به فقال كيف قلت فانشد البيت فقال شغلنا
عنك وعجلت علينا ثم امر بخفيه فخلعا من رجليه وملئا
مالا وقال ارجع بهما بدلا من خفى حنين ومنهم
ابو دلف واسمه القاسم وفيه يقول ابن جبله ••
انما الدنيا ابو دلف • بين مبداه ومحتضره •
فاذا ولى ابو دلف • ولت الدنيا على اثره •
وقال فيه اخر
ان سار سار المجد او حل وقف • انظر بعينيك الى اسنى الشرف
هل ناله بنقده او بتكلف • خلق من الناس سوى ابى دلف

واعطاه خمسين الف درهما ومنهم خالد بن عبد الله القسرى
قيل انه كان جالسا فى مظلة اذ نظر الى اعرابى يخب على بعير
مقبلا نحوه فقال لحاجبه اذا اقدم فلا تحجبه فلما قدم
ادخله فسلم وقال شعر
اصلحك الله قل ما بيدى • فما اطيق العيال اذ كثروا •
اناخ دهر رمى بكلكله • فارسلونى اليك وانتظروا •
فقال خالد اذا ارسلوك الى وانتظروا والله لا تنزل
حتى تعود اليهم بما يسرهم وامر بجائزة عظيمة وكسوة
شريفه ومنهم عدى بن حاتم حكى صاحب
العقد قال دخل ابو دارة على عدى بن حاتم فقال انى
مدحتك قال امسك حتى اتيك بمالى فانى اكره ان لا
اعطيك ثمن ما تقول هذه الف شاه والف درهم
وثلاثه اعبد وثلاثه اماء وفرسى هذا حبس فى سبيل
الله فامدحنى على حسب ما اجزتك فانتهى قيل
ان اروى بنت الحارث بن عبد المطلب كانت اغلظ

الوافدات على معوية خطابا وكان حلم معوية رضى
الله عنه اعظم من خطابها دخلت عليه وهى عجوز
كبيرة فلما راها معوية قال مرحبا بك يا خاله كيف
كنت بعدنا قالت بخير يا امير المومنين لقد كفرت
النعمة واسات لابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك
واخذت غير حقك من غير دين كان منك ولا من ابايك
ولا سابقة فى الاسلام بعد ان كفرتم برسول الله فاتعس
الله منكم الجدود واضرع منكم الخدود ورد الحق الى
اهله ولو كره المشركون وكانت كلمتنا هى العليا ونبينا
هو المنصور فوليتم علينا بعد فاصبحتم تحتجون على
ساير العرب بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن اقرب اليه منكم واولى بهذا منكم فكنا فيكم
بمنزلة بنى اسرايل فى ال فرعون وكان على رضى الله عنه
عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بمنزلة هرون من موسى
فغايتنا الجنة وغايتكم النار فقال لها عمرو بن العاصى

كفينى ايتها العجوز الضالة واقصرى عن قولك مع
ذهاب عقلك اذ لا تجوز شهادتك وحدك فقالت
له وانت يا بن الباغية تتكلم وامك كانت اشهر
بغى بمكة وارخصهم اجرة وادعاك خمسة نفر كلا
منهم يزعم انك ابنه فسيلت امك عن ذلك فقالت
كلا منهم اتانى فانظروا اشبههم به فالحقوه به
فغلب عليك شبه العاص بن وايل فلحقت به فقال
مروان كفى ايتها العجوز واقصدى ما جيت اليه فقالت
وانت ايضا يا بن الزرقا تتكلم ثم التفتت الى معوية
فقالت والله ما جرى هولاء غيرك وامك القايلة
فى قتل حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم
نحن جزيناكم بيوم بدر • والحرب بعد الحرب ذات سعر •
ما كان لى عن عتبة من صبر • ولا اخى وعمه وبكر •
سكنت وحشى غليل صدرى • فشكر وحشى على دهر •
حتى ترم اعظمى فى قبرى • فاجابتها ابنة عمى بقولها

خُزيتِ في بدرٍ وغير بدرٍ يا بنت جبار عظيم الكفر
فقال معوية عفا الله عما سلف يا خاله هاتي حاجتك
قالت مالي اليك حاجة وخرجت عنه وهذه العبارة
بفصها منقوله من العقد لابن عبد ربه رحمه الله تعالى
وحكى صاحب العقد ايضاً قال قدم عقيل بن
ابي طالب فاكرمه وقرّبه وقضى عنه دينه ثم قال له
في بعض الايام يا عقيل انا خير لك من اخيك علي فقال
صدقت اخي اثر دينه على دنياه وانت اثرت دنياك
على دينك فانت خير لي من اخي واخي خير لنفسه منك
لنفسك **ودخل** عقيل ايضاً على معوية وقد كف
بصره فاقعده على سريره معه ثم قال انتم معشر بني هاشم
تصابون في ابصاركم فقال عقيل وانتم معشر بني امية
تصابون في بصائركم **ودخل** عليه يوماً فقال
معوية لاصحابه هذا عقيل عمه ابو لهب فقال
عقيل وهذا معوية عمته حمالة الحطب ثم قال

يا معوية اذا دخلت النار فاعدل ذات اليسار فانك
ستجد عمي ابا لهب مفترشا عمتك حمالة الحطب فانظر
ايهما خير الفاعل ام المفعول به **وقال** له يوماً
ما ابين الشبق في رجالكم يا بني هاشم قال لكنه في
نسائكم ابين يا بني امية **وقال الجاحظ**
اجتمعت يوماً بنو هاشم عند معوية فاقبل عليهم
فقال يا بني هاشم والله ان خيري لممنوح وان بابي
لكم لمفتوح ولقد نظرت في امري وامركم فرايت
امراً مختلفاً انكم ترون انكم احق مني بما في يدي فاذا
اعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم اعطانا
دون حقنا وقصّر بنا عن قدرنا هذا مع انصاف قائلكم
واسعاف سائلكم فاقبل عليه ابن عباس رضي الله عنه
وكان جريا عليه فقال والله ما منحتنا شيا حتى سالنا
ولا فتحت لنا باباً حتى قرعناه واما هذا المال فما لك
منه الا ما لرجل واحد من المسلمين ولولا حقنا في هذا

المال لم يأتك منا اثر تحمله خف ولا حافر واما حربنا
اياك بصفين فعلى شركك الحق وادعائك الباطل
اكفاك ام ازيدك قال كفانى **قال الشعبى**
قال ابن الزبير يوما لابن عباس قاتلت ام المومنين وحوارى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما ام المومنين
فانت اخرجتها وابوك وخالك وبنا سميت ام المومنين
وكنا لها خير بنين وقاتلت انت وابوك عليا فان كان
مومنا ضللتم بقتال المومنين وان كان على كافرا
فقد بؤتم بسخط من الله بفراركم من الزحف **وذكر**
صاحب العقد ان عبد الله بن الزبير تزوج امراة من
فزارة يقال لها ام عمرو فلما دخل بها قال هل تدرين
من معك قالت نعم عبد الله بن الزبير بن العوام
ابن خويلد قال ليس هذا قالت فاى شى تريد قال
معك من اصبح فى قريش بمنزلة الراس من الجسد
لا بل العينين من الراس قالت اما والله لو ان بعض

الهاشميين حضرك قال خلافا لقولك قال فالطعام
والشراب على حرام حتى احضر الهاشميين وغيرهم ولا
يستطيعون لذلك انكارا قالت ان اطعتنى لم تفعل
وانت اخبر بشانك فخرج الى المسجد فاذا هو بحلقة
فيها جماعة من قريش وفيها من بنى هاشم عبد الله بن عباس
رضى الله عنهما وعبد الله بن الحارث بن عبد المطلب
فقال لهم ابن الزبير انى احب ان تنطلقوا معى الى منزلى
فقام القوم باجمعهم حتى وقفوا على باب بيته فقال
ابن الزبير يا هذه اطرحى عليك سترك ثم اذن للقوم
فلما اخذوا مجالسهم دعا ابن الزبير بالمائدة فتغدى
القوم فلما فرغوا قال ابن الزبير انما دعوتكم لحديث
رددته على صاحبة هذا الستر وزعمت ان لو كان
بعض بنى هاشم حاضرا اما اقرلى بما قلت وقد حضرتم
جميعا والحديث الذى رددته على قلت لها ليلة الدخول
بها ان معها فى خدرها من اصبح من قريش بمنزلة الراس

في الجسد لا بل العينين من الراس فردّت على مقالك
فقال ابن عباس ان شئت اقول وان شئت اكفف
قال بل قل وما عسيت ان تقول الست تعلم انى ابن الزبير
حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان امى اسما
بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنه ذات النطاقين
وان خديجة سيدة نساء اهل الجنة عمتى وان صفية
عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جدتى وان عايشه
ام المومنين خالتى فهل تستطيع لهذا انكارا يا بن
عباس قال ابن عباس لا ولقد ذكرت شرفا شريفا
وفخرا عظيما غير انك بنا نلت ذلك كله فانت
تفاخر من بفخرهم فخرت وتسامى من بفضله سموت قال
ابن الزبير وكيف ذلك قال لم تذكر فخرا الا برسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحن اهل بيته واقرب اليه
واولى بالفخر به قال ابن الزبير فانا افاخرك بما كان
قبل النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لقد

انصفت اسالكم الله ايها الحضور عبد المطلب كان
اشرف فى قريش او خويلد قالوا اللهم عبد المطلب
قال فاسالكم اهاشم كان اشرف فى قريش ام امية
قالوا بل هاشم قال فاسالكم بالله اعبد مناف كان
اشرف ام عبد العزى قالوا اللهم عبد مناف

فانشاء ابن عباس يقول

تنافرنى يا بن الزبير وقد قضى • عليك رسول الله لا قول هازل
فلو غيرنا يا بن الزبير فخرته • ولكنما ساميت شمس الاصائل

قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما افترقت
فرقتان الا وكنت فى خيرهما فقد فارقك من لدن
قصى بن كلاب فنحن فى فرقة الخير اولا ونحن فى فرقة
الخير اخرا فان قلت نعم خصمت وان قلت لا كفرت
قال فضحك بعض القوم وقالت المراة من خلف الستر
اما والله لقد نهيته عن هذا المجلس فابى الا ما ترى
فقال ابن عباس مه ايتها المراة اقنعى ببعلك واخذ

القوم بيد ابن عباس وقالوا انهض ايها الرجل فقد اقحمته
في منزله غير مرة فنهض ابن عباس وهو يقول ∴
الا يا قومنا ارتحلوا وسيروا ∴ فلو ترك القطا ليلاً لناما
وحكى صاحب العقد قال بينما معوية جالس وعنده
وجوه الناس اذ دخل رجل من اهل الشام فقام خطيباً
ولعن علياً رضي الله عنه فاطرق الناس وفيهم الاحنف
فقال الاحنف يا امير المومنين ان هذا القايل لو يعلم ان
رضاك في لعن المرسلين لعنهم فاتق الله عز وجل ودع
عنك علياً فقد لقي ربه وافرد في قبره وخلا بعمله
وكان والله مبرزاً في سبقه طاهر الثوب ميمون النقيبه
عظيم المصيبه فقال له معوية يا احنف لقد اغضت
العين على القذا اما والله لتصعدن المنبر وتلعن
علياً طوعاً او كرهاً فقال ان امراً ان تعفيني خير لك وان
تجبرني على ذلك فوالله لا تجدني شفتياً به ابداً قال
وما انت قايل يا احنف قال احمد الله واصلي على نبيه

ثم اقول ان امير المومنين امرني ان العن علياً ومعوية
وعلى اقتتلا واختلفا وادعى كل واحد منهما انه مبغي
عليه فاذا دعوت فامنوا رحمكم الله اللهم العن انت
وملايكتك وانبيائك وجميع خلقك الباغي منهما على
صاحبه والعن الفئة الباغية امنوا رحمكم الله يا معوية
لا ازيد على هذا ولا انقص ولو كان فيه ذهاب نفسي
فقال معوية اذا اعفيتك انتهى وقال معوية
لعقيل ان علياً قطعك ووصلتك ولا يرضيني منك
الا ان تلعنه على المنبر قال افعل فصعد المنبر وحمد
الله عز وجل واثنى عليه ثم قال ان امير المومنين امرني
ان العن علياً فالعنوه لعنه الله والملايكة والناس
ثم نزل فقال له معوية يا عقيل انك لم تبين من المراد
منا قال والله لا ازدت حرفاً والكلام راجع الى نية
المتكلم ومن غرايب المنقول ما نقل عن منصور بني
العباس وهو انه وعد الهذلي بجائزة ونسي فحجا معاً

ومرّ في المدينة النبويّة ببيت عاتكة فقال الهذلي
يا امير المومنين هذا بيت عاتكة التي يقول فيها الاحوص
يا دار عاتكة التي اتعزل ۰ فانكر عليه امير المومنين
المنصور ذلك لانه تكلم من غير ان يسئل فلما رجع الخليفة
نظر في القصيدة الى اخرها ليعلم ما اراد الهذلي بانشاء
ذلك البيت من غير استدعا فاذا فيها ۰ شعر ۰
واراك تفعل ما تقول وبعضهم ۰ مذق اللسان يقول ما لا يفعل
فعلم المنصور انه اشار الى هذا البيت فتذكر ما
وعد به وانجز واعتذر اليه من النسيان ومثله
ما حكي ان ابا العلا المعري كان يتعصب لابي الطيب
المتنبي فحضر مجلس المرتضى فجرى ذكر ابي الطيب فهضم
من جانبه المرتضى فقال ابو العلا لو لم يكن لابي الطيب
من الشعر الا قوله ۰ لك يا منازل في القلوب منازل
لكفاه فغضب المرتضى وامر به فسحب واخرج وبعد
اخراجه قال المرتضى هل تدرون ما عنى بذكر البيت

لا والله قال عنى به قول ابي الطيب في القصيدة ۰
واذا اتتك مذمتي من ناقص ۰ فهي الشهادة لي باني فاضل ۰
ومثله قصة السري الرفا مع سيف الدولة بسبب
المتنبي ايضا فان السري الرفا كان من مداح سيف الدولة
وجرى يوما في مجلسه ذكر ابي الطيب فبالغ سيف الدولة
في الثنا عليه فقال له السري اشتهي ان الامير ينتخب
لي قصيدة من غرر قصايده لاعارضها ويتحقق الامير
بذلك انه ركب المتنبي في غير سرجه فقال له سيف
الدولة على الفور عارض لنا قصيدته القافية التي مطلعها
لعينيك ما يلقى الفواد وما لقي ۰ وللحب ما لم يبق مني وما بقي ۰
قال السري فكتبت القصيدة واعتبرتها في تلك الليلة
فلم اجدها من مختارات ابي الطيب لكن رايته يقول
في اخرها عن ممدوحه ۰ شعر ۰
اذا شاء ان يلهو بلحية احمق ۰ اراه غباري ثم قال له الحق ۰
فقلت والله ما اشار سيف الدولة الا الى هذا البيت

فاحجمت عن معارضة القصيد **ومثله** ما حكاه
الجوزي في كتاب الاذكيا وهو من الغرايب في هذا الباب
حكى ان رجلاً من طلبة العلم قعد على جسر بغداد يتنزه
فاقبلت امراة بارعة في الجمال من جهة الرصافة الى
الجانب الغربي فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله علي
ابن الجهم فقالت له المراة رحم الله ابا العلا المعري
وما وقفا بل سارا مشرقاً ومغرباً قال الرجل فتبعت
المراة وقلت والله ان لم تقولي لي ما اراد بابن الجهم
فضحكت قالت اراد بقوله ∴ **شعر** ∴
عيون المها بين الرصافة والجسر • جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري
واردت انا بابي العلا قوله ∴ **شعر** ∴
فيا دارها بالخيف ان مزارها • قريب ولكن دون ذلك اهوال
ومثله ما هو منقول عن الامام الحافظ فتح الدين
ابي الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري
ان الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله تعالى ∴

دخل الى الجامع الازهر فوجد ابا الحسين الجزار جالسا
والى جانبه مليح ففرق بينهما وصلى ركعتين ولما فرغ قال لابي
الحسين ما اردت الا قول ابن سنا الملك فقال
ابو الحسين الجزار وانا تفاءلت بقول صاحبنا السراج
الوراق انتهى **اما** مراد الشيخ بهاء الدين فهو اشارة
الى قول ابن سنا الملك ∴ **شعر** ∴
• انا في مقعد صدق • بين قواد وعلق •
واما مراد ابو الحسين الجزار من قول السراج الوراق
هو • ومهفهف راضي الابي فقاده سلس القياد •
• لما توسط بيننا • جرت الامور على السداد •
فبلغ كل منهما ما اراد من صاحبه ولم يشعر احد بمراد
الاثنين غيرهما **قلت** وبالنسبة الى هذا الذكاء
المفرط الصادر من هولاء القوم يتعين ان نورد هنا
نبذة من كتاب الاذكيا لابن الجوزي **فمن ذلك**
ما روي عن منصور بني العباس وهو انه جلس يوما

في احدى قباب المدينة فراى رجلاً ملهوفاً يجول في
الطرقات فارسل من اتاه به فسئله عن حاله فاخبره
انه خرج في تجارة فافاد مالا كثيرا وانه رجع به الى
زوجته ودفع المال اليها فذكرت المراة ان المال
سرق من المنزل ولم يرَ نقبا ولا مسلقا فقال له
المنصور منذ كم تزوجتها قال منذ سنة قال
تزوجتها بكرا ام ثيبا قال ثيبا قال شابة ام مسنة
قال شابة فدعا المنصور بقارورة طيب وقال
تطيب بهذا فهو يذهب همك فاخذها وانقلب
الى اهله فقال المنصور لجماعة من ثقاته اقعدوا
على ابواب المدينة فمن مر بكم وشممتم منه روائح
هذا الطيب فاتوني به ومضى الرجل بالطيب الى
بيته فدفعه الى المراة وقال هذا من طيب امير المومنين
فلما شمته اعجبها الى الغاية فبعثت به الى رجل كانت
تحبه وهو الذي دفعت اليه المال فقالت له تطيب

بهذا الطيب فتطيب به ومر مجتازا ببعض الابواب
ففاحت منه روائح الطيب فاخذ واتى به الى المنصور
فقال له من اين استفدت هذا الطيب فتلجلج في كلامه
فسلمه الى صاحب شرطته وقال له ان احضر كذا
وكذا من الدنانير فخله والا فاضربه الف سوط فما
هو الا ان جرد وهدد اذعن برد الدنانير وردها
كهيأتها فاعلم المنصور بذلك فدعى صاحب الدنانير
وقال له ارايتك ان رددت عليك متاعك بعينه
اتحكمني في امراتك قال نعم يا امير المومنين قال
هاك دنانيرك وقد طلقت امراتك وقص عليه الخبر
فمن ذلك ما روى عن المهدى وهو ان شريك بن
عبد الله القاضي دخل عليه يوما فاراد المهدى ان
يبخره فقال للخادم احضر للقاضي عودا فذهب
الخادم فجاء بالعود الذي يلهى به فوضعه في حجر
شريك فاضطرب شريك من ذلك فقال ما هذا

يا امير المومنين قال عود اخذه صاحب العسس البارحة
فاحببنا ان يكون كسره على يد القاضي فقال شريك
جزاك الله خيرا يا امير المومنين ثم افاضوا في حديث
حتى نسي الامر فقال المهدي لشريك ما تقول في رجل
امر وكيلا له ان ياتيه بشي بعينه فجاء بغيره فتلف
ذلك الشي فقال يضمن يا امير المومنين فقال للخادم
اضمن ما تلف ومن ذلك انه قدم رجل الى بغداد
ومعه عقد يساوي الف دينار فاراد بيعه فلم ينفق
فجاء الى عطار موصوف بالخير والديانة فاودع
العقد عنده وحج واتى بهدية للعطار وسلم عليه
فقال له من انت ومن يعرفك فقال انا صاحب العقد
فما كلمه حتى رفسه القاه عن دكانه فاجتمع الناس
وقالوا ويلك هذا رجل صالح فما وجدت من تكذب
عليه الا هذا فتحير الحاج وتردد اليه فما زاده الا
شتما وضربا فقيل له لو ذهبت الى عضد الدولة

تحصل لك من فراسته خير فكتب قصة وجعلها على
قصبة ورفعها اليه فقال ما شانك فقص عليه القصة
فقال اذهب غدا واجلس على دكان العطار ثلثة ايام
حتى امر عليك في اليوم الرابع واقف واسلم عليك
فلا تزدني على رد السلام فاذا انصرفت فاعد عليه
ذكر العقد ثم اعلمني بما يقوله لك ففعل الحاج ذلك
فلما كان في اليوم الرابع جاء عضد الدولة في موكبه
العظيم فلما راى الحاج وقف وقال له سلام عليكم
فقال الحاج ولم يتحرك وعليكم السلام فقال يا اخي
تقدم العراق ولا تاتينا ولا تعرض علينا حوايجك
فقال له ما اتفق هذا ولم يزده على ذلك شيا هذا
والعسكر واقف بكماله فاندهل العطار وايقن بالموت
فلما انصرف عضد الدولة التفت العطار الى الحاج
وقال له يا اخي متى اودعتني العقد وفي اي شي هو ملفوف
فذكرني لعلي اذكر فقال من صفته كذا وكذا فقام

وفتش جرابا ثم اخرج منه العقد وقال له الله عز وجل
يعلم انى كنت ناسيا ولم تذكرنى ما ذكرت فاخذ
الحاج عقده ومضى الى عضد الدولة فاعلمه فعلقه
فى عنق العطار وصلبه على باب دكانه ونودى هذا
جزاء من استودع فجحد ثم اخذ الحاج العقد ومضى
به الى بلاده ومثله ما نقل عن ذكاء اياس الذى
سارت به الركبان قيل ان رجلا اودع امين اياس
مالا وخرج المودع الى الحجاز فلما رجع طلبه فجحده فاتى
اياسا فاخبره فقال له اياس اعلمته انك اتيتنى قال لا
قال فنازعته عند غيرى قال لا قال فانصرف واكتم
امرك ثم عد الى بعد يومين فمضى الرجل فدعى اياس
امينه فقال قد حضر عندنا مال كثير اريد ان اسلمه
اليك الحصين منزلك قال نعم قال فاعد موضعا
للمال وقوما يحملونه وعاد الرجل الى اياس فقال له
انطلق الى صاحبك فان اعطاك المال فذاك وان جحد

فقل له انى اخبر القاضى بالقصة فاتى الرجل صاحبه فقال
تعطينى الوداعة او اشكوا الى القاضى واخبره بالحال
فدفع اليه المال فرجع الرجل واخبر اياسا وقال اعطانى
الوداعة وجاء الامين الى اياس لياخذ المال الموعود
به فزبره وقال لا تقربنى بعدها يا خاين ومثله
انه ولى القضاء بواسط رجل مشهور بالدين والذكاء
المفرط فجاءه رجل استودع بعض الشهود كيسا مختوما
ذكر ان فيه الف دينار فلما حصل الكيس عند الشاهد
وطالت غيبة المودع ظن انه قد مات فهم بانفاق
المال وخشى من مجىء صاحبه ففتق الكيس من اسفله
واخذ الدنانير وجعل مكانها دراهم واعاد الخياطة
كما كانت فقدر ان الرجل حضر الى واسط وطالب
الشاهد بوداعته فاعطاه الكيس بختمه فلما حصل
فى منزله فض ختمه فاذا فى الكيس دراهم فرجع الى
الشاهد وقال له اردد على مالى فانى اودعتك دنانير

والذى وجدت دراهم فانكر فاستعدا عليه
القاضى المقدم ذكره فلما حضرا بين يديه قال الحاكم
للمستودع منذ كم اودعك الكيس فقال منذ خمس
عشره سنه فقال القاضى لصاحب الكيس احضر لى
الدراهم فاحضرها فقال القاضى للشهود اعتبروا
تواريخ الدراهم فقروا سككها فاذا منها ماله
مدة سنتين وثلاث ونحوه فامر ان يدفع له الدنانير
فدفعها وعزر القاضى وطاف به البلد واسقطه
ومثله بل اغرب منه ان رجلا استودع رجلا مالا
ثم طلبه فجحده فخاصمه الى اياس وقال المدعى انى
اطالبه بمال اودعته اياه وقدره كذا وكذا قال
ومن حضرك قال رب العزة جل وعلا كان حاضرا قال
دفعته اليه فى اى مكان قال فى موضع كذا وكذا
قال فاى شى تعهده فى ذلك الموضع قال شجرة كبيرة
قال فانطلق الى الموضع فانظر الى الشجرة لعل الله تعالى

يظهر لك علامة تبين بها حقك او لعلك دفنت مالك
تحت الشجرة ونسيت فتذكر اذا رايت الشجرة فمضى
الرجل مسرعا فقال اياس للرجل المدعى عليه اقعد حتى
يرجع خصمك فجلس واياس يقضى بين الناس وينظر
اليه بعد ذلك ثم قال له يا هذا اترى صاحبك بلغ
موضع الشجرة التى قال فقال له لا والله قال يا عدو
الله انك لخائن فقال اقلنى اقالك الله فامر من
يحتفظ به حتى جا الرجل فقال اياس قد اقر لك بحقك فخذه
ومن لطايف المنقول من كتاب الاذكيا ان يحيى
ابن اكثم ولى القضا بالبصرة وسنه عشرون سنة
فاستصغره اهل البصرة فقال احدهم كم سن القاضى
فعلم يحيى انه استصغر فقال انا اكبر من عتاب بن
اسيد حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قاضيا على اهل مكة يوم الفتح وانا اكبر من معاذ
ابن جبل حين وجه به رسول الله صلى الله عليه وسلم

قاضيًا على اهل اليمن وانا اكبر من كعب بن سور حين
ولاه عمر بن الخطاب قاضيًا على اهل البصرة قال فعظم
فى اعين اهل البصرة وهابوه ومن المنقول من كتاب
الاذكياء ان بعض اللصوص دخل بيتا ومعه جماعة
تحت نهبه وامره فى السرقه والقتل فظفروا بصاحب
البيت واوقفوه للقتل فدخل عليهم فى ابقاء روحه
فدخلوا على كبيرهم وسألوه فى ابقاء روحه
واخذ ما فى البيت بكماله فقال كبيرهم حلفوه
بالطلاق الثلاث وعلى المصحف انه لا يذكرنا الا بخير
فحلف لهم بالطلاق الثلاث وعلى المصحف ان لا يعلم
بهم احد فاصبح الرجل يرى اللصوص يبيعون متاعه
ولا يقدر ان يتكلم لاجل اليمين فجاء الى الامام ابى حنيفه
رضى الله عنه واعلمه بحاله فقال له احضر اكابر
حيك واعيان جيرانك وجماعتك فلما حضروا
قال لهم ابو حنيفة هل تحبون ان يرد الله تعالى على

هذا الرجل متاعه فقالوا نعم فقال اجمعوا كل داعر منهم
فادخلوهم الجامع ثم اخرجوهم واحدًا واحدًا
وكلما خرج منهم واحد قولوا له هذا لصك فان كان
ليس بلصه قال لا وان كان لصه فليسكت فاذا سكت
اقبضوا عليه ففعلوا ذلك فرد الله تعالى عليه جميع
ماسرق له ومنه ان الربيع حاجب المنصور وكان يعادي
اباحنيفة فحضر يوما عند امير المومنين فقال الربيع
يا امير المومنين ان اباحنيفه تخالف جدك ابن عباس
وكان جدك يقول اذا حلف الرجل على يمين ثم استثنى
بعد ذلك بيوم او بيومين كان ذلك جائزا وقال
ابوحنيفة لا يجوز الاستثناء الا متصلا باليمين
فقال ابوحنيفة يا امير المومنين ان الربيع يزعم ان ليس
لك فى رقاب جندك بيعة قال وكيف قال يحلفون
لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل ايمانهم
فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تتعرض لابى حنيفه

ومنه ان الامام ابي حنيفه رضي الله عنه قال دخلت
البادية فاحتجت الى الما فجاني اعرابي ومعه قربة
ملانة فابى ان يبيعها الا بخمسة دراهم فدفعتها
له ثم اخذت القربة وقلت يا اعرابي ما رايك في السويق
فقال هات فاعطيته سويقا ملتوتا بزيت فجعل
ياكل ويمسح فمه حتى امتلا ثم عطش فقال شربة فقلت له
بخمسة دراهم على قدح من ما فاسترددت الخمسة
وبقي الما ومنه ان رجلا استودع رجلا بالكوفة مالا
ورجع فطلبه فجحده وجعل يحلف له فانطلق الرجل الى
ابي حنيفه فخلا به واخبره بامره فقال له الامام لا تعلم
احدا بجحوده وكان الرجل يجالس ابا حنيفه فقال له
وقد خلالهما المكان ان هولا بعثوا يستشيروني في رجل
صالح يصلح للقضا وقد اخترتك فانصرف من عند
الامام وقد قطع بذلك ثم جا صاحب الوديعه فقال
له الامام ارجع الى صاحبك وذكره لاحتمال ان يكون

ناسيا فذهب اليه وسئله فلم يحتج معه الى علامة بل
دفع اليه متاعه وتوجه بعد ذلك الى ابي حنيفة فقال
ابو حنيفة اني نظرت في امرك فرايت ان ارفع قدرك
ولا اسميك حتى تحضر ما هو انفس من هذا ومنه
انه كان بجوار ابي حنيفة شاب يغشى مجلسه فقال له
يوما يا امام اني اريد التزوج الى فلان من اهل الكوفة
وقد خطبت اليه فطلب من المهر فوق ما وسعي وطاقتي
فقال ابو حنيفه فاستخر الله تعالى واعطهم ما طلبوا
فلما عقدوا النكاح جا الى ابي حنيفة فقال له اني
سالتهم ان ياخذوا مني البعض ويدعوا البعض عند
الدخول فابوا فما ترى قال احتل واقترض حتى تدخل
باهلك فان الامر يكون اسهل عليك من تعقيدهم
ففعل ذلك فلما زفت عليه ودخل بها قال له ابو حنيفة
ما عليك ان تظهر الخروج باهلك عن هذا البلد الى
موضع بعيد فاكترا الرجل جملين واحضر الات السفر

وما يحتاج اليه واظهر انه يريد الخروج من البلد في
طلب المعاش وان يصحب اهله معه فاشتد ذلك على
اهل المراة وجاوا الى ابي حنيفة يستشيرونه فقال
لهم ابو حنيفة له ان يخرجها الى حيث شا، فقالوا لم
نصبر على ذلك قال فارضوه بان تردوا عليه ما اخذ تم
منه فاجابوه الى ذلك فقال ابو حنيفة للفتى ان القوم
قد سمعوا واجابوا الى ان يردوا عليك ما اخذوا
منك من المهر ويبروك منه فقال الفتى لا بد من
زيادة اخذها منهم فقال ابو حنيفه ايما احب اليك
ان ترضى بما بذلوه لك والا اقرت المراة لرجل بدين
يزيد على المهر ولا يمكنك حملها ولا السفر بها
حتى تقضي ما عليها من الدين فقال الفتى الله الله يا امام
لا يسمع احد منهم بذلك ثم اجاب واخذ ما بذلوه
من المهر ومنه ان رجلا جا، الى ابي حنيفه وقال
يا امام دفنت مالا من مدة طويلة ونسيت الموضع

الذي دفنته به فقال له الامام ليس في هذا فقه
فاحتال لك ولكن اذهب فصلي الليلة الى الغداة
فانك ستذكره ان شا الله عز وجل ففعل فلم يمض
اقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع فجا، الى ابي حنيفه
فاخبره فقال قد علمت ان الشيطان لا يدعك تصلي
الليل كله فهلا اتممت ليلتك شكرا الله تعالى ومنه
قيل ان بعضهم كانت له زوجة جميلة وكان يحبها
حبا شديدا وتبغضه بغضا شديدا ولم تزل المنافرة
بينهما البته فاضجره ذلك وطالت مدة تجريها عليه
في تغليظ الخطاب فقال لها يوما انت طالق ثلاثا بتاتا
ان خاطبتيني بشي ولم اخاطبك بمثله فقالت له في
الحال انت طالق ثلاثا بتاتا فابلس الرجل ولم يدر
ما يجيب وخاف في جوابها من وقوع الطلاق فارشد
الى ابي جعفر الطبري رحمة الله عليه فاخبره بما جرى
فقال له اذا طالبتك بالجواب فقل لها انت طالق

ثلاثًا بتاتًا ان انا طلقتك فتكون قد خاطبتها ووفيت
بيمينك ومنه ان ذا النون المصري كان يعرف الاسم
الاعظم قال يوسف بن الحسين لما تحققت عنه ذلك
قصدت مصر وخدمته سنة ثم قلت رحمك
الله اني قد خدمتك ووجب حقي عليك واشتهي ان
تعرفني اسم الله الاعظم فلا تجد له موضعًا مثلي
قال فسكت ولم يجبني ستة اشهر واوما الي انه يعلمني
ثم اخرج من بيته طبقا ومكبة وقد شدها بمنديل
وكان ذا النون يسكن الجيزة فقال تعرف فلانا صديقنا
من الفسطاط قلت نعم قال فاحب ان تودي هذا اليه
قال فاخذت الطبق وهو مشدود وجعلت امشي
طول الطريق واقول مثل ذا النون يوجه الى فلان
بهديه ترى ايش هي فلم اصبر الى ان بلغت الجسر
فحللت المنديل ووقعت المكبة فاذا فارة قفزت
من الطبق ومرت فاغتظت غيظا شديدا وقلت

111

ذو النون يسخر بي ويوجه مع مثلي فارة فرجعت على ذلك
الغيظ فلما راني عرف ما في وجهي فقال يا احمق ايتمنك
على فارة فخنتني فكيف ايتمنك على اسم الله العظيم الاعظم
مر عني فلا اراك بعدها ومن ذلك ما هو منقول
عن الافراط في ذكاء العرب • قيل توجه مضر وربيعة
واياد وانمار اولاد نزار بن معد الى ارض نجران فبينما هم
يسيرون اذ راى مضر كلأ قد رعي فقال مضر البعير
الذي رعى هذا اعور فقال ربيعة وهو ازور وقال
اياد وهو ابتر وقال انمار وهو شرود فلم يسيروا الا
قليلا حتى لقيهم رجل على راحلة فسألهم عن البعير
فقال مضر اهو اعور قال نعم قال ربيعة اهو ازور
قال نعم قال اياد اهو ابتر قال نعم قال انمار اهو
شرود قال نعم هذه والله صفات بعيري دلوني
عليه فحلفوا انهم ما راوه فلزمهم وقال كيف
اصدقكم وانتم تصفون بعيري بصفته فساروا

حتى قربوا نجران فنزلوا بالافعى الجرهمي فنادى صاحب
البعير هولاء القوم وصفوا الى بعيرا بصفته ثم انكروه
فقال الجرهمي كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رايته
يرعى جانبا ويدع جانبا فعلمت انه اعور وقال
ربيعة احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدة
الاثر فعلمت انه افسدها بشدة وطئه لازوراره
وقال اياد عرفت بتره باجتماع بعره ولو كان ذيالا
لتفرق وقال انمار انما عرفت انه شرود لكونه
كان يرعى في المكان الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان
ارق منه واخبث فقال الافعى ليسوا باصحاب بعيرك
فاطلبه ثم سئلهم منهم فاخبروه فرحب واضافهم
وبالغ في اكرامهم ومنه ان عقبة الازدي كان
مشهورا بمعالجة الجان وصدق العزايم فاتوه
بجارية قد جنت في ليلة عرسها فعزم عليها فاذا
هي قد سقطت فقال لاهلها اخلوني بها فاجابوه

فلما خلا بها قال لها اصدقيني عن نفسك وعلى خلاصك
ان شاء الله تعالى فقالت انه كان لي صديق وانا في
بيت اهلي وانهم ارادوا ان يدخلوني على زوجي ولست
ببكر فخفت الفضيحة فهل عندك حيلة في امري
فقال نعم ثم خرج الى اهلها فقال ان الجني قد اجابني
الى الخروج منها فاختاروا من اي عضو يخرج واعلموا ان
العضو الذي يخرج منه الجني لابد ان يهلك ويفسد
فان خرج من عينها عميت وان خرج من اذنها صمت
وان خرج من يدها شلت وان خرج من رجلها زمنت
وان خرج من فرجها ذهبت بكارتها فقال اهلها
انا لم نجد شيا اهون من ذهاب عذرتها فاخرج
الشيطان منها فاوهمهم انه فعل ذلك وادخلت
المراة على زوجها فمن ذلك ان الامام عمر بن الخطاب
رضي الله عنه استعمل رجلا على عمل فبلغه انه قال
اسقني شربة الذ عليها • واسق بالله مثلها ابن هشام •

قال فاشخصه وعلم الرجل بالحال فضمن ابيه بيتا اخر
فلما قدم على الامام قال الست القائل
اسقني شربة الذ عليها • واسق بالله مثلها ابن هشام •
قال نعم يا امير المومنين
عسلا باردا بماء سحاب • انني لا احب شرب المدام •
فقال الامام رضي الله عنه الله الله ارجع الى عملك
ومن لطائف هزليات الاذكيا ان الرشيد خرج
متنزها فانفرد عن العسكر ومعه الفضل بن الربيع
فاذا هو بشيخ قد ركب حمارا ضعيفا وهو رطب
العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل اين
تريد يا شيخ فقال حايطا لي فقال هل لك ان ادلك
على شي تداوى به عينيك فتذهب هذه الرطوبة
فقال ما احوجني الى ذلك فقال خذ عيدان الهوى
وغبار الما وورق الكماه فصير الجميع في قشر جوزة
واكتحل من القشر فانه يذهب رطوبة عينيك •

فاتكى الشيخ على ظهر حماره وضرط ضرطة طويلة ثم
قال خذ هذه الضرطة اجرة وصفك فان نفعتنا
زدناك فضحك الرشيد حتى كاد يسقط عن ظهر
دابته ومن الحد المفحم ان رجلا من اليهود قال
للامام علي رضي الله تعالى عنه ما دفنتم نبيكم حتى قالت
الانصار منا امير ومنكم امير فقال له الامام انتم
ما جفت اقدامكم من ما البحر حتى قلتم اجعل لنا الها كما
لهم الهة ومنه ان المتوكل قال يوما لجلسائه نقم
المسلمون على عثمان رضي الله عنه باشيا منها ان الامام
ابا بكر رضي الله عنه لما تسنم المنبر هبط عن مقام
النبي صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر رضي الله عنه
دون مقام ابي بكر فصعد عثمان ذروة المنبر فقال
عبادة ما احد اعظم منة عليك من عثمان يا امير
المومنين قال وكيف ويلك قال لانه صعد ذروة
المنبر ولو انه كلما قام خليفة نزل عن من تقدمه

كنت انت تخطبنا من بئر فضحك المتوكل ومن حوله
ومن المنقول عن اذكيا الاطبا ان جارية من خواص
الرشيد تمطت فلما جات ترد يدها لم تطق وحصل
فيها الورم فصاحت وألمها ذلك وشق على الرشيد وعجز
الاطبا عن علاجها فقال له طبيب حاذق يا امير
المومنين لا دوا لها الا ان تدخل اليها رجل اجنبي
غريب فيخلو بها ويمرجها بدهن نعرفه فاجاب الخليفه
الى ذلك رغبة في عافيتها فاحضر الرجل الطبيب
والدهن وقال اريد ان امير المومنين يامر بتعريتها
حتى امرج جميع اعضاها بهذا الدهن فشق ذلك
على الخليفة وامره ان يفعل واضمر في نفسه قتل
الرجل وقال للخادم خذه فادخله عليها بعد ان تعريها
فعريت الجارية واقيمت فلما دخل عليها وقرب منها
سعى اليها واوما بيده الى فرجها ليمسه فغطت الجارية
فرجها بيدها التي كانت قد عطلت حركتها فاعانتها

على ما ارادت من تغطية فرجها واستعمال يديها في
ذلك فلما غطت فرجها قال لها الرجل الحمد لله على
العافية فاخذه الخادم وجا به الى الرشيد واعلمه
بالحال وما اتفق فقال الرشيد فكيف نعمل في رجل
نظر الى حرمنا فمد الطبيب يده الى لحية الرجل فانتزعها
فاذا هي ملصقه واذا الشخص جارية وقال يا امير المومنين
ما كنت لابذل حرمك للرجال ولكن خشيت ان اكشف
لك الخبر فيتصل بالجارية فتبطل الحيله ولا يفيد
العلاج لاني اردت ان ادخل الى قلبها فزعا شديدا
ليحمى طبعها ويقودها الى تحريك يدها وتمشي
الحرارة الغريزية في سائر اعضاها بهذه الواسطة
فسري عن الرشيد ما كان اضمره في صدره من الرجل
واجزل عطية الطبيب ومن المنقول عن اذكيا
المتطفلين قال ابو عمر الجهضمي كان لي جار طفيلي
وكان من احسن الناس منظرا واعذبهم منطقا

واطيبهم رائحة فكان من شانه اذا دعيت الى وليمة
تبعني فيكرمه الناس من اجلي ويظنون صحبتي له
فاتفق ان جعفر بن القاسم الهاشمي امير البصرة اراد
ان يختن اولاده فقلت في نفسي كاني برسول الامير
قد جاني وكاني بالطفيلي قد تبعني والله لين فعل
لافضحنه فانا على ذلك اذ جاني رسول الامير يدعوني
فما زدت على ان لبست ثيابي وخرجت فاذا انا
بالطفيلي واقف على باب داره قد سبقني بالتاهب
فتقدمت وتبعني فلما حضرت الموايد كان معي على
المايدة فلما مد يده لياكل قلت حدثنا درست بن
زياد عن ابان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل دار
قوم بغير اذنهم فاكل طعامهم دخل سارقا وخرج
مغيرا فلما سمع الطفيلي ذلك قال انفت لك والله يا
ابا عمر من هذا الكلام على مايدة سيد من اطعم

الطعام فانه ما من احد من الجماعة الا وهو يظن انك
تعرض به دون صاحبه وقد نحلت بطعام غيرك
على من سواك ثم ما استحييت حتى حدثت عن درست
ابن زياد وهو ضعيف وعن ابان بن طارق وهو
متروك الحديث والمسلمون على خلاف ما ذكرت
فان حكم السارق القطع وحكم المغير ان يعزر على ما
يراه الامام واين انت عن حديث حدثناه ابو عاصم
عن ابن جريج عن ابي الزبير عن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الواحد يكفي
الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام
الاربعة يكفي الثمانيه وهو اسناد صحيح ومتن صحيح
متفق عليه قال ابو عمرو والله لقد افحمني واخجلني
ولم يحضرني جواب فلما خرجنا فارقني من جانب الطريق
الى الجانب الاخر بعد ان كان يمشي وراي وسمعته يقول
ومن ظن ممن يلاقي الحروب • بان لا يصاب فقد ظن عجزا •

ومن المنقول عن اذكيا المتلصصين ان بعض التجار
قال احتال علي رجل بحوالة فكان ياتيني كل يوم ويا خذ
قد نفقته الى ان نفدت وصار بيننا معرفة والف
الجلوس عندي وكان يراني اخرج من صندوق
لي فاعطيه منه فقال لي يوما ان قفل الرجل صاحبه
في سفره وامينه في حضره وخليفته على حفظ ماله
وان لم يكن وثيقا تطرقت الحيل اليه واري قفلك هذا
وثيقا فقل لي ممن ابتعته لابتاع مثله لنفسي فقلت
من فلان الاقفالي قال فما شعرت يوما وقد جئت
الى دكاني وتقدمت الى الصندوق لاخرج منه شيا
من الدراهم ففتحته واذا ليس فيه شي فقلت
لغلامي وهو غير متهم عندي هل انكرت شيا
من احوال الدكان قال لا قلت ففتش هل ترى نقبا
او في السقف حيلة قال لا قلت فاعلم ان الذي
كان في الصندوق قد ذهب فقلق الغلام فاسكنته

واقمت متفكرا وتاخر الرجل عني فتيقظت له وذكرت
سواله عن القفل فقلت للغلام اخبرني كيف تفتح
دكاني وتقفله فقال احمل الدراريب دفعتين
ثلثة حتى اضعها في محلها وهكذا اصنع في غلقها قلت
فمن تدع عندها الدكان اذا نقلت الدراريب قال
اتركه خاليا قلت من ها هنا دهيت فمضيت الى الصانع
الذي ابتعت منه القفل فقلت جاك انسان منذ ايام
اشتري منك هذا القفل قال نعم رجل من صفته
كذا وكذا فاعطاني صفة صاحبي فعلمت انه احتال
على الغلام وقت المسا ودخل الدكان فاختبا ومعه
مفتاح القفل ففتح واخذ المال ومكث طول
الليل الى الصباح فلما فتح الغلام وحمل الدراريب
ليضعها في محلها خرج وانه لما فعل ذلك الا وقد خرج
من المدينة فخرجت من البصرة ومعي قفلي ومفتاحي
فقلت ابتدي بواسط فلما صعدت طلبت خانا انزله

فلما دخلت الخان وجدت قفلا مثل قفلي على باب بيت
فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله قال رجل
قدم امس من البصرة قلت ما في صفته فوصف لي
صفة صاحبي فما شككت انه هو وان الدراهم في
بيته فاكتريت بيتا الى جانبه ورصدت حتى انصرف
قيم الخان ففتحت القفل ودخلت فوجدت كيسي
بعينه فاخذته وخرجت ووضعت قفله على بابه
ونزلت على الفور في السفينة وانحدرت الى البصرة
ولم اقم بواسط غير ساعة من نهار ورجعت الى
منزلي بمالي كله ومن المنقول عن اذكيا الصبيان
انه وقف اياس بن معاوية وهو صبي الى قاضي
دمشق ومعه شيخ فقال اصلح الله القاضي هذا
الشيخ ظلمني واكل مالي فقال القاضي ارفق بالشيخ
ولا تستقبله بمثل هذا الكلام فقال اياس اصلح
الله القاضي ان الحق اكبر مني ومنه ومنك

قال اسكت قال فان سكت من يقوم بحجتي قال فتكلم
فوالله لا تتكلم بخير فقال لا اله الا الله وحده لا
شريك له له الملك وله الحمد فبلغ ذلك الخليفة
فعزل القاضي وولى اياس مكانه ومن الذكا المنقول
عن عقلاء المجانين قال بعض طلبة المبرد خرجت
من مجلس المبرد يوما فمررت بخربة فاذا بشيخ قد
خرج منها وفي يده حجر فهم ان يرميني به فتسترت
بالمحبرة والدفتر فقال من اين اقبلت قلت من مجلس
المبرد قال بل البارد ثم قال ما الذي انشدكم اليوم قلت انشدنا

اعار الغيث نائله • اذا ما ماوه نفدا •
وان اسد شكا جبنا • اعار فواده الاسدا •

فقال اخطا قائل هذا الشعر قلت كيف قال الا نعلم
انه اذا اعار الغيث نائله بقي بلا نائل واذا اعار
الاسد فواده بقي بلا فواد قلت فكيف كان يقول فانشدني

علم الغيث الندى من يده • مذ وعاه علم الباس الاسدا •

فاذا الغيث مقرونا بالندا • واذا الليث مقرونا بالجلد •
قال فكتبتها وانصرفت ثم بعد ايام قليلة خرج
علي وكاد يرميني فتسترت منه فضحك وقال مرحبا
بالشيخ فقلت وبك قال من مجلس المبرد قلت نعم
قال ما انشدكم قلت انشدنا • شعر •
ان السماحة والمودة والندا • قبر بمر على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاعقر به • كوم الجياد وكل طرف سابح
فقال اخطا قائل هذا الشعر قلت كيف قال •
ويحك لو نحر ابل خراسان لما اثر في حقه قلت كيف
كان يقول فانشدني • شعر •
احملاني فان لم يكن لكما عقر • الى جنب قبره فاعقراني
وانضحا من دمي عليه فقد كان • دمي من نداه لو تعلماني
فلما عدت الى المبرد قصصت عليه القصة فقال
اتعرفه قلت لا قال ذلك خالد الكاتب تاخذه
السودا في ايام الباذنجان • ومن المنقول •

عن اذكيا النسا • حكى المداينى قال خرج ابن زياد
في فوارس فلقوا رجلا ومعه جارية لم ير مثلها في
الحسن فصاحوا به خل عنها وكان معه قوس فرمى
احدهم فهابوا الاقدام عليه فعاد ليرمي فانقطع
الوتر فهجموا عليه واخذوا الجارية فهرب واشتغلوا
عنه بالجارية ومد بعضهم يده الى اذنها وفيه قرط
وفي القرط درة لها قيمة عظيمة فقالت وما قدر هذه
الدرة انكم لو رايتم ما في قلنسوته من الدر لاستحقرتم
هذه فتركوها واتبعوه وقالوا له الق ما في قلنسوتك
وكان فيها وتر قد اعده فنسيه من الدهش فلما ذكره
ركبه في القوس فولوا القوم هاربين وخلوا عن الجارية
وذكر ابن الجوزي في كتابه اعني الاذكيا • نبذة
عن الحيوان الذي بذكائه يشبه ذكا الادميين
فمن ذلك ان بعض الكبار مر بمقبرة واذا قبر عليه قبة
مكتوب عليها هذا قبر الكلب فمن احب ان يعلم خبره

فليمض الى قرية كذا فان فيها من يخبره فسئل الرجل
عن القرية فدلوه عليها فقصدها فقيل له ما يعلم
ذلك الا شيخ هنا قد جاوز المائة فقال كان ههنا
ملك عظيم الشان وكان يحب التنزه والصيد وكان
له كلب قد رباه لا يفارقه فخرج يوما الى بعض
متنزهاته وقال لبعض غلمانه قل للطباخ يصلح
لنا ثردة بلبن فجاءوا باللبن الى الطباخ ونسي ان
يغطيه بشي واشتغل بالطبخ فخرج من بعض السقوف
افعى فكرع في ذلك اللبن ومج في الثردة من سمه
والكلب رابض يرى ذلك ولم يجد له حيلة يصل
بها الى الافعى وكان ههنا جارية خرسى زمنة قد
رات ما صنع الافعى ووافا الملك من الصيد في اخر
النهار فقال يا غلمان ادركوني بالثردة فلما وضعت
بين يديه اومت الخرسا اليه فلم يفهم ما تقول ونبح
الكلب وصاح فلم يلتفت اليه ولج في الصياح فلم

يعرف مراده فقال للغلمان نحوه عني ومد يده الى اللبن
بعد ما رمى الى الكلب ما كان يرمى اليه فلم يلتفت
الكلب الى شي من ذلك ولم يلتفت الى غير الملك فلما
راه يريد ان يضع اللقمة من اللبن في فمه طفر الى
وسط المائدة وادخل فمه وكرع من اللبن فسقط ميتا
وتناثر لحمه وبقي الملك متعجبا من الكلب ومن فعله
فاومت الخرسا اليهم فعرفوا مرادها وما صنع الكلب
فقال الملك لحاشيته هذا الكلب قد فداني بنفسه
وقد وجب ان نكافيه وما يحمله ويدفنه غيري
فدفنه وبنى عليه هذه القبة التي رايتها قلت
قد اوردنا نبذة لطيفة من كتاب الاذكيا لابن
الجوزي مختلفة الانواع وقد تعين ان نورد له هنا
نبذة لطيفة من كتاب الحمقا والمغفلين لانه قال
في كتاب الحمقا ما وضعت ذلك الا لان النفس قد
تمل من ملازمة الجد وترتاح الى بعض المباح

من اللهو كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال لحنظلة ساعه وساعه • وعن علي رضي الله عنه
انه قال روّحوا القلوب بطرائف الحكم فانها تمل
كما تمل الابدان • وكان رجل يجالس اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويحدثهم فاذا اكثروا
وثقل عليه الحديث قال ان الاذن مجّاجه وان
القلب حمضة فهاتوا من اشعاركم واحاديثكم
وقال ابو الدرداء رضي الله عنه اني لاستجم نفسي
بشي من الباطل كراهية ان احملها من الحق ما يملها
وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان يحدّث
اصحابه ساعه ثم يقول حمضونا فياخذ في
احاديث العرب واشعارها ثم يعود ومثله
عن الزهري ومالك بن دينار وكان شعبة يحدث
فاذا راى ابا زيد قال ايهٍ يا ابا زيد • شعر
استعجمت دار نعم ما تكلمنا • والدار لو كلمتنا ذات اخبار

ووصف رجل عند ابن عائشة فقيل هو جد كله فقال
ابن عائشه لقد اعان على نفسه وقصر لها طول المدى
ولو فكها بالانتقال من حال الى حال لنفس عنها
ضيق العقد ورجع الى الجد بنشاط وجدّه وقال
الرشيد النوادر تشحذ الاذهان وتفتق الاذان
وقال اخر لا يحب الملح الا ذكران الرجال ولا يكرهها
الا مؤنثهم • وقال الشاعر •
اروّح القلب ببعض الهزل • تجاهلا مني بغير جهل •
امزح فيه مزح اهل الفضل • والمزح احيانا جلا العقل •
قال ابن الجوزي في كتاب الحمقا ان الاحنف بن
قيس قال اذا رايتم الرجل عظيم الهامة عظيم
اللحيه فاحكموا عليه بالحمق وقال معوية لرجل
كفانا بالشهادة عليك بالحمق ما نراه من طول لحيتك
وقال اخر وتلطف ما شا من طالت لحيته تكوسج عقله
وقال اخر من طالت قامته وطالت لحيته وجبت

تعزيته في عقله وقال اصحاب الفراسة اذا كان
الرجل طويلاً طويل اللحية واضيف الى ذلك ان يكون
صغير الراس فاحكم عليه بالحمق وقال زياد
ما زادت لحية الرجل على قبضة الا كان ذلك
نقصاناً من عقله وقال الشاعر

اذا عرضت للفتى لحية • وطالت فصارت الى سرته
فنقصان عقل الفتى عندنا • بمقدار ما زاد من لحيته

وقال ابن الرومي

ان تطل لحية عليك وتعرض • فالمخالي معلوفة للحمير
علق الله في عذاريك مخلاه • ولكنها بغير شعير

وقال بعضهم صارم الاحمق فليس له خير من الهجران
وقيل ان في التورية مكتوب من اصطنع معروفا
الى احمق فهي خطية مكتوبة عليه وقال سفين الثوري
هجران الاحمق قربة الى الله تعالى فممن ضرب المثل
بحمقه وتغفيله هبنقة واسمه يزيد وكان قد جعل في
عنقه قلادة من عظام وودع وقال اخشى ان اضيع
من نفسي ففعلت ذلك لاعرفها فحولت القلادة
الى عنق اخيه فلما اصبح وراها قال يا اخي انا انت
وانت انا وضل له بعير فجعل يقول من وجده
فهو له فقيل له فلم تنشده فقال لحلاوة الظفر
واختصمت طفاوة وبنو راسب في رجل ادعى كل
من الفريقين انه منهم فقال هبنقة حكمه ان يلقى
في الماء فان طفا فهو من طفاوة وان رسب فهو من
بني راسب فقال الرجل ان كان الحكم هذا فقد زهدت
في الطائفتين ومنهم ابو غبشان رجل من خزاعة
كان يلي سدانة الكعبة فاجتمع مع قصي بن كلاب
بالطائف على الشرب فلما سكر اشترى منه قصي
ولاية سدانة البيت بزق خمر واخذ منه مفاتحه
وطار بها الى مكة وقال معاشر قريش هذه مفاتيح ابيكم
اسمعيل ردها الله عز وجل عليكم من غير غدر ولا ظلم

وافاق ابو عيشان فندم غاية الندم فقيل احمق من
ابى عيشان وقال شاعرهم شعر
باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت • بزق خمر فبئست صفقة البادى
باعت سدانتها بالخمر وانقرضت • عن المقام وظل البيت والنادى
ومنهم ربيعة البكا سمى البكا لانه دخل على امه
وهى تحت زوجها فبكى وصاح اتقتل امى فقالوا
اهون مقتول ام تحت زوج فذهبت مثلا •
حمزة بن بيض قال لغلامه اى يوم صلينا الجمعة
بالرصافه فافتكر الغلام ساعه ثم قال يوم الثلاثا
ومنهم جحا قال بعضهم كان من اذكيا الناس
وانما كان بينه وبين قوم عداوة فوضعوا عليه
حكايات سارت بها الركبان وقيل كان من كبار
الحمقا والمغفلين قيل انه دخل الحمام وخرج منها
فضربته ريح باردة فمس خصيتيه فاذا احدهما قد
تقلصت فرجع الى الحمام وجعل يفتش الناس فقالوا

له مالك قال سرقت احدى بيضتيى ثم انه دفى
فى الحمام وحمى فرجعت البيضة فلما وجدها سجد شكرا
لله عز وجل وقال كل مالا تاخذه اليد لا يفقد واشترى
يوما دقيقا فحمله على حمال فلما دخل الحمال فى الزحام
هرب فراه جحا بعد ايام فاستتر منه فقيل له مالك
فقال اخاف ان يطلب منى كراه وكانت لهم جارية
تسمى عميره فضربتها امه ذات يوم فصاحت
الجارية واجتمع الناس على الباب فخرج اليهم فقال
مالكم عافاكم الله انما هى امى تجلد عميرة ومنهم
الجصاص قيل انه كان يقصد البلاهة خيفة من الوزير
ابن الفرات فمن المنقول عن حمقه انه كان يوما مع
الوزير فى موكب ومع ابن الجصاص بطيخة فاراد ان
يعطيها للوزير ويبصق فى البحر فبصق فى وجه الوزير
ورمى البطيخة فى البحر هذا من المنقول عما ظهر
منه من البلاهة والا فقد روى عنه انه قال الماولى

ابن الفرات الوزارة قصدني قصدًا قبيحًا وانفذ العمال
الى ضياعي وبسط لسانه بثلبي ونقصي في مجلسه فدخلت
يومًا داره فسمعت حاجبه وقد وليت يقول هذا
بيت مال يمشي على وجه الارض ليس له من ياخذه
فقلت هذا من كلام صاحبه وكان عندي في ذلك
الوقت سبعة الاف دينار عينًا سوى الجواهر
والذخائر وغير ذلك فسهرت ليلتي افكر في امري
معه فوقع في نفسي الثلث الاخير من الليل ان ركبت
الى داره على الفور فوجدت الابواب مغلقة فطرقتها
فقال البواب من هذا قلت ابن الجصاص فقال ليس
هذا وقت وصول والوزير نائم فقلت عرّف
الحجاب اني حضرت في مهمّ فعرفوهم فخرج الى
احدهم فقال انه في هذا الوقت ينتبه فقلت
الامر اهمّ من ذلك فايقظه وعرفه عني ما قلت له
فدخل وابطا ساعة ثم خرج وادخلني فارتاع لدخولي

وظن اني جئته برسالة الخليفة او حدثت حادثة وهو
متوقع لما اورده عليه فنظر الي وقال ما الذي جاء
بك في هذا الوقت فقلت خير ما حدثت حادثة ولا
معي رسالة ولا جئت الا في امر يخصني ويخص الوزير
ولم تصلح مفاوضته الا على خلوة فسكن وقال لمن
حوله انصرفوا فمضوا وقال هات فقلت ايها الوزير
انك قصدتني اقبح قصد وشرعت في هلاكي وازالة
نعمتي وفي ازالتها خروج نفسي وليس عن النفس عوض
وقد جعلت هذا الكلام عذرًا بيني وبينك فان نزلت
تحت حكمي في الصلح والا قصدت الخليفة في هذه
الساعة وحملت اليه الف الف دينار وانت تعلم
قدرتي عليها واقول له خذ هذا المال وسلم الي
ابن الفرات واسلمه لمن اختاره للوزارة ويقع في
نفسي انه يجيب الى تقليده ممن له وجه مقبول
ولسان عذب وخط حسن ولا اعتمد الا على بعض

كتابك فانه لا يفرق بينك وبينه اذا راى المال حاضرا
فيسلمك في الحال اليه ويفرغ عليك العذاب بحضوري
ويأخذ منك المال المعين وانت تعلم ان حالك تمشي
بها ولكنك تفتقر بعدها ويرجع المال الي واكون قد
اهلكت عدوي وشفيت غيظي وزاد محلي بتقليدي
وزيرا فلما سمع هذا الكلام سقط في يده وقال
يا عدو الله او تستحل ذلك فقلت لست عدو الله بل
عدو الله من استحل مني هذا فقال وما تريد قلت
تحلف الساعة بما استحلفك من الايمان المغلظة
ان تكون معي لا علي في صغير امري وكبيره ولا تنقص
لي رسما ولا تضع مني بل تبالغ في رفعتي ولا تبطن
علي فقال وتحلف انت ايضا لي بمثل هذا اليمين
على جميل النية وحسن الطاعة فقلت افعل فقال
لعنك الله والله لقد سحرتني واستدعى بدواة
فعملنا نسخة يمين وحلف كل منا عليها فلما اردت

القيام قال لي يا ابا عبد الله والله لقد عظمت في نفسي
والله ما كان المقتدر يفرق بيني وبين احسن كتابي اذا
راى المال فليكن ما جرى بيننا مطويا فقلت سبحان
الله فقال اذا كان غدا فصر الى المجلس لترى ما اعاملك
به فقمت فامر الغلمان ان يسيروا في خدمتي باجمعهم
الى داري ولما اصبح جئته فبالغ في الاكرام والتعظيم
وامر بانشاء الكتب الى النواحي باعزاز وكلاي وحماية
املاكي فشكرته وقمت فامر الغلمان ايضا بالمشي
بين يدي والحجاب والناس يتعجبون من ذلك ولم
يعلم احد ما السبب وما حدثت بهذا الحديث الا
بعد القبض عليه وذكر ابن الجوزي في الباب
التاسع من كتاب الحمقا والمغفلين جماعة من العقلا
صدر عنهم افعال الحمقا واصروا على ذلك مستصوبين
لها فصاروا بذلك الاصرار حمقا ومغفلين فاول
القوم ابليس لعنه الله فانه صوب نفسه وخطا

حكمة الله تبارك وتعالى ورمى عن قوس الاعتراض
في عدم السجود لادم عليه السلم ثم قال انظرني الى
يوم يبعثون فصارت لذته في ايقاع العاصي في الذنب
فانه تغبّط بذلك ونسي عقابه الدائم فلا احمق كحمقه
ولا غفلة كغفلته وللّه در القائل في ابليس

عجبت من ابليس في غفلته ∴ وخبث ما اظهر من نيته
تاه على ادم في سجدة ∴ وصار قوادا لذريته

والثاني فرعون في دعواه الربوبية وافتخاره
بقوله اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي
فافتخر بساقية لا هو اجراها ولا يعرف مدارها
ولا مبداها ومنتهاها ونسي امثالها مما ليس تحت قدرته
وليس في الحمق اعظم من ادعاه الالهية وقد ضرب
الحكما بذلك مثلا فقالوا لو دخل ابليس على فرعون فقال
له من انت قال ابليس قال ما جاء بك قال جئتك
متعجبا من جنونك قال كيف قال انا عاديت مخلوقا

مثلي فامتنعت من السجود له فطردت ولعنت وانت
تدعي انك اله هذا والله هو الحمق والجنون
البارد ومن عجيب الحمق والتغفل اتخاذ الاصنام باليد
والاقبال على عبادتهم والاله ينبغي ان يَفعل ولا يُفعل
وكذلك نمرود في بناية الصرح ثم رميه بنشابة
يريد ان يقتل اله السموات والارض وكذلك
بنوا اسرايل حين جاوزوا البحر وقد انجاهم الله تعالى
من تلك الاهوال واستنقذهم من فرعون قالوا
اجعل لنا الها كما لهم الهة وكذلك قول النصارى
ان عيسى اله وابن اله ثم يقرون ان اليهود صلبوه
وهذا غاية البله والغفلة وكذلك الرافضة
يعلمون اقرار علي ببيعة ابي بكر وعمر واستيلاده
الحنفية من سبي ابي بكر وتزوجه ام كلثوم ابنته
من عمر وكل ذلك دليل على رضاه ببيعتهما ثم
في الرافضة من يسبهما وفيهم من يكفرهما كل ذلك

دليل على رضاه ببيعتهما ثم في الرافضة من يسبهما وفيهم
من يكفرهما كل ذلك يطلبون به حب علي بن عمهم وقد
تركوا حبه وراء ظهورهم • وقد روى عن الامام
احمد بن حنبل رضي الله عنه انه قال لو جاني رجل
فقال اني حلفت بالطلاق ان لا اكلم في هذا اليوم
من هو احمق وكلم رافضيا او نصرانيا لقلت له حنثت
فقال له الديناري اعزك الله ولم صارا احمقين
قال لانهما خالفا الصادقين واما الصادق الاول
فعيسى عليه السلم قال للنصارى اني عبد الله وقال
ان اعبدوا الله فقالوا لا وعبدوه جهلا وحمقا •
والصادق الثاني الامام علي رضي الله عنه فانه
قال عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عن ابي بكر
وعمر هذان سيدا كهول اهل الجنة والرافضه
يسبونهما ومن المنقول عن حمق النسا ان الامين
لما حوصر قال لجاريته غنني فغنت • شعر

ابكي فراقهم عيني فارقها • ان التفرق للاحباب بكا •
فقال لها لعنك الله اما تعرفين غير هذا فغنت •
ما اختلف الليل والنهار ولا • دارت نجوم السما في فلك •
الا لنقل السلطان من ملك • غيب تحت الثرى الى ملك •
فقال لها قومي فقامت فعثرت بقدح بلور فكسرته
فقال قد قضي الامر الذي فيه تستفتيان • ولما
قتله المامون دخل على زبيده ليعزيها به فقالت ان
رايت ان تسليني في غداك عندي فتغدى عندها
واخرجت له من جوار الامين من تغنيه فغنت •
هم قتلوه كي يكونوا مكانه • كما غدرت يوما بكسرى مرازبه
فوثب المامون مغضبا فقالت له زبيده احرمني الله اجر
ان كنت دسست اليها او لقنتها فصدقها وانصرف
ومن ذلك ان المعتصم لما فرغ من بنا قصر له ادخل
الناس عليه فاستاذن اسحق بن ابراهيم في الانشاد
فاذن له • فانشد يقول •:

يا دار غيرك البلا ومحاك * يا ليت شعري ما الذي ابلاك
فتطير المعتصم وجميع من حضر المجلس وتعجبوا كيف
يصدر من مثل اسحق هذا التغفل المفرط ولم
يجتمع بالدار بعد ذلك اثنان ومن لطايف المنقول
عن الحمقا والمغفلين ان عيسى بن صالح تولى قنسرين
والعواصم للرشيد وكان من الحمق على جانب عظيم
قال بعضهم اتاني رسوله بالليل فامرني بالحضور
فتوهمت ان كتابا جاه من امير المومنين في مهم
احتاج فيه الى حضور مثلي فركبت الى الدار فلما
دخلت سئلت الحجاب هل ورد كتاب من الخليفة
او حدث امر فقالوا لا فافضيت الى الخدم فسئلتهم
فقالوا مثل مقالة الحجاب فصرت الى الموضع الذي
هو فيه فقال لي ادخل فليس عندي احد فدخلت فوجدته
على فراشه فقال علمت اني سهرت الليلة مفكرا في امري
الى ساعتي هذه قلت وما هو الامر اصلح الله الامير

قال اشتهيت ان يصيرني الله عز وجل حورية في الجنة
ويجعل زوجي يوسف الصديق فطال لذلك فكري
فقلت فهلا اشتهيت محمدا صلى الله عليه وسلم ان
يكون زوجك فانه سيد الانبيا عليهم السلام
فقال لا تظن اني لم افكر في هذا قد فكرت فيه ولكني
كرهت ان اغيظ عايشة رضي الله عنها ومن لطايف
المنقول عن المغفلين من الاعراب قيل صلى اعرابي
خلف بعض الايمة في الصف الاول وكان اسم الاعرابي
مجرما فقرا الامام والمرسلات عرفا فلما بلغ الى قوله
تعالى الم نهلك الاولين تاخر الاعرابي الى الصف
الاخير فقال ثم نتبعهم الاخرين رجع الى الصف الاوسط
فقال كذلك نفعل بالمجرمين فولى هاربا وهو يقول
والله ما المطلوب غيري ومثله صلى اعرابيا خلف
امام صلاة الصبح فقرا الامام سورة البقرة وكان
الاعرابي مستعجلا ففاته مقصوده فلما كان من الغد

بكر الى المسجد فابتدا الامام فقرا سورة الفيل
فقطع الاعرابي الصلاة وولى هاربا وهو يقول امس
قرات سورة البقرة فلم تفرغ منها الى نصف النهار
واليوم تقرا سورة الفيل ما اظنك تفرغ منها الى
الليل ومنه كان اعرابي قايم يصلي فاخذ قوم يصفونه
بالصلاح وهو يسمع فقطع الصلاة وقال وانا مع
هذا صايم ومنه دخل خالد بن صفوان الحمام
وفي الحمام رجل ومعه ابنه فاراد الرجل ان يعرف خالدا
ما عنده من البيان والنحو فقال يا بني ابدأ بيداك
ورجلاك ثم التفت الى خالد وقال له يا ابا صفوان
هذا كلام قد ذهب اهله فقال خالد هذا كلام
ما خلق الله له اهلا ومن لطايف المنقول عن
المغفلين من الشعرا ان بعضهم دخل مسجد الكوفة
يوم الجمعة وقد نعي خبر المهدي انه مات وهم يتوقعون
قراة الكتاب عليهم بذلك فقال رافعا صوته مات

الخليفه ايها الثقلان فقالوا هذا اشعر الناس فانه
نعى الخليفة الى الانس والجن في نصف بيت وامده
الناس باسماعهم وابصارهم فقال فكانني افطرت
في رمضان قال فضحك الناس وصار شهرة في الحمق
ومثله ان سيف الدولة بن حمدان انصرف من حرب
وقد نصر على عدوه فدخل عليه الشعرا فانشدوه
فدخل معهم رجل شامي فانشده ؞ شعر
وكانوا كفار وسوسوا خلف حايط • وكنت كسنور عليهم تسقفا •
فقام باخراجه فقام على الباب يبكي فاخبر سيف
الدولة ببكايه فرق له وامر برده وقال له ما لك
تبكي قال قصدت مولانا بكل ما اقدر عليه اطلب منه
بعض ما يقدر عليه فلما خاب املي بكيت فقال له
سيف الدولة ويلك فمن يكون له مثل هذا النثر
يكون له ذلك النظم وكم كنت املت قال خمسماية
درهم قال فامر له بالف درهم فاخذها وانصرف

ومن المنقول عن المغفلين على الاطلاق قال بعضهم
دخلت مسجد دمشق فاذا انا بجماعة عليهم سمت
العلم فجلست اليهم وهم ينتقصون من علي بن ابي
طالب رضي الله عنه فقمت من عندهم مغضبا
فرايت شيخا جميلا يصلي فظننت به الخير فجلست
اليه فقلت له يا عبد الله اما ترى هولاء القوم
يشتمون علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وينتقصونه
وهو زوج فاطمة الزهرا وابن عم محمد صلى الله عليه وسلم
فقال لي يا عبد الله لو نجا احد من الناس لنجا منهم
ابو محمد رحمه الله تعالى قال فقلت ومن ابو محمد
قال الحجاج بن يوسف وجعل يبكي فقمت من عنده
وحلفت لا اقيم بها ومن ذلك ان رجلا سئل
بعضهم وكان من الحمق على جانب عظيم فقال
ايما افضل عندك معوية او عيسى بن مريم فقال
ما رايت سائلا اجهل منك ولا سمعت بمن قا

كاتب الوحي الى نبي النصارى ومن ذلك
ان لصا تسور روزنة بيت وكان اللص مغفلا فنظر
من خلال الروزنة فوجد رجلا وزوجته وهي تقول
له يا رجل من اين اكتسبت هذا المال العظيم فقال
لها كنت لصا وكنت اذا تسورت روزنة بيت صبرت
الى ان يطلع القمر فاذا اطلع اعتنقت الضوء الذي
في الروزنة وتدليت فيها بلا حبل وقلت شولم شولم
ونزلت فاخذ جميع ما في البيت ولا يبقى ذخيرة من
ذخاير البيت الا ظهرت لي ثم اقول شولم شولم واصعد
في الضوء ولا ينتبه احد من اهل البيت واذهب
بلا تعب ولا كلفة فسمع اللص ذلك فصبر الى ان
طلع القمر ونام اهل البيت فتعلق في ضوء الروزنة
فوقع وتكسرت اضلاعه فقام اليه صاحب البيت
وقبض عليه واسلمه الى والي الشرطة ومنهم
من كان يسوق عشرة حمير فركب واحدا منها وعدها

فاذا هي تسعة حمير فنزل وعدها فاذا هي عشرة
فقال امشي واربح حمارًا اخير امن ان اركب واخسر
حمارًا فمشى حتى كاد يتلف الى ان بلغ قريته ومنهم
من مات بعض اقاربه فقيل له لم لا تبعت جنازته
فقال هذا الكلام ما يقوله عاقل اكون منسيًا
فاذكر بنفسي ومن ذلك ان بعض المغفلين سمع
رجلًا ينشد شعر
وكان بنو عمي يقولون مرحبًا ۰ فلما راوني معدمًا مات مرحب
فقال كذب الشاعر مرحب قتله علي بن ابي طالب
ولم يمت الا قتيل ومنهم من باع دارًا وكان يوذن
بباب مسجد بالقرب منها فانسي انه باعها فصلى
ورجع اليها ودخل من الباب فصاحت النسوة
وقلن له يا رجل اتق الله فينا فقال اعذروني فاني
ولدت في هذه الدار ولم اذكر البيع ومنهم
من راى جاريته تحت رجل يجامعها فقال لها يا جا

ما حملك على هذا فقالت له يا مولاي حلفني بحياة
راسك وانت تعلم صدق محبتي لك فسكت ومنهم
من سمع ان صوم يوم عرفة يعدل صوم سنة
فصام الى الظهر وقال يكفيني ستة اشهر ومنهم
من جاء الى الجب ونظر فيه فراى خيال وجهه فذهب
الى امه وقال يا امي في الجب لص فجاءت الام فتطلعت
فيه فرات خيال وجهها فقالت صدقت ومعه قحبة
ومنهم من دعا فقال اللهم اغفر لي ولامي ولاختي
ولامراتي فقيل له لم تركت ذكر ابيك قال لانه
مات وانا صبي لم ادركه وقال رجل لرجل كم في
هذا الشهر يوم فطر وقال والله لست من
اهل هذه المدينة ومن ذلك ان هشام بن عبد الملك
عرض الجند فتقدم رجل حمصي بفرس كلما قدمه
يتاخر فقال له هشام ما هذا قال يا سيدي فاره
لكنه شبهك ببيطار كان يعالجه فنفر ومنهم

من قيل له عندك مال جزيل وليس لك الا والدة
عجوز وان مت ورثتك فافسدت مالك فقال
انها لا ترثني قال وكيف قال لان ابي طلقها قبل
ان يموت ومنهم من جاء له جماعة يسئلونه في
كفن لجار له مات فقال ما عندي الان شي ولكن
عاودوني في وقت اخر قالوا افنمهله الى ان يتيسّر
عندك شي ومنهم من تقدم يصلي المغرب بجماعة
فاطال فلما فرغ من الصلاة سجد سجدتي السهو
ولم يكن سهى فقيل له قد انكرنا عليك طول القراة
فما الجواب عن سجدتي السهو ولم تكن سهوت فقال
ذكرت اني صليت بكم على غير وضوء فسجدت
للسهو ومن ذلك ان عبدا كان بين اثنين في
الشركه فجعل احدهما يضربه فلامه شريكه فقال
انما ضربت حصتي ومنهم من قيل له كيف صنعتم
في رمضان قال اجتمعنا ثلثين فانفدناه في يوم

واحد واسترحنا قال ابن الجوزي في اخر كتاب الحمقا
والمغفلين ان المعلمين للصبيان صناعتهم تكاد ان
تكون اكسيرا لقلة العقل وابراز الحماقة قال
الاصمعي خرج جماعة من بني غفار ومعهم رجل
مغفل فاصابتهم ريح ايسوا معها من الحياة فاعتق
كل واحد منهم مملوكا فقال ذلك الرجل اللهم انك
تعلم ان ليس لي مملوك ولا مملوكه ولكن امراتي طالق
لوجهك الكريم وقال عدل عقل امراه سبعين
حايكا وعدل عقل حايك سبعين معلما وسبب
قلة عقل المعلم انه مع الصبيان بالنهار ومع
النسا بالليل وكان يحيى بن اكثم لا يقبل شهادة
المعلم وقيل لصبي ما لنا نراك كثير الحمق فقال
لو لم اكن كذلك لكنت ولد زنا وقيل لمعلم ما لك
تضرب هذا الصبي ولم يذنب قال انما ضربته
قبل ان يذنب لئلا يذنب وقال الجاحظ مررت

بمعلم وهو يقرى صبيا واذ قال لقمان لابنه وهو
يعظه يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا
لك كيدا واكيد كيدا فقلت له ويحك قد ادخلت
سورة فى سورة فقال نعم عافاك الله اذا كان
يدخل شهرا فى شهر فانا ايضا ادخل سوره فى
سورة ولا اخذ شيا ولا ابنه يتعلم شيا انتهى
ما تخيرته من الاذكيا والحمقا والمغفلين ومما
تخيرته من سلوان المطاع لابن ظفر ان الوليد بن
يزيد لما بلغه ان ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك
قد شرد عنه القلوب واستجاش عليه اهل
اليمن ونازعه فى ملكه احتجب عن سماره ودعى
فى بعض الليالى خادما فقال له انطلق متنكرا حتى
تقف ببعض الطرق وتامل من يمر بك من الناس
فاذا رايت كهلا رث الهيئة يمشى مشيا هوينا
وهو مطرق فسلم عليه وقل له فى اذنه امير المومنين

يدعوك فان اسرع فى الاجابه فاتنى به وان استراب
فدعه واطلب غيره حتى تجد رجلا على الشرط الذى
ذكرت لك فانطلق الخادم فاتاه برجل على الشرط
فلما دخل الرجل على الوليد حياه بتحية الخلافة
فامره الوليد بالجلوس والدنو منه وصبر الى ان ذهب
روعه وسكن جاشه ثم اقبل عليه فقال له اتحسن
المسامرة للخلفاء فقال نعم يا امير المومنين فقال
الوليد ان كنت تحسنها فاخبرنا ما هى فقال يا امير المومنين
المسامرة اخبار المنصت وانصات المخبر ومفاوضة
فيما يجب ويليق فقال الوليد احسنت لا ازيدك
امتحانا فهل يسمع لقولك فقال الكهل نعم يا امير المومنين
ولكن المسامرة صنفان لا ثالث لهما احدهما الاخبار
بما يوافق خبرا مسموعا والثانى الاخبار عما يوافق
غرضا من اغراض صاحب المجلس وانى لم اسمع بحضرة
امير المومنين طريقه فانحو نحوها والزم اسلوبها

فقال الوليد صدقت وها نحن نقترح عليك ما نقتفيه
قد بلغنا ان رجلاً من رعيتنا سعى في ضرر ملكنا
فاثر سعيه وشق ذلك علينا فهل سمعت بذلك فقال
الكهل نعم يا امير المومنين فقال له الوليد قل الان
على حسب ما سمعت وعلى ما ترى من التدبير فقال
يا امير المومنين بلغني عن امير المومنين عبد الملك
ابن مروان انه لما ندب الناس لقتال عبد الله بن
الزبير وخرج بهم متوجها الى مكة حرسها الله تعالى
استصحب عمرو بن سعيد بن العاص وكان عمرو
قد انطوى على فساد نية وخبث طوية وطماعية
في نيل الخلافة وكان امير المومنين عبد الملك بن
مروان قد فطن لذلك الا انه كان يحترمه ولما بعد
امير المومنين عن دمشق تمارض عمرو بن سعيد
فاستاذن امير المومنين في العود الى دمشق فاذن
له فلما دخل عمرو دمشق صعد المنبر فخطب الناس

خطبة نال فيها من الخليفة واستولى على دمشق ودعا
الناس الى خلع عبد الملك فاجابوه الى ذلك وبايعوه
وحصن بعد ذلك سور دمشق وحمى حوزتها فبلغ
ذلك عبد الملك وهو متوجه الى ابن الزبير وبلغه
مع ذلك ان والي حمص قد نزع يده من الطاعة
وان اهل الثغور قد تشوفوا الخلاف فاحضر وزراه
فاطلعهم على ما بلغه وقال لهم دمشق ملكنا وقد
استولى عليها عمرو بن سعيد وهذا عبد الله بن
الزبير قد استولى على الحجاز والعراق واليمن
ومصر وخراسان وهذا النعمان بن بشير امير حمص
وزفر بن الحارث امير فلسطين قد خرجا عن الطاعة
وبايع الناس لابن الزبير وهذه المضربه بسيوفها
نطالبنا بقتلى المرج فلما سمع وزراه مقالته دهلت
عقولهم فقال لهم عبد الملك ما لكم لا تنطقون
هذا وقت الحاجة اليكم فقال افضلهم وددت ان

اكون حزما على عود من اعواد تهامة حتى تنقضي هذه
الفتن فلما سمع عبد الملك مقالة صاحبه قام وامرهم
بلزوم موضعهم وركب منفردًا وامر جماعة من
شجعانه ان يتبعوه متباعدين ففعلوا وسار
عبد الملك حتى انتهى الى شيخ ضعيف البدن
سيء الحال وهو يجمع سماقا فسلم عليه عبد الملك
وانسه بحديثه ثم قال له يا ايها الشيخ الك علم بنزول
هذا العسكر فقال الشيخ وما سوالك عنه فقال
عبد الملك اني اردت الانتظام في سلكه فقال له
اني ارى عليك سمت الرياسة فينبغي عليك ان
تصرف نفسك عن هذا الراي فان الامير الذي انت
قاصده قد اغلت عرى ملكه والسلطان في اضطراب
اموره كالبحر اذا هاج فقال عبد الملك يا ايها الشيخ
قد قوي على جذب نفسي الى صحبة هذا الامير
فهل لك ان ترشدني الى راي انفق به عنده فلعله

يكون سببًا لقربي منه فقال الشيخ ان هذه النازلة
التي نزلت بهذا الامير من النوازل التي لا تنفذ فيها
العقول واني لاكره ان ارد مسئلتك بالخيبة فقال
له عبد الملك قل جزاك الله خيرا فقال الشيخ ان
هذا الخليفة خرج الى قتال عدوه والارادة غير
قابلة للمراده والدليل على ذلك ان الله عز وجل لم
يرد ما قصده من محاربة ابن الزبير وثوب عمرو
ابن سعيد على منبره واستيلاءه على بيوت امواله
وسرير خلافته فاذا قصدت هذا الامير وانتظمت
في سلكه انظر في امره فان رايته قد اصر على قصده
ابن الزبير فاعلم انه مخذول فاجتنبه وان رايته
قد رجع من حيث جاء وترك قصده الاول فارج
له النصر والسلامة فقال له عبد الملك يا شيخ
وهل رجوعه الى دمشق الا كمسيره الى ابن الزبير
فقال الشيخ ان الذي اشكل عليك لواضح وها انا

ازيل عنك اللبس وهو ان عبد الملك اذا اقصد ابن
الزبير كان في صورة ظالم لان ابن الزبير لم يعطه
طاعة قط ولا وثب له على مملكة فاذا اقصد ابن
سعيد كان في صورة مظلوم لانه نكث بيعته
وخان امانته ووثب على دار ملك لم تكن له ولا
لابيه من قبله بل كانت لعبد الملك ولابيه من
قبله وعمرو عليها متعدّى ومن الامثال سمين
الغضب مهزول ووالى الغدر معزول وسأضرب
لك مثلا يشفى النفس ويزيل اللبس زعموا ان ثعلبا
كان يسمى ظالما وكان له جحر ياوى اليه وكان مغتبطا
به فخرج يوما يبتغى ما ياكل ثم رجع فوجد فيه حيّة
فانتظر خروجها فلم تخرج فعلم انها استوطنته وذلك
ان الحية لا تتخذ جحرا بل اذا اعجبها جحرا اغتصبته
وطردت من به من الحيوان ولهذا قيل فلان اظلم
من حيّة فهذا ظلمها ولما راى ظالم ان الحية قد استوطنت

جحره ولم يمكنه الكون معها ذهب يطلب لنفسه ماوى
فانتهى به السير الى جحر حسن الظاهر حصين في
ارض منيعة ذات اشجار ملتفة وماء معين فاعجبه
وسئل عنه فقالوا هذا الجحر يملكه ثعلب اسمه
مفوض وانه ورثه عن ابيه فناداه ظالم فخرج
اليه ورحب به وادخله الى جحره وسئله عن حاله
فقص عليه خبره مع الحية فرق عليه مفوض وقال
له الموت في طلب الثار خير من الحياة في العار والراى
عندى ان تنطلق معى الى ماواك الذى اخذ منك
غصبا حتى انظر اليه فلعلى اهتدى الى مكيدة تخلص
بها ماواك فانطلقا معا الى ذلك الجحر فتامله مفوض
وقال لظالم اذهب الليلة معى فبت الليلة عندى
لانظر ليلتى هذه فيما يسنح من الراى والمكيدة
ففعلا ذلك وبات مفوض مفكرا وجعل ظالم يتامل
مسكن مفوض فراى من سعته وطيب هوائه

وحصانته فاشتد حرصه عليه وطفق يدبر الحيلة
في اغتصابه ونفي مفوض عنه فلما اصبحا قال
مفوض لظالم اني رايت ذلك الجحر بعيدًا من الشجر
والما فاصرف نفسك عنه وهلم اعينك على احتفار
جحر في هذا المكان المشتهى فقال ظالم هذا غير
ممكن لان لي نفسًا تقلك لبعد الوطن حنينا فلما
سمع مفوض مقالة ظالم وما تظاهر به من الرغبة
في وطنه قال له اني اري ان نذهب يومنا هذا
فنحطب حطبا ونربط منه حزمتين فاذا جا الليل
انطلقنا الى بعض هذه الخيام فاخذت قبس
نار واحتملنا الحطب والقبس الى مسكنك فنجعل
الحزمتين في بابه ونضرم النار فان خرجت الحية
احترقت وان لزمت الجحر قتلها الدخان فقال ظالم
هذا نعم الراي فذهبا واحتطبا حزمتين ولما
جا الليل انطلق مفوض الى الظاهر من الخيام فاخذ

قبسا فعمد ظالم الى احدى الحزمتين فازالها الى موضع
غيبها فيه ثم جر الحزمة الاخرى الى باب مسكن مفوض
فسد بها سدًا محكما وقدر في نفسه ان مفوضا
اذا اتى الجحر لم يمكنه الدخول اليه لحصانته فاذا
يئس منه ذهب فنظر لنفسه ماوى وكان ظالم
قد راى في منزل مفوض طعما ادخره لنفسه فعول
ظالم على انه يفتات به ان حاصره مفوض وهو من
داخل واذهله الشره والحرص عن فساد هذا الراي
ثم ان مفوضا جا بالقبس فلم يجد ظالما ولا وجد
الحطب فظن ان ظالما قد حمل الحزمتين تخفيفا عنه
وانه سبقه الى مسكنه الذي فيه الحية اشفاقا
على مفوض فشق ذلك عليه وظهر له من الراي ان
يبادر اليه ويلحقه ليحمل معه الحطب فوضع
القبس بالقرب من الحطب ولم يشعر ان الباب
مسدود به لشدة الظلمة فما ابعد عن الباب الا

الا ضوء النار وشدة الدخان قد لحقا به فعاد
وتامل الباب وراى الحطب قد صار نارا فعلم مكيدة
ظالم وراه قد احترق من داخل الجحر وحاق به مكر
فقال هذا الباحث من حتفه بظلفه ثم ان مفوضا
صبر حتى انطفت النار فدخل جحره فاخرج جيفة
ظالم فالقاها واستوطن جحره امنا فهذا المثل
ضربته لك لانه مثلا سو فعل عمرو بن سعيد في
بغيه ومخادعته عبد الملك وحيلته في اخذ
دار ملكه وتحصينها منه وهذا فعل ظالم مع
مفوض والله اعلم فلما سمع عبد الملك حكمة الشيخ
في ضرب امثاله سر بذلك سرورا عظيما ثم اقبل
عليه فقال جزيت عني خيرا واني اريد ان تجعل بيني
وبينك موعدا او تعرفني مكانك لالقاك به بعد
يومي هذا فقال له الشيخ وما تريد بذلك فقال
له عبد الملك اني اريد مكافاتك على ما كان منك

فقال له الشيخ اني اعطيت عهدا لله عز وجل ان لا
اقبل منه بخيل فقال عبد الملك ومن اين علمت اني
بخيل فقال لانك اخرت صلتي مع القدرة فما
عليك لو وصلتني ببعض ما عليك فقال عبد الملك
اقسم بالله جل وعلا لقد ذهلت ثم نزع سيفه
وقال له اقبل مني هذا واحرص عليه فقيمته
عشرون الف درهم فقال الشيخ اني لا اقبل صلة
ذاهل قد عني وربي الذي لا يذهل ولا يبخل فهو حسبي
فلما سمع عبد الملك كلام الشيخ عظم في عينه
وعلم فضله في دينه فقال له انا عبد الملك فادفع
حوايجك الي فقال الشيخ وانا ايضا عبد الملك
فهلم نرفع حوايجنا الى من انا وانت له عبدان
فانطلق عبد الملك وعمل براى الشيخ فانجح
الله قصده وانتصر على اعدايه فلما سمع الوليد ما
اخبره به الكهل استرجح عقله واستظرف ادبه

واستحسن حضرته وسئله عن نفسه فتسمّى له وانتسب
فلم يعرفه الوليد فاستحيى منه وقال له من جهل
مثلك في رعيته ضاع فقال له الكهل يا امير المومنين
ان الملوك لا تعرف الا من يقرب اليها ويلزم ابوابها
فقال له الوليد صدقت ثم امر له بصلة معجلة
وعهد اليه في ملازمته فكان يتمتع بادبه وحكمته
الى ان كان من امر الوليد ما هو مشهور ومما تحزنه
من عجايب سلوان المطاع ∴ قيل لما عزم سابور
من هرمز على الدخول الى بلاد الروم متنكرا نهاه
نصحاوه وعقلا وزرايه وحذروه من ذلك
فعصاهم وكان يقال اشقى الناس وزرا الاحداث
من الملوك وعشاق الفتيات من المشايخ لان سابور
توجه نحو بلاد الروم واستصحب وزيرا كان له
ولابيه من قبله وكان من دهاة الناس في الحزم وسداد
الراي واختلاف الاديان ولغاتها وكان من

المتبحرين بالعلوم والمبرزين بالمكايد فسلم اليه سابور
جميع ما يحتاج اليه في سفره وامره ان يتجاوز في
السير ولا يبعد عنه بحيث يراعي جميع احواله في
ليله ونهاره فتوجها نحو الشام ولبس ذلك الوزير
زي الرهبان وتكلم بلسانهم وتحرف بصناعة
الطب الجراحي وكان معه الدهن الصيني الذي اذا
دهنت به الجراحات ختمت بسرعة واندملت
فكان ذلك الوزير في مسيره نحو بلاد الروم يداوي
الجرحا بادوية يضيف اليها يسيرا من ذلك الدهن
فتبرا بسرعة واذا عني باحد من ذوي الاقدار داواه
بذلك الدهن صرفا فيبرا على الفور ولا ياخذ على
ذلك اجرا فانتشر ذكره في بلاد الروم وعقدت
عليه الخناصر واقبل عليه الناس وكان مع انفراده
مع سابور يراعي جميع احواله فلم يزل كذلك
حتى طافا جميع الشام وقصدا القسطنطينية فلما

ثم ذهب الوزير الى البطرك وتفسير هذا الاسم
ابو الآبا فاستاذن عليه فاذن له وسأله عن قصده
فاخبره انه هاجر اليه ليتشرف بخدمته ويدخل
في اتباعه ثم اهدى اليه هدية نفيسة حسن
موقعها من البطرك فقربه واكرمه واحسن نزله
والحقه ببطانته واختبره فوجده عالما بدينهم
بل مبرزا فاعجب به غاية الاعجاب وجعل الوزير
يتامل احوال البطرك ليصحبه بما يلايمه وينفق
عنده فوجده مايلا الى الفكاهات معجبا بنوادر
الاخبار وكان الوزير في ذلك غاية فاخذ يتحفه
بكل نادرة غريبة وملحة عجيبة فصار البطرك
لم يبعد عن الوزير صبرًا لانه جلاء لعينه وحل بقلبه
وجعل الوزير مع ذلك يعالج الجراحات ولا ياخذ
على ذلك عوضا فعظم قدره في الناس هذا وهو
يتبع اخبار احوال سابور في كل وقت الى ان صنع قيصر

وليمة وحضر الناس اليها على طبقاتهم فاراد سابور
حضورها ليطلع على احوال قيصر وعلى رتبته في
قصره وعظم وليمته فنهاه وزيره عن ذلك فعصاه
وتزيا بزي ظن انه يستتر ودخل دار قيصر مع من
حضر الوليمة وكان قيصر من شدة احتراسه من سابور
وخيفته من ان يطرق بلاده وتحسن له همته العالية
وحدة الشبيبة ذلك فصور سابور في مجلسه وعلى
ستور بيته وعلى فرشه وفي آلات اكله وشربه
ولما دخل سابور يوم الوليمة واستقر في مجلسه واكل
مع من حضر اتوا بالشراب في كووس البلور والذهب
والفضة والزجاج المحكم وكان في المجلس رجل من
حكماء الروم فلما وقعت عينه على سابور انكره وجعل
يتامل شخصه فراى عليه مخايل الرياسة ولما زاد
في تامله وصل اليه دور الكاس فتامل الصورة التي
على الكاس وراجع النظر في سابور فما شك ان

الصورة التي على الكاس وضعت على مثاله وغلب على ظنه
انه سابور فامسك الكاس في يده امساكا طويلا
ثم قال رافعا صوته ان هذه الصورة التي على الكاس
تخبرني اخبارا عجيبا فقيل له وما الذي تخبرك فقال
تخبرني ان الذي هي مثالا له معنا في مجلسنا هذا
ثم نظر الى سابور وقد تغير لونه حين سمع مقالته
فحقق ظنه فبلغ ذلك قيصر فادناه وقربه وساله
فاخبره ان سابور معه في مجلسه واشار اليه فامر
قيصر بالقبض عليه وقرب من قيصر فساله عن نفسه
فتعلل بضروب من العلل لم تقبل فقال ذلك المنفرس
ايها الملك لا يقبل قوله فانه سابور لا محاله فهدده
قيصر بالقتل فاعترف بانه سابور فحبسه قيصر
مكرما وامر ان يعمل له من جلود البقر صورة بقرة
ونطبق عليه الجلود سبع طبقات ويتخذ لها باب
ويجعل لها كوه لاجل المبال ويستقر سابور بها ويجعل

يداه الى عنقه بجامعة من الذهب ذات سلسلة
يمكنه معها تناول ما يحمل له من طعام وشراب وغير
ذلك فلما دخل سابور جوف تلك الصورة جمع
قيصر جنوده واستعد لغزو بلاد الفرس ووكل
بسابور وهو داخل البقرة مائة رجل من ذوي
الباس والشدة تحملونها وصرف امرهم الى البطران
وهو خليفة البطرك فكانت تلك الصورة تحمل
بين يديه فاذا نزل العسكر نزلت الصوره التي
فيها سابور وسط العسكر وضربت عليها قبة
وتضرب للمطران قبة مجاورة لقبة سابور وسار
قيصر محتفلا بجنوده وعساكره وقد عزم على خراب
بلاد الفرس ولما جد السير قال وزير سابور للبطرك
ايها الاب انما استفدت بخدمتك والقرب منك
الرغبة في مصالح الاعمال ولا عمل اصلح من تنفيس
كربه من مجهود وجر منفعة الى مضطر وقد علمت

اجتهادي في مداوات الجرحا، وان نفسي تنازعني الى
صحبة الملك قيصر في سفره هذا لا غير فلعل الله تبارك
وتعالى تستنقذ نفسًا صالحة او يسوقني الى مداواة
جريح من العسكر لينقدس قلبي بهذه المثوبات
فكره البطرك ذلك وقال له قد علمت اني لا استطيع
فراقك فكيف تطالبني بالسفر البعيد قال فلم يزل
وزير سابور يتضرع الى البطرك الى ان استحي
منه وسمح له بذلك وزوده وكتب معه الى المطران
تخبره برتبته عنده وانه تحله في اعلا المراتب ويستضي
برايه اذا اشكل عليه امر فقدم وزير سابور على
المطران فعرف له حقه وانزله في قبته وجعل زمام
امره ونهيه بيده وصار الوزير يستميله بما يميل
اليه ويطرفه في كل ليلة بطرف الاخبار رافعا بها
صوته ليسمع سابور حديثه فيتسلى بذلك ويدس
في احاديثه ما يريد ان يعلمه به ويبطنه من الاسرار

فكان سابور يجد بذلك راحة عظيمة وكان الوزير
قد اعد لخلاص سابور انواعًا من المكايد رتبها عند
ما قدم على المطران منها انه امتنع من مواكلة المطران
واخبره انه لم يخلط بطعام البطرك غيره لاجل بركته
فكان اذا احضر طعام المطران اخرج هو ذلك الزاد
الذي معه وانفرد بالاكل وحده فلم يزل قيصر
سائرا بجنوده حتى بلغ ارض فارس فاكثر فيها القتل
والسبي وتغوير المياه وقطع الاشجار وخراب القرى
والحصون وهو مع ذلك يواصل السير ليستولي
على دار ملك سابور قبل ان يشعروا فيملكوا عليهم
رجلا منهم ولم يكن للفرس همّ الا الفرار من بين
يديه والاعتصام بالمعاقل والحصون فلم يزل
قيصر على تلك الحال حتى بلغ مدينة سابور وقرار
ملكه فاحاط بها ونصب عليها الات الحصار ولم
يكن عند من بها قوة ولا منعة في دفعه اكثر من ضبط

الاسوار والقتال عليها وكل ذلك فهمه سابور من
كنايات الوزير في محاضرته للمطران ولكن لم يسمع له
كلمة من حين سجنه قيصر في تلك الصورة فلما علم
سابور ان قيصر قد ثقلت وطاته واشرف على فتح
البلد عيل صبره وساء ظنه وايس من الحياه فلما
جاه الموكل بطعامه قال له ان هذه الجامعة قد نالت
مني منالا اضعفت قوتي عن احتماله فان كنتم تريدون
بقاء نفسي فنفسوا عني منها واجعلوا بينها وبين يدي
وعنقي خرقا من الحرير فجاء الموكل بطعامه الى المطران
واعلمه بالذي قاله سابور فسمعه الوزير وعلم ان
سابور قد جزع وساء ظنه وفطن لما اراد سابور
فلما جن الليل وجلس لمسامرة المطران قال له قد
ذكرت الليلة حديثا عجيبا ما ذكرته منذ كذا وكذا
وددت اني كنت حدثت به البطرك قبل سفري فقال
له المطران اني ارغب اليك ان تحدثني الليلة اياها

الراهب الحكيم فقال الوزير حبا وكرامه ثم اندفع
يحدثه رافعا صوته ليسمع سابور ويفهم الغرض
ويستانس فقال اعلم ايها المطران انه كان ببلادنا
فتى وفتاة ليس في زمانهما احسن منهما اسم الفتى
عين اهله واسم الفتاة سيدة النار وكانا زوجين
مؤتلفين لا يبتغي احدهما بالاخر بدلا ثم ان عين اهله
جلس يوما مع اصحابه فتذاكروا النساء الى ان ذكر
احدهم امراة اطنب في وصفها وبالغ وذكر ان اسمها
سيدة الذهب فوقع في قلب عين اهله حبها فسال
الواصف عن منزلها فذكر انها ببلد بالقرب من
بلده ففكر عين اهله في امرها وخامر حبها فانطلق الى
البلد التي هي ساكنة به وسال عن منزلها فعرفه ولم
يزل يتردد الى بابها حتى راها فراى منظرا حسنا
ولكن لم تكن باحسن من امراته بل ضرورات النفس
حب التنقل في الاحوال ولازم عين اهله المعاودة

الى منزل سيدة الذهب حتى فطن له بعلها وكان جافيا
غليظ الطبع شديد البطش يسمى الذئب فرصد
عين اهله حتى مر به فلما راه وثب عليه وقتل فرسه
ومزق ثيابه واستعان بجماعته عليه فاحتملوه الى
داخل دار الذئب وربطوه الى سارية في الدار
ووكل به عجوزا مقطوعة اليد جدعاء عوراء شوهاء
فلما جن عليه الليل وقدت تلك العجوز النار بالقرب
منه وجعلت تصطلي فذكر عين اهله ما كان فيه
من السلامة والعافية والرفاهة والعز فبكى بكاء
شديدا فاقبلت عليه العجوز وقالت له ما ذنبك
الذي اوجب هذا فقال عين اهله ما علمت لي ذنبا
فقالت العجوز هكذا قال الفرس للخنزير وكذب
فقال عين اهله للعجوز وما الذي كذب فيه الفرس
عند الخنزير فقالت له العجوز ذكروا ان فرسا كان
لاحد الشجعان فكان يبالغ في اكرامه ويحسن اليه

ويعدّه لمهماته ولا يصبر عنه ساعة وكان يخرج به
في صحبته كل يوم فيزيل لجامه وسرجه ويطيل
رسنه فيتمرغ ويرعى في كل مرج مخصب حتى
يرتفع النهار فيرده وهو على يده ثم انه خرج يوما
الى المرج راكبا ونزل عنه فلما استقرت قدماه
على الارض نفر الفرس وجمح ومر يعدو بسرجه ولجامه
فطلبه الفارس يومه كله فاعجزه وغاب عن عينه
عند غروب الشمس فرجع الفارس الى اهله وقد
ايس من الفرس ولما انقطع الطلب عن الفرس واظلم
عليه الليل جاع فطلب ان يرعى فمنعه اللجام ورام
ان يتمرغ فمنعه السرج ورام ان يضطجع فمنعه
الركاب فبات بشر فلما اصبح ذهب يبتغي فرجا مما
هو فيه فاعترضه نهر فدخله ليقطعه الى جهته
الاخرى فاذا هو بعيد القعر فسبح فيه وكان حزامه
ولببه من جلد مما ينفتق في دبغه فلما خرج اصابت

الشمس الحزام واللبب فيبسا واشتدّا عليه فورم
موضع اللبب والحزام واشتد به الضرورة وقوى
به الجوع ومضى عليه ايام فتزايد ضعفه وعجز عن
المشى فمرّ به خنزير فهمّ بقتله فراه ضعيفا جدا
فسئله عن حاله فاخبره بما هو فيه من اضرار اللجام
واللبب والحزام وسئله ان يصنع معه معروفا
ويخلصه مما هو فيه فسئله الخنزير عن الذنب
الذى اوقعه فى تلك العقوبة فزعم الفرس ان
لا ذنب له فقال له الخنزير كذبت ولو صدقت
خلصتك مما انت فيه ومن جهل ذنوبه واصرّ عليها
لم يبرح فلاحه فحدثنى يا فرس عن ابتدا امرك
فيما نزل بك وعن حالك قبل ذلك فصدقه الفرس
واخبره بجميع امره وكيف كان عند فارسه مكرما
وكيف فارقه وما لقى فى طريقه الى حين اجتماعه
بالخنزير فقال الخنزير قاتلك الله لقد كفرت النعم

النعم واكثرت الذنوب منها خلافك لفارسك
الذى بالغ فى الاحسان اليك واعدك لمهماته ومنها
كفرك احسانه ومنها تعديك على ما البسك
وهو السرج واللجام ومنها اساءتك الى نفسك
بتعاطيك التوحش الذى لست من اهله ولا لك
عليه مقدرة ومنها اصرارك على ذنبك وكنت قادرا
على العود الى فارسك قبل ان يوهنك اللجام
بالجوع والحزام واللبب بالالم فقال الفرس
للخنزير قد عرفت ذنبى فانطلق عنى ودعنى فانى
استحق اضعاف ما انا فيه فقال الخنزير بعد
ما عرفت وعدت على نفسك باللوم واخترت
لها العقوبة على جهلها تعيّن الشروع فى خلاصك
ثم ان الخنزير قطع عذار اللجام فسقط وقطع الحزام
فتنفس عن الفرس قال فلما سمع عين اهله ما خاطبته
به العجوز قال لها صدقت فيما نطقت وقد ادبتينى

فقادبت ثم اعلمها بخبره ثم رغبها في ان تمن عليه بالخلاص
كما فعل الخنزير بالفرس فقالت العجوز الذى سئلتني
يمكنني فعله الان ولعلي اجد لك فرجا ومخرجا عن
قريب فعليك بالصبر وامسكت العجوز عن مخاطبته
قال فلما انتهى الوزير في حديثه الى هذه الغاية اقبل
على المطران وقال انى احس في اعضاى فتورا وفي
راسي صداعا ولم اقدر الليلة على اتمام الحديث
ولعلي ان اكون الليلة القابلة نشيطا الى ذلك ونهض
الى مضجعه فجعل سابور يتامل حديث الوزير ويتامل
الامثال التي ضربها له ودسها في المسامرة ففهم
ان الوزير كنى عن سابور بعين اهله وكنى عن مملكته
بسيدة النار لانهم يعبدون النار وكنى عن بلاد
الروم بسيدة الذهب وكنى عن قيصر بالذئب
الذى ذكر انه بعل سيدة الذهب وكنى عن طموح
نفس سابور الى مملكة الروم بطموح نفس عين اهله

الى رؤية سيدة الذهب وكنى عن اخذ قيصر له بقبض
الذئب على عين اهله وكنى عن نفسه وحاله وعجزه
بالعجوز القطعا وعرفه انه لا يمكنه تخليصه في هذا
الوقت كما قررت العجوز لعين اهله وانه شارع
في خلاصه فاستروح سابور ريح الفرج فسكنت
نفسه واستوثق بوزيره فلما كانت الليلة القابلة وتعشى
المطران واخذ مقعده للمسامرة قال للوزير ايها
الحكيم الراهب اخبرني ما كان من عين اهله وهل
خلصته العجوز من وثاق الذئب ام لا فقال الوزير
سمعا وطاعة فشرع في حديثه وقال ان عين اهله اقام
على حالته عدة ايام وكل يوم يدخل عليه الذئب ويهدده
بالقتل ويزيده قيدا ثم ان العجوز جاءته في بعض الليالي
واضرمت لها بالقرب منه نارا وجلست تصطلي ثم اقبلت
على عين اهله وقالت له ساعدني على خلاصك بالصبر
فقال لها عين اهله هان على الطليق ما يلقى الاسير فقالت

العجوز حداثه سنك قصرت فهمك عن ادراك الحقايق
افتسمع حديثا لك فيه سلوه قال نعم فقالت العجوز
ذكروا ان بعض التجار كان له ولد وكان مشغوفا به
فاتحفه بعض معارفه بخشف غزال فعلق قلب الصبى
بذلك الخشف الصغير فكان لا يفارقه وجعلوا فى
جيده حليا نفيسا وارتبطوا له شاة ترضعه حتى
اشتد ونجم قرناه فاعجبه بريقهما وسوادهما وقال
لاهله ما هذا الذى ظهر فى راس الخشف قالوا
قرناه وقالوا له انهما سيكبران ويطولان فقال
الغلام لابيه انى احب ان ارى غزالا كبيرا له قرنان
كاملان فامر ابوه بعض الصيادين ان يصيد له غزالا
كبيرا فاحضر له غزالا قد استكمل قوة ونموا فاعجب
الغلام وحلا جيده ايضا فانس الغزال الكبير
بالخشف الصغير المجانسه الطبيعية فقال الخشف
للغزال ما كنت اظن لى فى الارض شكلا قبل ان اراك

فقال له الغزال ان اشكالك كثير فقال الخشف واين
هى فاخبره الغزال بتوحشها وانفرادها فى فلوات الارض
وتناسلها فارتاح الخشف لذلك وتمنى ان يراها
فقال له الغزال هذه امنيه لا خير لك فيها لانك نشات
فى رفاهية من العيش ولو حصلت على ما تمنيت لندمت
فقال الخشف للغزال لا بد من اللحاق باشكالى فلما
راى الغزال ان الخشف غير راجع لم يجد بدا من اقضى
اربه لحرمة الالفة فرصدا وقتا قابلا وخرجا معا
حتى لحقا بالصحرا فلما عاينها الخشف فرح ومرح ومر
يعدوا ولا يلتفت الى ما وراه فسقط فى اخدود
ضيق قد قطعه السيل وانتظر ان ياتيه الغزال فيخلصه
فلم ياته واما ولد التاجر فانه تنكد لفقد الخشف
والغزال واشفق ابوه عليه فاستدعى كل من يعانى
الصيد فعرفهم القصة وكلفهم طلب الخشف والغزال
ووعدهم بالمكافاة على ذلك وركب التاجر معهم

وفرق اتباعه على ابواب المدينة ينتظرون من ياتي من
الصيادين وانطلق هو وعبداه حتى دخلوا الصحرا
فراوا على بعد رجلا منكبا على شي بين يديه فاسرعوا
نحوه فوجدوه صيادا قد اوثق غزالا كبيرا وقد عزم
على ذبحه فتامله التاجر فاذا هو الغزال الكبير الذى
لولده فخلصه من الصياد وامر عبيده ففتشوه فوجدوا
معه الحلى الذى كان على الغزال فسله كيف ظفر به
واين وجده فقال انى بت فى هذا الصحرا ونصبت شركا
ومكثت قريبا منه فلما اصبحت مر على هذا الغزال ومعه
خشف يعدو ويمرح فى جهة غير جهة الشرك وجا
هذا الظبى يمشى حتى حصل فيه فقنصته وقصدت
به المدينه فلما بلغت هذا الموضع ظهر لى انى مخطى فى
ادخال الظبى الى المدينة حيا لعلمى انه اذا راى حيا
طولبت بما كان عليه من الحلى فرايت ان اذبحه وادخل
به لحما فهذا اخبرى فقال له التاجر لقد جنى عليك طمعك

الخبيث فما ذا عليك لو اطلقته وحصلت على ما كان عليه
من الحلى ثم ان التاجر ارسل الغزال الى ولده مع احدى
عبديه وقال للصياد ارجع معى فارنى الجهة التى رايت
الخشف سعى نحوها فرجع به الى تلك الجهة فسمع
ترتيب الخشف اى صوته فصاح به التاجر فعرف
الخشف صوته فصوت فسمع التاجر الصوت فادركه
فاذا هو فى ذلك الاخدود متشبثا فيه فاخذوه
وذهب التاجر للصياد ما رضى به وصرفه ورجع
التاجر بالخشف الى ولده فتكملت مسرة الغلام
وجعل الخشف يتجنب الغزال الكبير اذا راه ولا يالفه
فتنغصت مسرة الغلام لذلك وجهد اهله بكل
حيله ان يجمعوا بين الخشف والغزال فلم يقدروا
على ذلك فبينما الخشف نايم فى كناسه اذ دخل عليه
الغزال فايقظه وعاتبه على نفاره منه فقال الخشف
اما انت الذى غدرت وقد علمت احتياجى فى غربتى

الى معاونتك فقال والله ما اخرنى عن ذلك الا وقوعى
فى الشرك الصياد وقص عليه القصه فقبل عذره وعادا
الى الالفة كما كانا فلما سمع عين اهله خطاب العجوز
وفهم كناياتها عن عجزها فى تخليصها امسك عن خطابها
قيل فلما انتهى وزير سابور من حديثه الى هذا الحد
سكت فقال له المطران ايها الحكيم الراهب ما هذا
السكوت فقال الوزير قد عاودنى ذلك الفتور الذى
اجده فى اعضاى فقال المطران لا تفعل فان ذلك يشق
على فقال الوزير نعم افعل ذلك طلبا لمرضاتك ثم
اندفع يحدثه قال وبات عين اهله تلك الليلة
فى اضيق الاحوال ولما اصبح دخل عليه الذيب فنال
منه وهدده بالقتل وخرج من عنده فجعل يعلل
نفسه بقية نهاره ويمنيها بالفرج فلما اقبل عليه
الليل استوحش وانتظر ان تجلس اليه العجوز وتحادثه
فلم تفعل فايقن بقتله فى تلك الليله فاقبل على البكا

حتى ذهب جانب من الليل ثم قال للعجوز لم احظ فى هذه
الليلة بمؤانستك فقالت له قد جرحت قلبى بقولك
لى هان على الطليق ما لقى الاسير ولو اعتبرت باطن
حالى لعلمت ان اسرى اشد من اسرك فاستمع لى احدثك
اعلم ايها الفتى اننى كنت زوجة لبعض الفرسان
وكان لى محبا فكنت معه فى ارغد عيش وولدت
له اولادا كثيرة فغضب الملك على زوجى لامر كان منه
فقتله وقتل اولادى الذكور وباعنى انا وبناتى فاشترانى
هذا الفارس الذى عدا عليك واحملنى الى هذه
البلدة واسا الى وكلفنى من العمل ما لا اطيق ولى معه
على هذا الحال سبع سنين ثم فررت منه فى وقت
فادركنى فجدع انفى فمكثت بعد ذلك سبع سنين
اخرى ثم فررت منه فظفر بى فقطع يدى وعاود
عسفى ومضرتى وقد عزمت على تخليصك الليلة
وما اشك انه يقتلنى وجل قصدى ذلك لاجل الراحة

مما انا فيه ولاجل ذلك انا اكثر الدخول والخروج
اليك وانا في غاية الحيرة من الفزع والجزع ثم انها
فتحت قيود عين اهله وقطعت وثاقه وتناولت
سكينا لتقتل نفسها فقال لها عين اهله ان تركتك
تقتلين نفسك فقد شاركتك في دمك فانتزع
السكين من يدها وقال لها قومي اذهبي معي لكي ننجو
معًا او نعطب معًا فقالت ان كبر سني وضعف بصري
يمنعاني من اتباعك فقال لها عين اهله ان الليل متسع
والموضع الذي انا فيه قريب ولي قوة على حملك
فقالت له العجوز اذا عزمت على هذا فاني لا احوجك
الى حملي وخرجا معًا فلم ينقضي الليل حتى بلغا حيث امنا
فجزاها عين اهله خيرا على ما صنعت واتخذها امًّا
فهذا ما بلغني من ذلك فقال المطران ما اعجب حديثك
ايها الحكيم ولقد وددت اني لا افارقك ابدًا ونهض
كل واحد منهما الى مضجعه وبات سابور يتصفح

حديث وزيره ويتامل امثاله ففهم ان الخشف مثل لسابور
وان الغزال الكبير مثل للوزير وان خروج الخشف
مع الغزال الى الصحرا وحصول الخشف في الاخدود
مثل لصحبة سابور ووزيره حتى حصل سابور في
حبس قيصر وان نفار الغزال عن الخشف لسوء
ظن سابور بوزيره لتاخره عن استنقاده وتحقق
ان الوزير قد عزم على خلاصه والخروج به الى المدينة
ليلًا وان المدينه قريبة منه وانه يحمله ان عجز عن المشي
فايقن سابور بالفرج ولما كانت الليله القابله تلطف
وزير سابور حتى دخل الخيمه التي يطبخ بها الطعام
للمطران وبها الموكلون بقبة سابور نايمون ينتظرون
الطعام فتحيل الى ان القى في الطعام مرقدًا قوي الفعل
ولما حضر طعام المطران انفرد الوزير باكل زاده
على ما جرت به العاده فلم تكن الا ساعة حتى صرع
القوم فبادر الوزير الى فتح باب البقرة واستخراج

سيده وازال الجامعة عن عنقه ويديه وتلطف حتى
اخرجه من عسكر قيصر وقصد به المدينة فانتهيا
معًا الى سورها فصرخ بهم الموكلون فتقدم الوزير
اليهم وامرهم بخفض اصواتهم واعلمهم بسلامة الملك
ثم عرفهم نفسه فابتدروا اليهما وادخلوهما المدينة
فقويت نفوس اهلها وامرهم سابور بالاجتماع
وفرق فيهم السلاح وامرهم ان ياخذوا اهبتهم
فاذا ضربت نواقيس النصارى الضرب الاول يخرجوا
من المدينة ويفترقوا على عسكر الروم فاذا ضربت
النواقيس الضرب الثاني يحملوا باجمعهم فامتثلوا
امره ثم ان سابور انتخب كتيبة عظيمة فيها شجعان
اساورته ووقف معهم مما يلي الجهة التي فيها اخبية
قيصر فلما ضربت النواقيس الضرب الثاني حملوا
من كل جهة وقصد سابور اخبية قيصر ولم تكن
الروم متاهبين لعلمهم بضعف الفرس عن مقاومتهم

وسدّا بوابهم فما شعروا حتى دهموا واخذ سابور
قيصر اسيرًا وغنم جميع عسكره واحتوى على خزآئنه
ولم ينج من جنوده الا اليسير ثم عاد سابور الى مدينة
ودار مملكته فقسم تلك الغنآئم بين اهل عسكره
واحسن الى حفظة ملكه وفوض جميع اموره الى الوزير
ثم انه احضر قيصر فلاطفه واكرمه وقال له اني مبق
عليك كما ابقيت عليّ وغير مجازٍ لك على التضييق
ولكن اخذك باصلاح جميع ما افسدت من جميع
ملكي فتبني ما هدمت وتغرس نظير ما قلعت وتطلق
كل من عندك من اسارى الفرس فضمن له جميع ذلك
ووفى به فلما تم لسابور ما اراد من ذلك كله احسن
الى قيصر واطلقه وجهزه الى دار ملكه واستمر قيصر
على مهادنته والانقياد الى طاعته انتهى ومن
لطايف المنقول قصة اريب بنت اسحق زوج
عبد الله بن سلام القرشي كان عبد الله بن سلام واليًا

بالعراق من قبل معوية وكانت ارينب بنت اسحق زوجاً له
وهي من اجمل نساء عصرها واحسنهن ادباً واكثرهن
مالاً وكان يزيد بن معوية قد هام بجمالها وادابها
على السماع وبما بلغه عنها من حسن الخلق والخلق وفتن
بها فلما عيل صبره خصّص بسرّه خصيّاً خصيصاً عند
معوية اسمه رفيف فذكر ذلك رفيف لمعوية وذكر
شدة شغف يزيد بها فبعث معوية الى يزيد فاستفسره
عن امره فبثّ له شانه فقال معوية مهلاً يا يزيد
قال علام تامرني بالمهل وقد انقطع منها الامل
فقال معوية واين حجاك ومروتك فقال له يزيد
قد عيل الحجى ونفد الصبر قال له يا بني ساعدني على امرك
بالكتمان والله عز وجل بالغ امره وكانت ارينب بنت
اسحق قد سارت بذكر جمالها الركبان وضربت بها الامثال
فاخذ معوية في الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه وينال
غرضه فكتب الى عبد الله بن سلام يستحث حضوره

لمصلحة عينها له وكان عند معوية يومئذ بالشام ابو هريرة
وابو الدرداء صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما قدم عليه عبد الله بن سلام الشام اعد له معوية
منزلاً حسناً ونقله اليه وبالغ في اكرامه ثم قال لابي هريرة
وابي الدرداء ان ابنتي قد بلغت واريد نكاحها وقد
رضيت لها عبد الله بن سلام القرشي لدينه وشرفه
وفضله وادبه وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى
ولكني ارجو ان لا تخرج عن راي ان شاء الله تعالى فخرجا
من عنده متوجهين الى منزل عبد الله بن سلام
بالذي قال لهما معوية ثم دخل معوية على ابنته فقال
لها اذا دخل عليك ابو الدرداء وابو هريرة فعرضا
عليك امر عبد الله بن سلام وانكاحي اياك منه
وحضاك على المسارعة الى رضاي وقولي لهما عبد الله بن
سلام كفو كريم غير ان تحته ارينب بنت اسحق وانا
خائفة ان يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء ولست

بفاعله حتى يفارقها واما ابو الدردا، وابو هريرة فانهما
وصلا الى عبد الله بن سلام واعلماه بما قال لهما معوية
فردهما خاطبين منه فلما تمثلا بين يدى معوية قال
لهما كنت اعلمتكما انني جعلت لها فى نفسها شورى فادخلا
عليها واعلماها بذلك فابدت ما قرره ابوها عندها
من قبل فعادا الى عبد الله بن سلام فاعلماه بذلك ففهم
المراد واشهدهما عليه بطلاق ارينب وبعثهما اليه
خاطبين فلما دخلا على معوية اعلماه بطلاق ارينب
فاظهر معوية كراهية لذلك وقال ما استحسنت
طلاق زوجته ولا احببته فانصرفا فى عافية وعُودا
الينا وكتب الى ابنه يزيد يعلمه بما كان من طلاق
عبد الله بن سلام لارينب بنت اسحق وعاد بعد ذلك
ابو الدردا وابو هريرة الى معوية فامرهما بالدخول
على ابنته وسوالها عن رضاها وهو يقول لم يكن لى
ان اكرهها وقد جعلت لها الشورى فى نفسها فدخلا

عليها واعلماها بطلاق عبد الله امراته ليسراها بذلك
وذكر لها فضله وشرفه وكرمه ومروته فقالت جف
القلم بما هو كائن ولا انكر شرفه وفضله وانى سائلة
عنه حتى اعرف دخيلة خبره ولا قوة الا بالله تبارك وتع
فان يك صدر هذا اليوم ولّى فان غدا للناظر قريبُ
ثم تزايد حديث الناس بطلاق ارينب وخطبته
ابنة معوية واستحث عبد الله ابا الدردا، وابا هريرة
فاتياها فقالا لها اصنعى ما انت صانعه واستخيرى
الله فقالت ارجوا والحمد لله ان يكون الله قد خار لى
فانه لا يكل الى غيره وقد استبريت امره وسئلت عنه
فوجدته غير ملايم ولا يوافق لما اريد لنفسي مع اختلاف
من استشرته فيه فمنهم الناهى عنه والامر به
فلما بلغاه كلامها علم انها حيله وانه مخدوع
وقال متعز باليس لامر الله عز وجل رآد ولعل ما سرّوا
به لا يدوم ولم يسروه قال وذاع امره وفشا فى الناس

وقالوا خدعه معوية حتى طلق امراته لغرض ابنه بئيس
ماصنع ثم ان معوية بعد انقضاء ايامها المعلومة
وجه ابا الدردا الى العراق خاطبا لها على ابنه يزيد
فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنهما فقال ابو الدردا اذ قدم العراق
ماينبغي لذي عقل ان يبدا بشي قبل زيارة الحسين
سيد شباب اهل الجنة اذ دخل موضعا هو فيه
فقصد الحسين عليه السلام فلما راه قام اليه وصافحه
اجلالا لصحبته من جده صلى الله عليه وسلم وقال ما
اتى بك يا ابا الدردا قال وجهني معوية خاطبا
على ابنه يزيد ارينب بنت اسحق فرايت على حقا ان لا
ابدا بشي قبل السلام عليك فشكره الحسين على ذلك
واثنى عليه وقال لقد كنت ذكرت نكاحها واردت
الارسال اليها اذا انقضت مدتها وقد اتى
الله عز وجل بك فاخطب على بركة الله تعالى علي وعليه

وهي امانة في عنقك واعطها من المهر مثل ما بذل لها معوية
عن ابنه فقال افعل ان شا الله تعالى فلما دخل عليها قال
ايتها المراة ان الله عز وجل خلق الامور بقدرته وكونها
بعزته فجعل لكل امر قدرا ولكل قدر سببا فليس لاحد
عن قدر الله تبارك وتعالى مستخلص وكان ما سبق لك
وقدر عليك من فراق عبد الله بن سلام على غير قياس
ولعل ذلك لايغيرك وتجعل الله فيه خيرا كثيرا
وقد خطبك امير هذه الامة وابن ملكها وولي عهده
والخليفة من بعده يزيد بن معوية والحسين بن بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن اول من اقر به
من امته وسيد شباب اهل الجنة فاختاري ايهما
شئت فسكتت طويلا ثم قالت يا ابا الدردا لو جاني
هذا الامر وانت غايب لاشخصت فيه الرسل اليك
واتبعت فيه رايك فاما اذا كنت انت المرسل فيه
فقد فوضت امري فيه بعد الله عز وجل اليك وجعلته

في يديك فاختار لها ارضاهما لربك والله تعالى شاهد على
فاقض ولا يصدنك عن ذلك اتباع هوى فليس
امرهما عليك خفياً فقال ابو الدردا ايتها المراة انما
على اعلامك ولك الاختيار لنفسك فقالت عفى
الله عنك انما انا بنت اخيك ولا يمنعك احد من قول
الحق فيما طوقك به فقد وجب عليك ادا الامانة
فلم تجد بداً من القول فقال يا بنية ابن بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم احب الي ذلك وارضى عندي
والله اعلم وقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
واضعا شفتيه على شفتي الحسين فضعي شفتيك حيث
وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم شفتيه قالت
قد اخترته ورضيته فتزوجها الحسين بن علي عليهما
السلم فساق لها مهراً عظيما وبلغ معوية ما فعله
ابو الدردا فتعاظم عليه وقال من يرسل ذا بله وعمى
ركب خلاف ما يهوى وكان عبد الله بن سلام قد

استودعها قبل فراقه اياها ذهبا وكان معوية قد اطرحه
وقطع عنه جميع روادفه لقوله انه خدعه حتى طلق
امراته فلم يزل يجفوه حتى قلّ ما بيده فرجع الى العراق
فلما قدمها لقي الحسين عليه السلم فسلم عليه ثم قال
لقد علمت ما كان من خبري وخبر زينب وكنت قبل
فراقي اياها قد استودعتها مالا وكان الذي كان ولم
اقبضه ووالله ان ظني بها جميل فذاكرها في امري فان
الله جل وعلا يجزك به اجرك فسكت عنه فلما انصرف
الى اهله قال لها قدم عبد الله بن سلام وهو كثير الثناء
عليك في دينك وحسن صحبتك فسرّني ذلك واعجبني
وذكر انه استودعك مالاً قالت صدق استودعني
مالاً لا ادري لمن هو وانه لمطبوع عليه بخاتمه وها
هو ذا فادفعه اليه بطابعه فاثنى عليها الحسين خيرًا
وقال الا ادخله عليك حتى تتبرّى منه ثم لقي
عبد الله بن سلام فقال ما انكرت مالك وزعمت

انه كما دفعته اليها بطابعك فادخل يا هذا اليها وتوف
مالك منها بحيث تحصل البراة من الطرفين فلما دخل
عليها قال لها الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جا
يطلب وديعته فاخرجت اليه البدر فوضعها بين
يديه وقالت هذا مالك فشكر واثنى وخرج الحسين
عنهما وفض عبد الله خواتم بدره وحثى لها من ذلك
جانبا كبيرا وقال والله هذا قليل منى فاستعبرا
حتى علت اصواتهما بالبكاء على ما ابتليا به فدخل
الحسين عليهما وقد رق لهما ثم قال اشهد الله انها
طالق ثلاثا اللهم انت تعلم انى لم استنكحها رغبة
فى مالها ولا فى جمالها ولكنى اردت احلالها لزوجها
فطلقها ولم ياخذ شيا مما ساق لها فى مهرها بعدما
عرضته عليه وقال الذى ارجو من الثواب خير لى
فلما انقضت مدتها تزوجها عبد الله بن سلام وعاد
على ما كان عليه من حسن الصحبة الى ان فرق الموت بينهما

كذا نقله ابن بدرون فى تاريخه **ومن** غرايب المنقول
وعجايبه عن الامير بدر الدين ابى المحاسن يوسف
المهمندار المعروف بمهمندار العرب انه قال حكى
لى الامير شجاع الدين محمد الشيزرى متولى القاهرة
فى الايام الكاملية سنة ثلثين وستماية قال بتنا
عند رجل ببعض بلاد الصعيد فاكرمنا وكان الرجل
شديد السمرة وهو شيخ كبير فحضر له اولاد بيض
الوجوه حسان الاشكال فقلنا له هولاء اولادك
فقال نعم وكانى بكم وقد انكرتم بياضهم وسوادى
فقلنا له نعم قال هولاء امهم فرنجية اخذتها فى
ايام الملك الناصر صلاح الدين وانا شاب نوبة
حطين فقلنا وكيف اخذتها قال حديثى بها عجيب
قلنا اتحفنا به قال زرعت كتانا فى هذه البلدة
وقلعته ونفضته فانصرف عليه خمسماية دينار
ولم يبلغ الثمن الى اكثر من ذلك فحملته الى القاهرة فلم

يصل الى اكثر من ذلك فاشير علىّ بحمله الى الشام فحملته
فما زاد على تلك القيمة شيا فوصلت به الى عكّا
فبعت بعضه بالاجل والبعض تركته عندى واكتريت
حانوتاً ابيع فيه على مهلي الى حيث انقضاء المدة فبينما انا
ابيع اذ مرت بى امراة افرنجيه ونساء الافرنج يمشون
فى الاسواق بلا نقاب فاتت تشترى منى كتانا فرايت
من جمالها ما ابهرنى فبعتها وسامحتها ثم انصرفت
وعادت الى بعد ايام فبعتها وسامحتها اكثر من المرة
الاولى فتكررت الىّ وعلمت انى احبها فقلت للعجوز
التى معها انى قد تلفت بحبها واريد منك الحيلة فقالت
لها ذلك فقالت تروح ارواحنا الثلاثه انا وانت وهو
فقلت لها قد سمحت بروحى فى حبها وانفق الحال على
ان ادفع خمسين دينارا صوريه فوزنتها وسلمتها
للعجوز فقالت نحن الليلة عندك فمضيت وجهزت
ما قدرت عليه من ماكول ومشروب وشمع وحلوى

فجات الفرنجيه فاكلنا وشربنا وجز الليل ولم يبق غير النوم
فقلت لنفسى اما تستحيى من الله عز وجل وانت غريب
تعصى الله مع نصرانيه اللهم انى اشهدك قد عففت
عنها فى هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك
ثم نمت الى الصبح فقامت فى السحر وهى غضبا ومضت
ومضيت انا الى حانوتى فجلست فيه واذا هى قد
عبرت علىّ والعجوز وهى مغضبه وكانها القمر
فهلكت وقلت فى نفسى من هو انت حتى تترك هذه
البارعة فى حسنها ثم لحقت العجوز وقلت ارجعى فقالت
وحق المسيح ما ارجع اليك الا بماية دينار فقلت نعم
ومضيت فوزنت ماية دينار فلما حضرت الجارية
عندى لحقتنى الفكرة الاولى وعففت عنها وتركتها
حياءً من الله تعالى ثم مضت ومضيت الى موضعى
ثم عبرت علىّ بعد ذلك وكانت مستعربه فقالت
وحق المسيح ما بقيت تفرح بى عندك الا بخمسماية دينار

او تموت كمدا فارتعت لذلك وعزمت انني اصرف عليها
ثمن الكتان جميعه فبينما انا كذلك والمنادي ينادي
معاشر المسلمين ان الهدنة التي بيننا وبينكم قد
انقضت وقد امهلنا من هنا من المسلمين الى جمعه
فانقطعت عني واخذت انا في تحصيل ثمن الكتان
الذي لي والمصالحة على ما بقي منه واخذت معي
بضاعة حسنة وخرجت من عكا وفي قلبي من الفرنجيه
ما فيه فوصلت الى دمشق وبعت البضاعة باوفى
ثمن بسبب فراغ الهدنة ومن الله عز وجل بكسب وافر
واخذت اتجر في الجواري لعسى يذهب ما بقلبي من
الفرنجيه فمضت ثلاث سنين وجرى للسلطان
الملك الناصر ما جرى من وقعه حطين واخذ جميع
الملوك وفتحه بلاد الساحل باذن الله تعالى فطلب
مني جارية للملك الناصر فاحضرت جارية حسنة
فاشتريت لمني بماية دنار فوصلوا الى تسعين دينارا

وبقيت عشرة دنانير فلم يلقوها في الخزانه ذلك اليوم
لانه انفق جميع الاموال فشاوروه على ذلك فقال
امضوا به الى الخزانة التي فيها السبي من نسا الفرنج
فخيروه في واحدة منهن ياخذها بالعشرة دنانير
التي له فاتيت الخيمة فعرفت غريمتي الفرنجيه فقلت
اعطوني هاتيك فاخذتها ومضيت الى خيمتي وخلوت
بها وقلت اتعرفيني قالت لا فقلت انا صاحبك التاجر
الذي جرى لي معك ما جرى واخذتي مني الذهب
وقلت ما بقيت تبصريني الا بخمسماية دينار وقد اخذتك
ملكا بعشرة دنانير فقالت مد يدك انا اشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلمت وحسن
اسلامها فقلت والله لا وصلت اليها الا بامر القاضي
فرحت الى ابن شداد وحكيت له ما جرى فعجب وعقد لي
عليها وباتت تلك الليلة عندي فحملت مني ثم رحل العسكر
واتينا دمشق وبعد مدة يسيرة اتى رسول الملك

يطلب الاسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك
فرد وامن كان اسيرا من الرجال والنسا ولم يبق الا
التي عندي فسئلوا عنها واتضح الخبر انها عندي
فطلبت مني فحضرت وقد تغير لوني واحضرتها معي
بين يدي السلطان الملك الناصر والرسول حاضر
فقلت هذه المراة التي عندي فقال لها الملك الناصر
بحضرة الرسول تُرفعين الى بلادك والى زوجك
فقد فككنا اسرك واسر غيرك فقالت يا مولانا
السلطان انا قد اسلمت وحبلت وها بطني كما ترونه
وما بقيت الفرنج تنتفع بي فقال لها الرسول ايما
احب اليك هذا المسلم او زوجك الفرنجي فلان
فاعادت عبارتها الاولى فقال الرسول لمن معه من
الفرنج اسمعوا كلامها ثم قال لي الرسول خذ زوجتك
فوليت بها فطلبني ثانيا وقال ان امها ارسلت لها معي وديعه
وقالت ان بنتي اسيره واشتهي ان توصل لها هذه

الكسوه فتسلمت الكسوه ومضينا الى الدار وفتحنا
القماش فاذا هو قماشها بعينه قد سيرته له امها
ووجدت الصرتين الذهب الخمسين دينارا والمائة
دينار كما هما بربطتي لم تتغيرا وهولا الاولاد منها
وهي التي صنعت لكم هذا الطعام والله اعلم ومن
لطايف المنقول من المستجاد . قال الواقدي كان
ابرهيم بن المهدي قد ادعى الخلافة لنفسه بالري
واقام مالكها سنة واحد عشر شهرا واثني عشر يوما وله
اخبار كثيرة احسنها عندي ما حكاه لي قال لما دخل
المامون الري في طلبي وجعل لمن اتاه بي مائة الف درهم
خفت على نفسي وتحيرت في امري فخرجت من داري وقت
الظهر وكان يوما صايفا وما ادري اين اتوجه فوقفت
في شارع غير نافذ فقلت انا لله وانا اليه راجعون
ان عدت على اثري يرتاب في امري فرايت في صدر الشارع
عبدا اسود قايما على باب دار فتقدمت اليه وقلت

هل عندك موضع اقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم
وفتح الباب فدخلت الى بيت نظيف فيه حصير
وبسط ومخدات جلود الا انها نظيفة ثم اغلق
الباب عليّ ومضى فتوهمت انه قد سمع الجعالة فيّ وانه
خرج ليدل عليّ فبقيت على مثل النار فبينما انا كذلك
اذ اقبل ومعه حمال عليه كلما تحتاج اليه من خبز
ولحم وقدر جديدة والتها وجرة نظيفه وكيزان جدد
فحط عن الحمال ثم التفت الى وقال جعلني الله فداك
انا رجل حجام وانا اعلم انك تتقزز مني لما اتولاه
من معيشتي فشانك بما لم تقع عليه يد وكان بي حاجة
الى الطعام فطبخت لنفسي قدرا ما اذكر اني اكلت مثلها
فلما قضيت اربي من الطعام قال هل لك في شراب فانه
يسلي الهم ويطيب النفس فقلت ما اكره ذلك رغبة
في مواسنته فاتى بقطرميز جديد لم تمسه يد
وجاني بدست شراب مطيبه وقال لي روّق لنفسك

فروّقت شرابا في غاية الجوده واحضر لي قدحا جديدا
وفاكهة وابقالا مختلفة في طشوت فخار جدد ثم
قال بعد ذلك اتاذن لي جعلت فداك ان اقعد ناحيه
واتي بشراب لي فاشربه سرورا بك فقلت له افعل
فشرب وشربت ثم دخل الى الخزانة له فاخرج عودا
مصلحا ثم قال يا سيدي ليس من قدري ان اسلك
في الغنا ولكن قد وجبت علي مروتك حرمتي فان
رايت ان تشرف عبدك فلك علو الراي فقلت
ومن اين لك اني احسن الغنا فقال يا سبحان الله مولانا
اشهر من ذلك انت ابرهيم بن المهدي خليفتنا
بالامس الذي جعل المامون لمن دله عليك مائة الف درهم
فلما قال ذلك عظم في عيني وثبت مروته عندي
فتناولت العود فاصلحته وغنيت وقد مرّ بخاطري
فراق اهلي وولدي ❁ شعر ❁
وعسى الذي اهدى ليوسف اهله ❁ واعزه في السجن وهو اسير ❁

ان يستجيب لنا فيجمع شملنا • والله رب العالمين قدير
فاستولى عليه الطرب المفرط وطاب عيشه كثيرا
ومن شدة طربه وسروره قال لي يا سيدي اتاذن
لي ان اغني ما سنح بخاطري وان كنت من غير اهل هذه
الصناعة فقلت هذا زيادة في ادبك ومروتك
فاخذ العود وغنى • شعر •

شكونا الى احبابنا طول ليلنا • فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم • سريعا ولا يغشى لنا النوم اعينا
اذا ما دنا الليل المضر بذي الهوى • جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثلما • نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

فوالله لقد احسست بالبيت قد سادني وذهب
عني كل ما كان بي من الهلع وسألته ان يغني فغنى •

تعيرنا انا قليل عديدنا • فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا • عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا القوم لا نرى القتل سنه • اذا ما راته عامر وسلول
يقرب حب الموت اجالنا لنا • وتكرهه اجالهم فتطول •

فداخلني من الطرب ما لا مزيد عليه الى ان عاجلني السكر
فلم استيقظ الا بعد المغرب فعاودني فكري في نفاسه
هذا الحجام وحسن ادبه وظرفه فقمت وغسلت وجهي
وايقظته واخذت خريطه كانت صحبتي فيها دنانير
لها قيمة فرميت بها اليه وقلت استودعك الله تعالى
فانني ماض من عندك واسالك ان تصرف ما في
هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي
المزيد ان امنت من خوفي فاعادها علي منكرا وقال
يا سيدي ان الصعاليك منا لا قدر لهم عندكم
آخذ على ما وهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندي
ثمنا والله لئن راجعتني في ذلك لاقتلن نفسي فاعدت
الخريطة الى كمي وقد اثقلني حملها فلما انتهيت الى باب
داره قال لي يا سيدي ان هذا المكان اخفى لك من
غيره وليس في مؤنتك ثقله فاقم عندي الى ان يفرج

الله عنك فرجعت وسالته ان ينفق من تلك الخريطه
فلم يفعل فاقمت عنده اياما على تلك الحالة في الذ
عيش فتذممت من الاقامة في مونته واحتشمت
من التثقيل عليه فتركته وقد مضى تجدد لنا حالا
وقمت فتزينت بزي النسا بالخف والنقاب
وخرجت فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف
امر شديد وجئت لاعبر الجسر فاذا انا بموضع
مرشوش بماء فبصر بي جندي ممن كان يخدمني فعرفني
فقال هذه حاجة المامون فتعلق بي فمن حلاوة
الروح دفعته وفرسه فرميتهما في ذلك الزلق
فصار عبرة وتبادر الناس اليه فاجتهدت في المشي
حتى قطعت الجسر ودخلت شارعا فوجدت باب
دار وامراة في دهليزه فقلت يا سيدة النساء
احقني دمي فاني رجل خائف فقالت على الرحب واطلعتني
الى غرفه وفرشت وقدمت لي طعاما وقالت يهدا

روعك فما علم بك مخلوق واذا بالباب يدق دقا
عنيفا فخرجت وفتحت الباب واذا بصاحبي الذي
دفعته على الجسر وهو مشدود الراس ودمه يجري
على ثيابه وليس معه فرس فقالت يا هذا ما دهاك
فقال ظفرت بالغنا وانفلت مني فاخبرها بالحال
فاخرجت حراقا فاعملته في خرقه وعصبته به
وفرشت له ونام عليلا وطلعت الي وقالت اظنك
صاحب القصة فقلت نعم قالت لا باس عليك
ثم جددت لي الكرامة واقمت عندها ثلاثا
ثم قالت اني خائفه عليك من هذا الرجل لئلا يطلع
عليك فينم بك فانج بنفسك فسألتها المهلة
الى الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زي النسا
وخرجت من عندها فاتيت الى بيت مولاة كانت
لنا فلما راتني بكت وتوجعت وحمدت الله على سلامتي
وخرجت كانها تريد السوق للاهتمام بالضيافه فظننت

خيرا فما شعرت الا بابراهيم الموصلي بنفسه في خيله
ورجله والمولاة معه حتى سلمنى اليه فرايت الموت
عيانا وحملت بالزى الذى انا فيه الى المامون فجلس
مجلسا عاما وادخلنى اليه فلما مثلت بين يديه
سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلم الله عليك ولا
حياك ولا رعاك فقلت له على رسلك يا امير المومنين
ان ولى الثار محكم فى القصاص والعفو اقرب للتقوى
وقد جعلك الله تعالى فوق كل عفو كما جعل ذنبى
فوق كل ذنب فان تاخذ فبحقك وان تعف فبفضلك
ثم انشدته ذنبى اليك عظيم • وانت اعظم منه •
• فخذ بحقك اولى • فاصفح بحلمك عنه •
• ان لم اكن فى فعالى • من الكرام فكنه •
فرفع راسه الى فبدرته • وقلت •
• اتيت ذنبا عظيما • وانت للعفو اهل •
• فان عفوت فمن • وان جزيت فعدل •

فرق المامون واستروحت روائح الرحمة من شمائله
ثم اقبل على ابنه العباس واخيه ابى اسحق وجميع من
حضر من خاصته فقال ما ترون فى امره فكل اشار
بقتلى الا انهم اختلفوا فى القتلة كيف تكون
فقال المامون لاحمد بن ابى خالد ما تقول يا احمد
فقال يا امير المومنين ان قتلته وجدنا مثلك قتل
مثله وان عفوت لم نجد مثلك عفا عن مثله فنكس
المامون راسه ينكث فى الارض فانشد متمثلا
قومى هم قتلوا اميم اخى • فاذا رميت يصيبنى سهمى •
فكشفت المقنعة عن راسى وكبرت تكبيرة عظيمة
وقلت عفا والله عنى امير المومنين فقال المامون
لا باس عليك يا عم فقلت ذنبى يا امير المومنين
اعظم من ان انفوه معه بعذر وعفوك اعظم
من ان انطق معه بشكر ولكن اقول •
ان الذى خلق المكارم حازها • فى صلب ادم للامام السابع •

ملئت قلوب الناس منك مهابة • وتكل تكلوهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تمدني • اسبابها الا بنية طايع
فعفوت عن لم يكن عن مثله • عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت اطفالا كافراخ القطا • وحنين والدة بقلب جارع
فقال المامون لا تثريب عليك اليوم قد عفوت •
عنك ورددت عليك مالك وضياعك فقلت
رددت مالي ولم تبخل علي به • وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
فلو بذلت دمي ابغي رضاك به • والمال حتى اسل النعل من قدمي
ما كان ذاك سوى عارية رجعت • اليك لو لم تعرها كنت لم تلم
فان جحدتك ما اوليت من كرم • اني الى اللوم اولى منك بالكرم
فقال المامون ان من الكلام درا وهذا منه وخلع
عليه وقال يا عم ان ابا اسحق والعباس اشارا بقتلك
فقلت انهما نصحا لك يا امير المومنين ولكن اتيت
بما انت اهله ودفعت ما خفت بما رجوت فقال
المامون يا عم امت حقدي بحياة عذرك وقد

عفوت عنك ولم اجرعك مرارة امتنان الشافعين
ثم سجد المامون طويلا ورفع راسه وقال يا عم
اندري لم سجدت قلت شكرا لله تعالى الذي ظفرك
بعدو دولتك فقال ما اردت هذا ولكن شكرا
لله عز وجل الذي الهمني العفو عنك فحدثني
الان حديثك فشرحت له صورة امري وما جرى
لي مع الحجام والجندي والمراة والمولاة التي نمت
علي فامر المامون باحضارها وهي في دارها تنتظر
الجايزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع سيدك
فقالت الرغبة في المال فقال لها هل لك ولد او
زوج قالت لا فامر بضربها ماتي سوط وخلد سجنها
ثم قال احضروا الجندي وامراته والحجام فاحضروا
فسئل الجندي عن السبب الذي حمله على ما فعل
فقال الرغبة في المال فقال المامون انت يجب
ان تكون حجاما ووكل به من يلزمه الجلوس في دكان

الحجام ليتعلم الحجامه واكرم زوجته وادخلها الى
القصر وقال هذه امراة عاقله تصلح للمهات ثم قال
للحجام لقد ظهر من مروتك ما يوجب المبالغة فى
اكرامك وسلم اليه دار الجندى بما فيها وخلع عليه
وانعم عليه برزقه وزياده الف دينار فى كل سنه
ولم يزل فى تلك النعمة الى ان مات ومما يضارع
ذلك انه لما افضت الخلافه الى بنى العباس
اختفت رجال بنى اميّه منهم ابراهيم بن سليمان
ابن عبد الملك وكان ابراهيم رجلا عالما عاملا
اديبا كاملا وهو فى سن الشبيبة فاخذوا له امانا
من السفاح فقال له يوما حدثنى عما مرّ بك فى
اختفائك قال كنت يا امير المومنين مختفيا بالحيرة
فى منزل شارع على الصحرا فبينما انا على ظهر البيت
اذ نظرت الى اعلام سود قد خرجت من الكوفه
تريد الحيرة فتخيلت انها تريدنى فخرجت من الدار

متنكرا حتى اتيت الكوفه ولا اعرف احدا اختفى عنده
فبقيت فى حيرة فاذا انا بباب كبير رحبته واسعة
فدخلت فيها فاذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس
قد دخل الرحبه ومعه جماعة من غلمانه واتباعه
فقال من انت وما حاجتك فقلت رجل خائف على دمه
وقد استجار بمنزلك فادخلنى منزله ثم صيّرنى
فى حجرة تلى حرمه وكنت عنده فى كل ما احبه من
مطعم ومشرب وملبس لا يسالنى عن شى من حالى
الا انه يركب فى كل يوم ركبه فقلت له يوما اراك
تدمن الركوب ففيم ذلك قال ان ابراهيم بن سليمان
قتل ابى صبرا وقد بلغنى انه مختف فانا اطلبه لادرك
منه ثارى فكثر والله تعجبى وقلت القدر ساقنى
الى حتفى فى منزل من يطلب دمى وكرهت الحياة
فسئلت الرجل عن اسمه واسم ابيه فاخبرنى فعلمت
ان الخبر صحيح وانا الذى قتلت اباه فقلت له يا هذا

قد وجب على حقك ومن حقك ان ادلك على خصمك
واقرب عليك الخطوة قال وما ذاك قلت انا ابرهيم
ابن سليمان قاتل ابيك فخذ بثارك فقال انى احسبك
رجلا قد مضه الاختفاء فاحببت الموت فقلت لا
والله ولكن اقول لك الحق يوم كذا وكذا بسبب كذا
وكذا فلما علم صدقى تغير لونه واحمرت عيناه
واطرق مليا ثم قال اما انت فستلقى ابى عند حكم
عدل فياخذ بثاره واما انا فغير مخفر ذمتى فاخرج عنى
فلست آمن عليك من نفسى واعطانى الف دينار فلم
اخذها منه وانصرفت عنه فهذا اكرم رجل رايته
بعد امير المومنين ومن لطايف ما نقلته من المستجاد
حدث ابو الحسن بن صالح البلخى بمصر قال اخبرنى
بعض عمال شيوخنا عن شبيبة بن محمد الدمشقى
قال كان فى ايام سليمن بن عبد الملك رجل يقال له خزيمة
ابن بشر من بنى اسد مشهور بالمروة والكرم والمواساة

وكانت نعمته وافرة فلم يزل على تلك الحالة حتى احتاج
الى اخوانه الذى كان يواسيهم ويتفضل عليهم فواسوه
حينا ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم اتى امراته وكانت
ابنة عمه فقال لها يا ابنة العم قد رايت من اخوانى تغيرا
وقد عزمت على لزوم بيتى الى ان ياتينى الموت ثم اغلق
بابه عليه واقام يتقوت بما عنده حتى نفد وبقى حايرا
فى حاله وكان عكرمة الفياض واليا على الجزيرة فبينما
هو فى مجلسه وعنده جماعة من اهل البلد اذ جرى
ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة ما حاله فقالوا صار
فى اسوا الاحوال وقد اغلق بابه ولزم بيته فقال
عكرمة الفياض وما سمى الفياض الا للافراط فى الكرم
فما وجد خزيمة بن بشر مواسيا ولا مكافيا فامسك
عن ذلك فلما كان الليل عمد الى اربعة الاف دينار
فجعلها فى كيس واحد ثم امر باسراج دابته وخرج
سرا من اهله فركب ومعه غلام واحد يحمل المال ثم سار

حتى وقف بباب خزيمه فاخذ الكيس من الغلام ثم ابعده
عنه وتقدم الى الباب فطرقه بنفسه فخرج خزيمة
فقال اصلح بهذا شانك فتناوله فراه ثقيلا فوضعه
وقبض على لجام الدابة وقال له من انت جعلت فداك
قال ماجيت في هذا الوقت وانا اريد ان تعرفني قال
خزيمة فما اقبله او تخبرني من انت قال انا جابر عثرات
الكرام قال زدني قال لا ثم مضى ودخل خزيمه بالكيس
الى امراته فقال لها ابشري فقد اتى الله تعالى بالفرج
فلو كان في هذا الكيس فلوس كانت كثيره قومي فاسرجي
قالت لا سبيل الى السراج فبات يلمس الكيس فيجد
خشونة الدنانير ورجع عكرمة الى منزله فوجد
امراته قد افتقدته وسئلت عنه فاخبرت بركوبه
منفردا فارتابت وشقت جيبها ولطمت خدها فلما
راها على تلك الحالة قال لها ما دهاك يا بنة العم
قالت سوء فعلك بابنة عمك امير الجزيره تخرج بعد

هداة من الليل منفردا من غلمانه في سر من اهله الا
الى زوجة او سريه فقالت لقد علم الله عز وجل ما خرجت
الى واحدة منهما قالت لا بد تعلمني قال فاكتميه اذا قالت
فافعل فاخبرها بالقصة على وجهها ثم قال لها اتحبين
ان احلف لك قالت لا قد سكن قلبي ثم اصبح خزيمة
صالح غرماه واصلح من حاله ثم تجهز يريد سليمان
ابن عبد الملك بفلسطين فلما وقف ببابه دخل الحاجب
فاخبره بمكانه وكان مشهورا بالمروته وكان الخليفه به
عارفا فاذن له فلما دخل عليه وسلم بالخلافة قال يا خزيمه
ما ابطاك عنا قال سوء الحال يا امير المومنين قال
فما منعك من النهضه الينا قال ضعفي قال فمن انهضك
قال لم اشعر يا امير المومنين بعد هداة من الليل
الا ورجل يطرق بابي وكان منه كيت وكيت واخبره
بقصته من اولها الى اخرها فقال هل عرفته قال لا
والله العظيم لانه كان متنكرا وما سمعت منه الا

جابر عثرات الكرام قال فتلهف سليمن بن عبد الملك على
معرفته وقال لو عرفناه لاغنيناه على مروته ثم
قال على بقناه فاتى بها فعقد لخزيمة الولايه على الجزيرة
وعلى عمل عكرمه واجزل عطاياه وامره بالتوجه الى
الجزيرة فخرج خزيمة متوجها اليها فلما قرب منها
خرج عكرمة واهل البلد للقاايه فسلم عليه ثم سارا
جميعا الى ان دخلا البلد فنزل خزيمة فى دار الاماره
وامر ان يوخذ عكرمة وان يحاسب فحوسب ففضل
عليه مال كثير فطلبه خزيمة بالمال فقال مالى الى
شى منه سبيل فامر بحبسه ثم بعث يطالبه فارسل
اليه انى لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما
شئت فامر به فكبل بالحديد وضيق عليه واقام على
ذلك شهرا فاضناه ثقل الحديد واضربه وبلغ ذلك
ابنة عمه فجزعت عليه واغتمت ثم دعت مولاة لها
ذات عقل وقالت امضى الساعة الى باب هذا الامير

الامير فقولى عندى نصيحه فاذا طلبت منك فقولى
لا اقولها الا للامير خزيمة فاذا دخلت عليه سليه الخلوة
فاذا فعل فقولى له ما كان هذا جزا جابر عثرات الكرام
منك فى مكافاتك له بالضيق والحبس والحديد
قال ففعلت ذلك فلما سمع خزيمة قولها قال واسواتاه
جابر عثرات الكرام غريمى قالت نعم فامر من وقته
بدابته فاسرجت وركب الى وجوه اهل البلد فجمعهم
وسار بهم الى باب الحبس ففتح ودخل فراى عكرمة
الفياض فى قاع الحبس متغيرا قد اضناه الضر
فلما نظر عكرمة الى خزيمة والى الناس احشمه ذلك
فنكس راسه فاقبل خزيمة حتى انكب على راسه فقبلها
فرفع راسه وقال ما اعقب هذا منك قال كريم
فعلك وسوء مكافاتى قال يغفر الله عز وجل لنا ولك
ثم امر بفك قيوده وان توضع فى رجليه فقال عكرمة
تريد ماذا قال اريد ان ينالنى من الضر مثل ما نالك

فقال اقسم عليك بالله ان لا تفعل فخرجا جميعا الى
ان وصلا الى دار خزيمة فودعه عكرمة واراد
الانصراف فلم يمكنه من ذلك قال وما تريد قال
اغير من حالك وحياى من ابنة عمك اشد من حياى
منك ثم امر بالحمام فاخليت ودخلا جميعا ثم قام
خزيمة فتولى خدمته بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمل
اليه مالا كثيرا ثم سار معه الى داره واستاذنه
فى الاعتذار من ابنة عمه فاذن له فاعتذر اليها
وتذمم من ذلك ثم سئله ان يسير معه الى امير المومنين
وهو يومئذ مقيم بالرملة فانعم له بذلك فسارا
جميعا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل
الحاجب فاخبره بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك
وقال والى الجزيرة يقدم علينا بغير امرنا مع قرب
العهد به ما هذا الا لحادث عظيم فلما دخل عليه قال
قبل ان يسلم ما وراك يا خزيمة قال خير يا امير المومنين

قال فما اقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام
فاحببت ان اسرك لما رايت من شوقك الى رويته
قال ومن هو قال عكرمة الفياض فاذن له فى الدخول
فدخل وسلم عليه بالخلافة فرحب به وادناه من مجلسه
وقال يا عكرمة كان خيرك له وبالا عليك ثم قال له
اكتب حوايجك وما تختاره فى رقعة فكتبها وقضيت على
الفور ثم امر له بعشرة الاف دينار مع ما اضيف
اليه من التحف والطرف ثم دعى بقناة وعقد له
على الجزيرة وارمينيه واذربيجان وقال له امر
خزيمة اليك ان شئت ابقيته وان شئت عزلته
قال بل ارده الى عمله يا امير المومنين ثم انصرفا
جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان بن عبد الملك مدة
خلافته ويضارع ذلك من المستجاد ايضا ما روى
عن ابى موسى محمد بن المفضل بن يعقوب كاتب عيسى
ابن جعفر قال حدثنى ابى قال كنت اتردد الى زينب

بنت سليمان بن عبد الله بن عباس واخدمها فتوجهت
الى خدمتها يوما فقالت اقعد حتى احدثك حديثا
كان بالامس يكتب على الاماء فكنت امس عند الخيزران
ومن عادتي اني اجلس بازائها وفي الصدر مجلس
للمهدي يجلس فيه وهو يقصدنا في كل وقت فيجلس
قليلا ثم ينهض فبينما نحن كذلك اذ دخلت علينا
جارية من جواريها فقالت اعز الله السيدة بالباب
امراة لها جمال وخلقة حسنة وليس وراء ما هي عليه
من سوء الحال غاية تستاذن عليك وقد سالتها
عن اسمها فامتنعت ان تخبرني فالتفتت الى الخيزران
وقالت ما ترين فقلت ادخليها فانه لا بد من فائدة
او ثواب فدخلت امراة من اجمل النساء لا تتوارى
بشيء حتى وقفت بجنب عضادة الباب ثم سلمت متضائلة
ثم قالت انا مزنة بنت مروان بن محمد الاموي فقالت
الخيزران لا حياك الله ولا قربك والحمد لله الذي ازال

نعمتك وهتك سترك واذلك اتذكرين يا عدوة
الله حين اتاك عجائز اهل بيتي يسالنك ان تكلمي
صاحبك في الاذن في دفن ابرهيم بن محمد فوثبت
عليهن واسمعتيهن ما سمعن وامرت فاخرجن على تلك
الحالة فضحكت مزنة فما انسى حسن ثغرها وعلو صوتها
بالقهقهة ثم قالت يا بنة العم اي شيء اعجبك من
حسن صنع الله تعالى بي على العقوق حتى اردت ان
تتاسي بي فيه والله اني فعلت بنسائك ما فعلت
فاسلمني الله عز وجل لك ذليلة جائعة عريانة وكان
هذا مقدار شكرك لله تعالى على ما اولاك في ثم
قالت السلام عليكم وولت مسرعة فصاحت اليها
الخيزران لتعانقها فقالت ليس في لذلك موضع مع
الحال التي انا عليها فقالت الخيزران لها في الحمام
اذًا وامرت جماعة من جواريها بالدخول معها الى
الحمام فدخلت وطلبت ماشطة تزين ما على وجهها

من الشعر فلما خرجت من الحمام وافتها الخلع والطيب
فاخذت من الثياب ما ارادت ثم تطيبت وخرجت الينا
فعانقتها الخيزران واجلستها في الموضع الذي يجلس
فيه امير المومنين المهدي ثم قالت لها الخيزران هل
لك في الطعام فقالت والله ما فيكن احوج مني اليه
فعجلوه فاتي بالمائدة فجعلت تاكل غير محتشمه الى ان
اكتفت ثم غسلنا ايدينا فقالت لها الخيزران من
وراك ممن تعنين به قالت ما خارج هذه الدار من
بيني وبينه سبب فقالت الخيزران اذا كان الامر
هكذا فقومي حتى تختاري لنفسك مقصورة من
مقاصيرنا ونحول لها جميع ما تختارين ثم لا نفترق
الى الموت فقامت ودخلت بها في المقاصير فاختارت
اوسعها وانزهها ولم نبرح حتى حولنا اليها جميع ما
تحتاج اليه من الفرش والكسوة قالت زينب ثم
تركناها وخرجنا عنها فقالت الخيزران هذه المراة

قد كانت فيما كانت فيه وقد مسها الضر وليس يغسل
ما في قلبها الا المال فاحملوا اليها خمسماية الف درهم
فحملت اليها وفي غضون ذلك وافا المهدي فسلنا عن الخبر
فحدثته الخيزران حديثها وما لقيتها به فوثب مغضبا
وقال للخيزران هذا مقدار شكر الله على نعمته وقد
امكنك من هذه المراه مع الحالة التي هي عليها فوالله لولا
محلك من قلبي لحلفت ان لا اكلمك ابدا فقالت الخيزران
يا امير المومنين قد اعتذرت اليها ورضيت وفعلت
معها كذا وكذا فلما علم المهدي ذلك قال لخادم كان
معه احمل اليها ماية بدره وادخل اليها ابلغها مني السلم
وقل لها والله ما سررت في عمري كسروري اليوم وقد
وجب على امير المومنين حقك ولولا انه يكره
احتشامك لحضر اليك مسلما عليك وقاضيا لحقك
فمضى الخادم بالمال والرسالة فاقبلت على الفور
فسلمت على المهدي بالخلافه وشكرت صنيعه وبالغت

في الثنا على الخيزران عنده وقالت ما على من امير المومنين حشمه انا في عدد حرمه ثم قامت الى منزلها فخلفتها عند الخيزران وهي تتصرف في المنازل والجواري كتصرف الخيزران فارخها عندك فانها من طرف النوادر وروى عن عبد الرحمن بن عمر الفهري عن رجال سماهم قال امر المامون ان نحمل اليه من اهل البصرة عشرة كانوا قد رموا بالزندقة فحملوا فراهم احد الطفيلية قد اجتمعوا بالساحل فقال ما اجتمع هولاء الا لوليمة فدخل معهم ومضى بهم الموكلون الى البحر واطلعوهم في زورق قد اعد لهم فقال الطفيلي لا شك انها نزهة فصعد معهم في الزورق فلم يكن باسرع من ان قيدوا وقيد الطفيلي معهم فعلم انه قد وقع ورام الخلاص فلم يقدر وساروا الى ان دخلوا بغداد وحملوا ودخلوا على المامون فلما مثلوا بين يديه امر بضرب اعناقهم

فاستدعوا باسمائهم حتى لم يبق الا الطفيلي وهو خارج عن العدة فقال لهم المامون من هذا قالوا والله ما ندري يا امير المومنين غير انا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال له المامون ما قصتك فقال يا امير المومنين امراتي طالق ان كنت اعرف من اقوالهم شيا ولا اعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله وانما رايتهم مجتمعين فظننت انهم يدعون الى وليمة فالتحقت بهم قال فضحك المامون ثم قال بلغ من شوم التطفل الى ان احل صاحبه هذا المحل لقد سلم هذا الجاهل من الموت ولكن يودب حتى يتوب فقال ابراهيم بن المهدي هبه لي واحدثك بحديث عن نفسي في التطفل عجيب قال المامون قد وهبته لك هات حديثك قال يا امير المومنين خرجت يوما متنكرا للتنزه فانتهى بي المشي الى موضع شممت روائح طعام وابازير قد فاحت فتاقت نفسي اليها ووقفت يا امير المومنين لا اقدر على المضي

فرفعت بصري واذا شباك ومن خلفه كف ومعصم ما
رايت احسن منهما فوقفت حايرا ونسيت رواح الطعام
بذلك الكف والمعصم واخذت في اعمال الحيلة
فاذا خياط قريب من ذلك الموضع فتقدمت اليه
وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت لمن هذه الدار فقال
لرجل من التجار قلت ما اسمه قال فلان بن فلان فقلت اهو
ممن يشرب الخمر قال نعم واحسب اليوم ان عنده دعوه
وليس ينادم الا التجار فبينا نحن في الكلام اذا اقبل
رجلان نبيلان راكبان فاعلمني انهما اخص الناس
بصحبته واعلمني باسمهما فحركت دابتي فلقيتهما وقلت
جعلت فداكما قد استبطاكما ابو فلان وسايرتهما حتى
اتينا الباب فدخلت ودخلا فلما راني صاحب الدار معهما
لم يشك اني منهما فرحب بي واجلسني في افضل المواضع
ثم جي بالمايدة فقلت في نفسي هذه الالوان قد من
الله عز وجل ببلوغ الغرض منها بقي الكف والمعصم ثم نقلنا

الى مجلس المنادمة فرايت مجلسا محفوفا باللطايف
وجعل صاحب المنزل يلطف بي ويقبل علي في الحديث
لظنه اني ضيف لاضيافه وهم على مثل ذلك حتى شربنا
اقداحا اذ خرجت علينا جارية كانها غصن بان في
غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت غير خجلة واتي
بعود فاخذته وجسته فاذا هي حاذقة واندفعت فغنت
اليس عجيبا ان بيتا يضمني • واياك لا نخلو ولا نتكلم •
سوى اعين تبدي سرار انفس • وتقطيع انفاس على النار تضرم
اشارة افواه وغمز حواجب • وتكسير اجفان وكف يسلم
فهيجت يا امير المومنين بلابلي فطربت لحذقها ولطف
شعرها الذي غنت به فحسدتها وقلت قد بقي عليك
يا جارية شي فرمت العود وقالت متى كنتم تحضرون
البغضا في مجالس السكر فندمت على ما كان مني ورايت القوم
وقد انكروا علي ذلك فقلت في نفسي فاتني جميع ما املت
فقلت اثم عود قالوا نعم فاحضروا عودا فاصلحت •

ما اردت فيه ثم اندفعت فغنيت شعر

هذا محبك مطوى على كمده • صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسئل الرحمن راحته • مما به ويد اخرى على كبده •
يا من يرى كلفا مستبعدا دنفا • كانت منيته فى عينه ويده •

فوثبت الجاريه فاكبت على رجلى تقبلها وقالت المعذرة •
اليك يا سيدى والله ما علمت بمكانك ولا سمعت
بمثل هذه الصناعة ثم اخذ القوم فى اكرامى وتبجيلى
بعد ما طربوا غاية الطرب وسئلنى كل منهم الغنا
فغنيت لهم نوبات مطربة فغاب القوم سكرا وذهبت
عقولهم فحملوا الى منازلهم وبقى صاحب المنزل يشرب
معى اقداحا ثم قال لى يا سيدى ذهب ما مضى من عمرى
مجانا اذ لم اعرف مثلك فبالله يا مولاى من انت لاعرف
نديمى الذى من الله تعالى على به فى هذه الليلة فاخذت
اورى وهو يقسم على فاعلمته فوثب قائما وقال قد
عجبت ان يكون هذا الفضل الا لمثلك ولقد اسدى

الى الزمان يدا لا اقوم بشكرها ومتى طمعت ان تزوردنى
الخلافه فى منزلى وتنادمنى ليلتى وما هذا الا فى المنام
فاقسمت عليه ان يجلس فجلس واخذ يسئلنى عن السبب
فى حضورى عنده بالطف معنى فاخبرته بالقصة
من اولها الى اخرها وما سترت منها شيئا ثم قلت اما
الطعام فقد نلت منه بغيتى فقال والكف والمعصم
ان شا الله تعالى ثم قال يا فلانه قولى لفلانه تنزل
ثم جعل يستدعى واحدة واحدة يعرضها على وانا لا ارى
صاحبتى الى ان قال والله ما بقى الا امى واختى •
والله لينزلن فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت
جعلت فداك نبدا بالاخت قال حبا وكرامه ثم
نزلت اخته فارانى يدها فاذا هى التى رايتها فقلت
هذه الحاجة فامر غلمانه لوقته باستدعاء الشهود
واخرج بدرتين فلما حضر الشهود قال لهم هذا سيدى
ابراهيم بن المهدى يخطب الى اختى فلانه واشهد كم انى

قد زوجتها له وامهرتها منه عشرين الف درهما فقلت
قبلت ذلك ورضيت فشهدوا علينا ثم دفع البدره
الواحدة الى اخته والاخرى فرقها على الشهود ثم قال يا
سيدى امهد لك بعض البيوت فتنام مع اهلك
فاحشمنى ما رايت من كرمه وتذممت ان اخلو بها فى داره
فقلت بل احضر عمارية واحملها الى منزلى فقال افعل
ما شئت فاحضرت عمارية واحضرتها الى منزلى فوحقك
يا امير المومنين لقد حمل الى من الجهاز ما ضاقت عنه
بيوتنا على سعتها واولدتها هذا الغلام القايم بين
يدى امير المومنين فعجب المامون من كرم هذا الرجل
وقال لله دره ما سمعت قط بمثلها وامر ابراهيم
باحضار الرجل ليشاهده فاحضره بين يديه فاستنطقه
فاعجبه وصيره من جملة خواصه ومحاضريه ..

ويضارع ذلك من كتاب المستجاد ان فتى من
ذوى النعم قعد به زمانه وكانت له جارية حسنا

محسنة فى الغنا فضاق بهما الخناق واشتدت بهما
الحال فى عدم ما يقتاتان به فقال لها قد ترين ما قد
صرنا اليه من هذه الحال السيئة والله لموتى وانت
معى اهون على مما اذكره لك فان رايت ان ابيعك لمن تحسن
اليك ويغسل عنك ما انت فيه وانفرج انا بما لعله
يصير الى من الثمن ولعلك تحصلين عند من توصلين
الى نفع معه فقالت والله لموتى على تلك الحال معك
اثر عندى من انتقالى الى غيرك ولو كان خليفة ولكن
اصنع ما بدا لك قال فخرج وعرضها للبيع فاشار عليه
احد اصدقايه ممن له راى ان يحملها الى ابن معمر امير العراق
فحملها اليه فلما عرضت عليه استحسنها فقال لمولاها
كم كان شراوها عليك قال مائة الف درهم وقد انفقت
عليها مالا كثيرا حتى صارت فى رتبة الاستادين قال
اما ما انفقت عليها فليس مستحسب لك به لانك انفقته
فى لذاتك واما ثمنها فقد امرنا لك بمائة الف درهم

وعشرة اسفاط من الثياب وعشرة رؤوس من الخيل ·
وعشرة رؤوس من الرقيق ارضيت قال نعم ارضى ·
الله الامير فامر بالمال فاحضر وامر قهرمانته بادخال
الجارية الى دار الحرم فامسكت بجانب الستر وبكت وقالت
هنيئا لك المال الذي قد افدته · ولم يبق في كفي غير التفكر ·
اقول لنفسي وهي في كربايتها · اقلي فقد بان الحبيب او اكثري ·
اذا لم يكن للامر عندك موضع · ولم تجدي بدا من الصبر فاصبري
· فبكى مولاها واجاب قائلا · شعر
ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن · يفرقنا شي سوى الموت فاعذري
اروح بهم من فراقك موجع · اناجي به قلبا قليل التصبر
عليك سلامي لا زيارة بيننا · ولا قرب الا ان يشا ابن معمر
فقال له ابن معمر اسكنه الله الجنة قد شيت فخذها
بارك الله لك فيها وفيما وصل اليك منا فاخذها واخذ
المال والخيل والرقيق والثياب وعاد وقد حسن حاله
ومما جنيته من ثمرات الاوراق ان الحجاج لما ·

لعنه الله

قتل عبد الله بن الزبير دخل الى عبد الملك بن مروان ومعه
ابراهيم بن محمد بن طلحة فلما قدم على عبد الملك سلم
عليه بالخلافة وقال قد قدمت عليك يا امير المومنين
برجل الحجاز في الشرف والابوة وكمال المروة والادب
وحسن المذهب والطاعة والنصيحة مع القرابة وهو
ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله فافعل به يا امير
المومنين ما يستحق ان يفعل بمثله في ابوته وشرفه
فقال عبد الملك يا ابا محمد اذكرتنا حقا واجبا ائذنوا
لابراهيم فلما دخل وسلم بالخلافة امره بالجلوس في
صدر المجلس وقال له عبد الملك ان ابا محمد ذكرنا
ما لم نزل نعرفه منك من الابوة والشرف فلا تدع حاجة
في خاصة امرك وعامة الا سلتها فقال ابراهيم
اما الحوايج التي نبتغي بها الزلف ونرجو بها الثواب فما
كان لله تعالى خالصا ولنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن
لك يا امير المومنين عندي نصيحة لا اجد بدا من ذكرى

ابا ها قال هي دون ابي محمد قال نعم قال قم يا حجاج فنهض
الحجاج خجلا لا يبصر اين يضع رجله ثم قال عبد الملك
قل يا ابن طلحة فقال تالله يا امير المومنين انك عمدت الى
الحجاج في ظلمه وتعديه على الحق واصغايه الى الباطل
فوليته الحرمين وفيهما من فيهما من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابناء المهاجرين والانصار يسومهم
الخسف ويطاهم العسف بطغام اهل الشام ورعاع لا
روية لهم في اقامة حق ولا ازاحة باطل قال فاطرق
عبد الملك ساعة ثم رفع راسه وقال كذبت يا ابن طلحة
ظن بك الحجاج غير ما هو فيك قم فربما ظن الخير بغير اهله
فقمت وانا ما ابصر طريقا قال واتبعني حرسيا وقال
اشدد يدك قال ابراهيم فما زلت جالسا حتى دعي
بالحجاج فما زالا يتناجيان طويلا حتى ساء ظني ولا اشك
انه في امري ثم دعي بي فلقيني الحجاج في الصحن خارجا
فقبل بين عيني وقال احسن الله جزاك قال فقلت

في نفسي انه يهزا بي ودخلت على عبد الملك فاجلسني
مجلسي الاول ثم قال يا ابن طلحه هل اطلع على نصيحتك
احد فقلت لا والله يا امير المومنين ولا اردت الا
الله عز وجل ورسوله والمسلمين وامير المومنين قد
علم ذلك فقال عبد الملك قد عزلت الحجاج عن الحرمين
لما كرهته لهما واعلمته انك استقللت ذلك عليه
وسالتني له في ولاية كبيره وقد وليته العراقين
وقررت له ذلك بسوالك ليلزمه من حقك ما لا بد
له من القيام به فاخرج معه فانك غير ذام لصحبته
ومن لطايف المنقول عن القاضي ابي الحسن
ابن عبد المحسن بن علي التنوخي رحمه الله تعالى ان
الاسكندر لما انتهى الى الصين ونازل ملكها اتاه
حاجبه وقد مضى من الليل شطره فقال له رسول
ملك الصين يستاذن عليك فقال ائذن له فلما
دخل عليه وقف بين يديه وسلم وقال ان راى الملك

ان يخلى مجلسه فليفعل فامر الاسكندر من بخدمته بالانفرا
ولم يبق غير حاجبه فقال له الرسول الذى جئت به
لا يحتمل ان يسمعه غيرك فامر بتفتيشه ففتش فلم
يوجد معه شى من السلاح فوضع الاسكندر بين يديه
سيفًا مجرّدًا وقال له قل ما شئت ثم اخرج جميع
من عنده فلما خلا المكان قال له الرسول انا ملك
الصين لا رسوله وقد حضرت اسئلك عما تريده فان
كان مما يمكن الانقياد اليه على اصعب الوجوه اجبت
اليه وغنيت انا واياك عن الحرب فقال له الاسكندر
وما الذى امنك منى قال علمى بانك رجل عاقل وليس
بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بدخل ومتى قتلتنى
اقاموا غيرى ولم يسلموا اليك البلد ثم تنسب انت
الى غير الجميل وضد الحزم فاطرق الاسكندر متفكرا
فى مقاله وعلم انه رجل عاقل فقال له اريد ارتفاع
ملكك لثلاث سنين عاجلا ونصف ارتفاعه

فى كل سنة قال اجبتك قال فكيف يكون حالك حينئذ
قال اكون قتيلا او محاربا قال فان قنعت منك بارتفاع
سنتين كيف يكون حالك قال اصلح مما تقدم ذكره
قال فان قنعت منك بارتفاع سنة واحدة قال يكون
مضرًّا بى ومذهبا بجميع لذاتى قال فان اقتصرت منك
على السدس قال يكون السدس موفرا والباقى للجيش
ولاسباب الملك قال قد اقتصرت على هذا فشكره
وانصرف فلما اصبح وطلعت الشمس اقبل جيش الصين
حتى طبق الارض واختلط بجيش الاسكندر فارعبه
وتواثبت اصحابه فركبوا واستعدّوا للحرب فبينما هم
كذلك اذ ظهر ملك الصّين وعليه التاج فلما راى
الاسكندر ترجّل فقال له الاسكندر اغدرت
قال لا والله قال فما هذا الجيش قال اردت انى
اعلمك انى لم اطعك من ضعف ولا قلة وما غاب عنك
من الجيش اكثر لكنى رايت العالم الاكبر مقبلًا

عليك ممكنا لك فعلمت انه من حارب العالم الاكبر غُلب
فاردت طاعته بطاعتك والذلة لامره بالذلة
لامرك فقال الاسكندر ليس مثلك من يوخذ منه شي
فما رايت بيني وبينك احد يستحق الفضل والوصف
بالفضل غيرك وقد اعفيتك من جميع ما اردته منك
وانا منصرف عنك فقال ملك الصين اما اذا فعلت
ذلك فلست تخسر فلما انصرف الاسكندر اتبعه
ملك الصين من الهدايا والتحف بضعف ما كان قدره
عليه ومن غرائب المنقول عن ابي الفرج الاصفهاني
انه قال اخبرني عمي عن ابيه عن الكلبي عن ابيه قال
اخبرني شيخ من بني نبهان قال اصابت بني نبهان
سنة ذهبت بالاموال فخرج رجل منهم بعياله حتى
انزلهم الحيرة وقال كونوا قريبا من الملك يصيبكم
من خيره حتى ارجع اليكم ومضى على وجهه يسوق
سبعة ايام حتى انتهى الى عطن ابل عند تطفيل الشمس

فاذا خباء عظيم وقبة من ادم قال فقلت في نفسي
ما لهذا الخباء بد من اهل وما لهذه القبة بد من رب وما
لهذا العطن بد من ابل فنظرت في الخباء فاذا شيخ كبير
قد اوهاه الكبر وهو شبه النسر فجلست خلفه فلما انصرم
النهار اقبل فارس لم ار اعظم من شكله وفي خدمته
اسودان يمشيان بين جنبيه واذا ماية من الابل
مع فحلها فبرك الفحل ونزلن حوله فقال لاحد عبيده
احلب فلانة فحلبها ثم وضع اللبن بين يدي الشيخ
فكرع منه وحده وقدم الي فشربت نصفه ثم امر
بشاة فذبحت وشويت واكلنا منها جميعا فامهلت
حتى اذا ناموا وحكم عليهم النوم ثرت الى الفحل
فحللت عقاله وركبته فاندفع بي وتبعته الابل
فمشيت ليلتي الى الصباح فلما اصبحت نظرت فلم
ار احدا ولما تعالى النهار التفت فاذا انا بخيال كانه
طائر فما زال يدنو حتى تبينته فاذا هو فارس على فرس

واذا هو صاحبي بالامس فعقلت الفحل واعتمدت
على كنانتي فقال احلل عقاله فقلت كلا لقد خلفت
خلفي عيالا جياعا بالحيرة قال فانك ميت حل
عقاله لآمرلك وانصب لي خطامه واجعل فيه خمس
عجر ففعلت فقال اين تحب ان اضع سهمي فقلت في
هذا الموضع فكانما وضعه بيده ثم اقبل يرمي حتى
اصاب الخمس بخمس اسهم فرددت نبلي وحططت
قوسي ووقفت مستسلما فدنا مني واخذ القوس
والسيف ثم اردفني خلفه وقد عرف اني الذي
شربت عنده اللبن واكلت اللحم فقال كيف ظنك
بي فقلت احسن ظن فقال ابشر ان ينالك شر وقد
كنت ضيف مهلهل فقلت ازيد الخيل انت فقال
نعم انا زيد الخيل فلما انتهينا الى منزله قال لو
كانت هذه الابل لسلمتها اليك ولكن لابنة مهلهل
فاقم عندي فاقمت عنده اياما فشن الغارة على

بني نمير فاصاب مائة بعير فقال هذه احب اليك ام
تلك قلت هذه قال دونكها وبعث معي خفرا من ماء
الى ماء الى ان وردت الحيرة فلقيني نبطي فقال يا اعرابي
احفظ بابلك فقد قرب مخرج النبي الذي يملك
هذه الارض ويطرد اهلها حتى ان احدكم ليبتاع
البستان بثمن بعير قال فاحتملت باهلي الشطين
على ماء لنا هناك اذ جانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسلمنا على يده وما مضت الايام حتى اشتريت بثمن
بعير من ابلي بستانا بالحيرة والله تبارك وتعالى اعلم
ونقل عن الواقدي رحمه الله تعالى قال كان لي
صديقان احدهما هاشمي فكنا في الصداقة كنفس
واحدة فنالني ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت
امراتي اما نحن فنصبر على البوس والشدة واما
صبياننا هولا فقد تقطع قلبي عليهم رحمة لانهم
يرون صبيان جوارنا وقد تزينوا في عيدهم وهم

فرحون فلا باس في الاحتيال فيما نصرفه في كسوتهم
قال فكتبت الى صديقي الهاشمي اسئله التوسعة
علي بما يحضر فوجه الي كيسا فيه الف درهم فما
استقر قراره حتى كتب الي صديقي الاخر يشكوا مثل
ما شكوته الى الهاشمي فوجهت اليه بالكيس على حاله
وخرجت الى المسجد وانا مستحيي من امراتي فلما دخلت
اليها لم تعنفني لعلمها بالحال فبينما انا كذلك اذ
اقبل صديقي الهاشمي ومعه الكيس بختمه فقال
اصدقني عما فعلته فيما وجهت به اليك فعرفته الخبر
فقال انك وجهت الي ولا املك الا ما بعثت به اليك
وكتبت الى صديقنا اسئله المواساة فوجه الي
بكيسي وختمي فاخرجنا للمراة مائة درهم وتقاسمنا
الباقي اثلاثا ونمى الخبر الى المامون فاحضرني وسئلني
عن الخبر فشرحته له فامرلنا بسبعة الاف دينار
منها الف للمراة والفان لكل واحد منا ويضاع

ذلك ما هو منقول عن الاصمعي قال قصدت في
بعض الايام رجلا كنت اغشاه لكرمه فوجدت
على بابه بوابا فمنعني من الدخول اليه ثم قال
والله يا اصمعي ما اوقفني على بابه لامنع مثلك الا
لرقة حاله وقصور يده فكتبت رقعة اقول فيها ؞
اذا كان الكريم له حجاب ؞ فما فضل الكريم على اللئيم ؞
ثم قلت له اوصل رقعتي اليه ففعل وعاد بالرقعة
وقد وقع على ظهرها ؞ شعر ؞
اذا كان الكريم قليل مال ؞ تحجب بالحجاب عن الغريم
ومع الرقعة صرة فيها خمس مائة دينار فقلت والله لاتحفن
المامون بهذا الخبر فلما راني قال من اين يا اصمعي
قلت من عند رجل من اكرم الاحياء حاشى امير المومنين
قال ومن هو فدفعت اليه الورقة والصرة واعدت
عليه الخبر فلما راى الصرة قال هذا بيت مالي ولابد
لي من الرجل فقلت والله يا امير المومنين اني استحيي ان

ادوعه برسلك فقال لبعض خاصته امض مع الاصمعی
فاذا اراك الرجل فقل له اجب امير المومنين من غير
ازعاج قال فلما حضر الرجل بين يدی المامون قال
له ما انت الذی وقفت لنا بالامس وشكوت رقه
وان الزمان قد اناخ عليك بكلكلة فدفعنا اليك هذه
الصرة لتصلح بها حالك فقصدك الاصمعی ببيت
واحد فدفعتها اليه فقال نعم يا امير المومنين والله ما
كذبت فيما شكوت لامير المومنين من رقه الحال لكننی
استحييت من الله تبارك وتعالى ان اعيد قاصدی الا
كما اعادنی امير المومنين فقال المامون لله انت فما
ولدت العرب اكرم منك ثم بالغ فی اكرامه وجعله
من جملة ندمانه **ومن لطايف المنقول** ما هو منقول
عن الربيع انه قال ما رايت رجلا اجل ولا اربط
جاشا من رجل دفع الی المنصور ان عنده ودايع
اموال لبنی امية فامرنی باحضاره فاحضرته

ودخلت به اليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر
الودايع والاموال التی لبنی امية عندك فاخرج لنا
منها فقال يا امير المومنين اوارث انت لبنی امية
قال لا قال اوصی قال لا قال فما سوالك عما فی يدی
من ذلك قال فاطرق المنصور ساعة ثم رفع راسه
وقال ان بنی امية ظلموا المسلمين فيها وانا وكيل
المسلمين فی حقهم فاريد ان اخذ اموال المسلمين
واجعلها فی بيت مالهم فقال يا امير المومنين تحتاج
فی ذلك الی اقامة البينة العادلة على ان الذی فی
يدی لبنی امية مما خانوه وظلموه واغتصبوه
من اموال المسلمين فان بنی امية كان لهم اموال غير
اموال المسلمين فاطرق المنصور ساعة ثم رفع راسه
الی وقال صدق الرجل يا ربيع ما وجب عليه
عندنا شی ثم بش فی وجهه وقال هل لك من حاجة
قال نعم يا امير المومنين حاجتی ان تنفذ كتابی على

البريدي الى اهلي ليسكنوا الى سلامتي فقد راعهم
اشخاصي وقد بقيت لي حاجة اخرى يا امير المومنين
قال ما هي قال تجمع بيني وبين من سعى بي اليك
فوالله ما لبني امية عندي مال ولا وديعة ولكنني
لما مثلت بين يديك وسالتني رايت ما قلته
اقرب الى الخلاص والنجاه فقال يا ربيع اجمع بينه
وبين من سعى به فجمعت بينهما فقال هذا غلامي
ضرب على ثلاثة الاف من مالي وابق مني فشد
المنصور على الغلام فاقر انه غلامه وانه اخذ
المال الذي ذكره وابق منه وكذب عليه خوفا من
الوقوع في يده فقال المنصور للرجل نسالك ان
تصفح عنه فقال يا امير المومنين صفحت عن جرمه
وابراته ذمته من المال واعطيته ثلاثة الاف
دينار اخرى فقال المنصور ما على ما فعلت مزيد في
الكرم قال بلى يا امير المومنين هذا حق كلامك وانصرف

وكان المنصور يتعجب منه كلما ذكره ويقول ما رايت
مثل هذا الرجل يا ربيع **رحلة الامام الشافعي
رضي الله عنه** قال الشيخ الامام العالم المقرى
ابو القاسم عبد العزيز بن يوسف الاردبيلي المالكي
بالجامع العتيق بمصر في سنة ثلاث وخمسين
وخمسمايه اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن فتح
المعروف بابن الحبشي سنه ثلاثين وخمسمايه قال
اخبرنا الشريف القاضي الموسوي ابو اسمعيل
موسى بن الحسين بن اسمعيل بن علي الحسيني المقرى
في سنه اربع وثمانين واربع مايه بالجامع العتيق
بمصر قال اخبرنا الشيخ ابو العباس احمد بن ابرهيم
الفارسي في ربيع الاول سنه احدى وخمسين
واربعمايه قال اخبرنا ابو القاسم يحيى بن عبد الله الرجل
الصالح ويحيى بن موسى المعدل بمصر قالا حدثنا
ابو الحسن احمد بن محمد الواعظ المصري الكراز

قال حدثني ابو الفرج عبد الرزاق حميدان البطين
قال حدثني ابو بكر محمد بن المنذر قال حدثني الربيع
ابن سليمان قال سمعت الامام الشافعي رضي الله عنه
يقول فارقت مكة وانا ابن اربع عشرة سنة لا نبات
بعارضي من الابطح الذي طوى وعلي بردتان
يمانيتان فرايت ركبا متنخين فسلمت عليهم فردوا
علي السلام ووثب الي شيخ كان فيهم وقال سالتك
الله الا ما حضرت طعامنا قال الشافعي رضي الله عنه
وما كنت اعلم انهم احضروا طعاما فاجبت مسرعا
غير محتشم فرايت القوم ياخذون الطعام
بالخمس ويدفعون بالراحة فاخذت كاحدهم
كيلا يستبشع عليهم ماكلي والشيخ ينظر الي ثم
اخذت السقا فشربت ريا وحمدنا الله عز وجل واثنيت
عليه فاقبل علي الشيخ وقال مكي انت قلت مكي
قال قرشي انت قلت قرشي ثم اقبلت عليه وقلت

يا عم بما استدللت علي قال اما في الحضر فبالزي
واما في النسب فبالطعام لانه من احب ان ياكل
طعام الناس احب ان ياكلوا طعامه وذلك في
قريش خصوصا قال الشافعي رضي الله عنه فقلت
للشيخ من انت فقال من يثرب مدينة النبي صلى
الله عليه وسلم فقلت له من العالم بها والمتكلم
في نص كتاب الله جل وعز والمفتي باخبار رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال سيد بني اصبح مالك
ابن انس رضي الله عنه قال الشافعي رضي الله عنه
فقلت واشوقاه الى مالك فقال لي قد بل الله تعالى
شوقك انظر الى هذا البعير الاورق فانه احسن
جمالنا ونحن على رحيل ولك منا حسن الصحبة
حتى تصل الى مالك فما كان بعيد حتى قطروا بعضها
الى بعض واركبوني البعير الاورق واخذ القوم في
السير واخذت انا في الدرس فختمت من مكة الى

المدينة ست عشر ختمه بالليل ختمه وبالنهار ختمه
ودخلت المدينه الشريفه في اليوم الثامن بعد صلاة
العصر فصليت العصر في مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ودنوت من القبر فسلمت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولذت بقبره فرايت ملك بن انس
مؤتزرا ببردة متوشحا باخرى وهو يقول حدثني
نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر ويضرب
بيده الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الشافعي رضي الله عنه فلما رايت ذلك هبته الهيبة
العظيمه وجلست حيث انتهى بي المجلس فاخذت
عودا من الارض فجعلت كلما املى ملك حديثا
كتبته بريقي على يدي والامام ملك رضي الله عنه
ينظر الي من حيث لا اعلم حتى انقضى المجلس وجلس
ملك ينتظر عشاء المغرب ولم يرني انصرفت فاشار
الي فدنوت منه فنظر الي ساعة ثم قال احرمي انت

فقلت حرمي قال امكي انت قلت مكي قال اقرشي
انت قلت قرشي قال كملت صفاتك لكن فيك اساة
ادب قلت وما الذي رايت من سوء ادبي قال رايتك
وانا املي الفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم وانت
تلعب بريقك على يدك فقلت له عدمت البياض
فكنت اكتب ما تقول فجذب ملك يدي اليه فقال
لي ما ارى عليها شيا فقلت ان الريق لا يثبت على اليد
ولكن فهمت جميع ما حدثت به منذ جلست وحفظته
الى حين قطعت فتعجب الامام ملك من ذلك فقال
اعد علي ولو حديثا واحدا قال الشافعي رضي الله عنه
فقلت حدثنا ملك عن نافع عن ابن عمر واشرت
بيدي الى القبر كاشارته حتى اعدت عليه خمسة
وعشرين حديثا حدث بها من حين جلس الى وقت
قطع المجلس وسقط القرص فصلى ملك المغرب واقبل
على عبده وقال خذ بيد سيدك اليك وسلني النهوض معه

قال الشافعي رحمه الله فقمت غير ممتنع الى ما دعى من كرمه
فلما اتيت الدار ادخلني الغلام الى خلوة في الدار وقال
لي القبلة في البيت هكذا وهذا اناء فيه ماء وهذا
الخلا قال الشافعي رضي الله عنه فما لبث ملك رضي
الله عنه حتى اقبل هو والغلام حامل طبقًا فوضعه
من يده وسلم الامام علي ثم قال للعبد اغسل علينا
فوثب الغلام الى الاناء واراد ان يغسل علي اولا
فصاح عليه ملك وقال الغسل في اول الطعام لرب
البيت وفي اخر الطعام للضيف قال الشافعي رضي
الله عنه فاستحسنت ذلك من الامام ملك رضي
الله عنه وسلته عن شرحه فقال انه يدعوا
الناس الى كرمه فحكمه ان يبتدا بالغسل وفي اخر
الطعام ينتظر من يدخل معه قال الشافعي رضي الله عنه
فكشف الامام ملك رضي الله عنه الطبق وكان فيه
صحفتان في احدهما لبن وفي الاخر ثمر فسمى الله تعالى

وسميت فاتيت انا وملك على جميع الطعام وعلم ملك
انا لم ناخذ من الطعام الكفايه فقال لي يا ابا عبد الله منا
جهد من مقل الى فقير معدم فقلت لا عذر على من احسن
انما العذر على من اسا قال الشافعي فاقبل ملك يسيلني
عن اهل مكه حتى دنا عشا الاخرة ثم قام عني وقال
حكم المسافر ان يحل تعبه بالانضجاع فنمت ليلتي فلما
كان في الثلث الاخير من الليل قرع ملك على الباب
فقال الصلاة يرحمك الله فرايته حامل اناء فيه ماء
فتبشع على ذلك فقال لا يرعك ما رايت فخدمة
الضيف فرض قال الشافعي رضي الله عنه فتجهزت
للصلاة وصليت الفجر مع الامام ملك في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس لا يعرف
بعضهم بعضًا من الغلس وجلس كل واحد منا في
مصلاه يسبح الله تعالى الى ان طلعت الشمس على
روس الجبال فجلس ملك في مجلسه بالامس وناولني

الموطا امليه واقراه على الناس وهم يكتبونه قال
الشافعي رضي الله عنه فاتيت على حفظه من اوله الى
اخره واقمت ضيف ملك ثمانية اشهر فما علم احد
من الانس الذي كان بيننا انا الضيف ثم قدم على ملك
المصريون بعد قضاء حجهم للزيارة واستماع الموطا
قال الشافعي رضي الله عنه فامليت عليهم حفظا
منهم عبد الله بن عبد الحكم واشهب وابن القاسم
قال الربيع واحسب انه ذكر الليث بن سعد ثم قدم
بعد ذلك اهل العراق لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم
قال الشافعي رضي الله عنه فرايت بين القبر والمنبر
فتى جميل الوجه نظيف الثوب حسن الصلاة فتوسمت
فيه خيرا فسالته عن اسمه فاخبرني وسالته عن
بلده فقال العراق فقلت اى العراق فقال لى الكوفه
قلت من العالم بها والمتكلم في نص كتاب الله عز وجل
والمفتي باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى

ابو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا ابي حنيفه رضي الله عنه
قال الشافعي رضي الله عنه فقلت ومتى عزمتم تظعنون
فقال لى في غداة غد وقت الفجر فعدت الى ملك فقلت
له خرجت من مكه في طلب العلم بغير استيذان العجوز
فاعود اليها او ادخل في طلب العلم فقال لى العلم
مائدة يرجع منها الى عائده الم تعلم بان الملائكة تضع
اجنحتها الى طالب العلم رضى بما يطلبه قال الشافعي
رضي الله عنه فلما ازمعت على السفر زودني الامام
ملك رضي الله عنه فلما كان في السحر سار معي مشيعا
الى البقيع ثم صاح بعلو صوته من معه كرى راحلة
الى الكوفه فاقبلت عليه وقلت له بم تكرى وليس معك
ولا معي شى فقال لى انصرفت البارحة بعد صلاة
عشاء الاخرة اذ قرع على قارع الباب فخرجت اليه فاصبت
ابن القاسم فسالني قبول هديته فقبلتها فدفع الى
صرة فيها مائة دينار وقد اتيتك بنصفها وجعلت

النصف لعيالي فاكترى لي باربعة دنانير ودفع لي
باقي الدنانير وودعني وانصرف رضي الله عنه وسرت
في جملة الحاج حتى وصلت الى الكوفة يوم رابع عشرين
من المدينة فدخلت المسجد بعد صلاة العصر وصليت
العصر فبينا انا كذلك اذ رايت غلاما قد دخل
المسجد فصلى العصر فما احسن الصلاة فقمت اليه
ناصحا فقلت له احسن صلاتك لئلا يعذب الله تعالى
هذا الوجه الجميل بالنار فقال لي انا اظن انك من
اهل الحجاز لان فيكم الغلظة والجفا وليس فيكم
رقة اهل العراق وانا اصلي هذه الصلاة خمس عشرة
سنة بين يدي محمد بن الحسن وابي يوسف فما عابا
على صلاتي قط وخرج معجبا ينفض رداه في وجهي
فلقي للتوفيق محمد بن الحسن وابا يوسف بباب المسجد
فقال علمتما في صلاتي من عيب فقالا لا اللهم لا قال
في مسجدنا هذا من عاب صلاتي فقالا اذهب اليه

فقل له بم تدخل الصلاة قال الشافعي رضي الله عنه
فقال لي يا من عاب صلاتي بم تدخل في الصلاة فقلت
بفرضين وسُنه فعاد اليهما واعلمهما بالجواب فعلما
انه جواب من نظر في العلم فقالا اذهب اليه فقل
له ما الفرضان وما السنة فاتى اليه فقال ما الفرضان
وما السنه فقلت له اما الفرض الاول فالنية والثاني
تكبيرة الاحرام والسنة رفع اليدين فعاد اليهما
واعلمهما بذلك فدخلا الى المسجد فلما نظرا الي اظنهما
ازدرياني فجلسا ناحية وقالا اذهب اليه وقل له
اجب الشيخين قال الشافعي رضي الله تعالى عنه فلما
اتاني علمت انه مسؤول عن شي من العلم فقلت من حكم
العلم ان يوتى وما علمت لي اليهما من حاجة قال
الشافعي رضي الله عنه فقاما من مجلسيهما الي فلما
علقت اليهما قاما واظهرت البشاشه لهما وجلست
بين يديهما فاقبل الي محمد بن الحسن وقال لي الحرمي

انت فقلت نعم فقال اعربي ام مولى فقلت عربي قال
من اي العرب فقلت من ولد المطلب قال من ولد من
قلت من ولد شافع قال لي رايت مثلك هكذا وقعت
هذه اللفظة قلت من عنده اتيت قال انظرت في
الموطا قلت اتيت على حفظه فعظم ذلك عليه ودعا
بدواة وبياض وكتب مسلة في الطهارة ومسلة
في الصلاه ومسله في الزكاة ومسلة في البيوع
والفرايض والرهان والحج والايلا ومن كل باب في
الفقه مسلة وجعل بين كل مسلتين بياضا
ودفع الي الدرج وقال اجب عن هذه المسايل
من الموطا قال الشافعي رضي الله عنه فاجبت بنص
كتاب الله وسنة نبيه عليه السلم واجماع
المسلمين في المسايل كلها ثم دفعت اليه الدرج
فتامله ونظر فيه ثم قال العبده خذ سيدك اليك
قال الشافعي رضي الله عنه ثم سالني النهوض مع

العبد فنهضت غير ممتنع فلما صرت الى الباب قال لي
العبد ان سيدي امرني ان لا تسير الى المنزل الا
راكبا قال الشافعي رضي الله عنه فقلت له قدم فقدم
الي بغله بسرج محلى فلما علوت على ظهرها رايت نفسي
باطمار رثه وطاف بي ازقه الكوفه الى منزل محمد بن
الحسن فرايت ابوابا فرابية ودهاليز منقوشة
بالذهب والفضه فذكرت ضيق اهل الحجاز وما
هم فيه فبكيت وقلت اهل العراق ينقشون سقوفهم
بالذهب والفضة واهل الحجاز ياكلون القد ويمصون
النوا ثم اقبل علي محمد بن الحسن وانا في بكاي فقال
لي لا يرعك يا عبد الله ما رايت فما هو الا من حقيقه
حلال ومكتسب وما يطالبني الله عز وجل فيها بفرض
واني اخرج زكاتها في كل عام فاسر بها الصديق
واكبت بها العدو وقال الشافعي رضي الله عنه فما بت
حتى كساني محمد بن الحسن رضي الله عنه خلعة بالف درهم

ثم دخل الى خزانته فاخرج الى الكتاب الاوسط تاليف
الامام ابى حنيفه رضى الله عنه فنظرت فى اوله وفى اخره
ثم ابتدات الكتاب فى ليلتى احفظه فما اصبحت
الا وقد حفظته ومحمد بن الحسن لا يعلم بشى من ذلك
وكان المشهور بالكوفه بالفتوى والمجيب فى النوازل
فانا قاعد عن يمينه فى بعض الايام اذ سئل عن مسئله
اجاب فيها وقال هكذا قال ابو حنيفة فقلت له
قد وهمت فى الجواب فى هذه المسئلة والجواب من
قول الرجل كذا وكذا وهذه المسئلة تحتها المسئلة
الفلانيه وفوقها المسئلة الفلانية فى الكتاب الفلانى
فامر محمد بن الحسن بالكتاب فاحضره فتصفحه ونظر فيه
فاصاب القول كما قلت فرجع عن جوابه الى ما قلت
ولم يخرج لى كتابا بعد هذا قال الشافعى رضى الله عنه
فاستاذنته فى الرحيل فقال ما كنت لآذن لضيف
بالرحيل عنى وبدل لى مشاطرة نعمته فقلت ما لذا

قصدت ولا له اردت ولا رغبتى الا فى السفر قال
فامر غلامه ان ياتى بكل ما فى خزانته من بيضا وحمرا
فدفع الى ما كان فيها وهو ثلثة الاف درهم واقبلت
اطوف العراق وارض فارس وبلاد الاعاجم والقى الرجال
حتى صرت ابن احدى وعشرين سنه ثم دخلت الى العراق
فى خلافه هرون الرشيد فعند دخولى الباب تعلق
بى غلام فلاطفنى وقال ما اسمك فقلت محمد قال ابن
من قلت بن ادريس الشافعى فقال مطلبى فقلت اجل
فكتب ذلك فى لوح كان فى كمه وخلى سبيلى فلويت
الى بعض المساجد افكر فى عاقبة ما فعل حتى اذا
ذهب من الليل النصف كبس المسجد واقبلوا
يتاملون وجه رجل رجل حتى اتوا الى فقالوا للناس
لا باس عليكم هذا هو الحاجه والغايه المطلوبه ثم
اقبلوا على وقالوا اجب امير المومنين فقمت غير ممتنع
فلما بصرت بامير المومنين سلمت عليه سلام بينه

فاستحسن الالفاظ وردّ علىّ الجواب ثم قال تزعم
انك من بني هاشم فقلت يا امير المومنين كل زعم
في كتاب الله عز وجل باطل فقال ابن لي عن نسبك
فانتسبت حتى لحقت ادم عليه السلم فقال لي الرشيد
ما تكون هذه الفصاحة ولا هذه البلاغة الا في
رجل من ولد المطلب هل لك ان اوليك قضاء
المسلمين واشاطرك ما انا فيه وتنفذ فيهم حكمك
وحكمي على ما جا به الرسول عليه السلم واجمعت
عليه الامه فقلت يا امير المومنين لو سئلتني ان
افتح باب القضا بالغداة واغلقه بالعشي بنعمتك
هذه ما فعلت ذلك ابدا فبكى الرشيد وقال
تقبل من عرض الدنيا شي هكذا اوردت هذه اللفظة
قلت يكون معجلا فامر لي بالف دينار فما برحت من
مقامي حتى قبضتها ثم سئلني بعض الغلمان والحشم
ان اصلهم من صلتي فلم تسع المروة اذ كنت مسولا

غير المقاسمة فيما انعم الله عز وجل فخرج لي قسم كاقسامهم
ثم عدت الى المسجد الذي كنت فيه في ليلتي فتقدم
يصلي بنا غلام صلاة الفجر في جماعة فاجاد القراة
ولحقه سهو ولم يدر كيف الدخول ولا كيف الخروج
فقلت له بعد السلم افسدت علينا وعلى نفسك
اعد فاعاد مسارعا واعدنا ثم قلت له احضر بياضا
اعمل لك باب السهو في الصلاة والخروج منها فسارع
الى ذلك ففتح الله عز وجل فالفت له كتابا من نص كتاب
الله وسنة نبيه عليه السلم واجماع المسلمين
وسميته باسمه وهو اربعون جزوا يعرف بكتاب
الزعفراني وهو الذي وضعته بالعراق حتى تكامل
في ثلث سنين وولاني الرشيد الصدقات بنجران
وقدم الحاج فخرجت استلهم عن الحجاز فرايت فتى
في قبيبة فلما اشرت اليه بالسلام امر قايد القبة ان
يقف واشار الي بالكلام فسئلته عن الامام ملك وعن

الحجاز فاجاب بخير ثم عاودته الى السوال عن ملك
فقال لى اشرح لك واختصر قلت فى الاختصار
البلاغه فقال ثم صحة جسم وله ثلاث مائة جاريه
يبيت عند الجاريه ليلة فلا يعود اليها الى سنة
فقد اختصرت لك خبره قال الشافعى رضى الله عنه
فاشتهيت اراه فى حال غناه كما رايته فى حال
فقره فقلت له ثم من المال ما يصلح للسفر فقال
انك لتوحشنى خاصة والعراق عامة وجميع مالى
فيه فلك فقلت له فبم تعيش قال بالجاه والمال
ثم نظر الى وحكمنى فى ماله فاخذت منه على حسب
الكفاية والنهاية فسرت على ديار ربيعة ومصر
فاتيت حران ودخلتها يوم الجمعة فذكرت فضل
الغسل وما جاء فيه فقصدت الحمام فلما سكبت
الماء رايت شعر راسى شعثا فدعوت المزين فلما بدا
فى راسى واخذ القليل من شعرى دخل قوم من اعيان

البلد فدعوه الى خدمتهم فسارع اليهم وتركنى
فلما قضوا ما ارادوا منه عاد الى فما اردته وخرجت
من الحمام فدفعت اليه اكثر ما كان معى من الدنانير
وقلت له خذ هذه واذا وقف بك غريب فلا
تحقره فنظر الى متعجبا فاجتمع على باب الحمام خلق كثير
فلما خرجت عاتبنى الناس فبينا انا كذلك اذ خرج
بعض من كان فى الحمام من الاعيان فقدمت له
بغله ليركبها فسمع خطابى لهم فانحدر عن البغلة بعد
ان استوى عليها وقال لى انت الشافعى فقلت لهم
فهذا الركاب مما يلينى وقال نحو الله اركب ومضى بى
الغلام مطرقا بين يدى حتى انتهيت الى منزل الفتى ثم
اتى وقد حصلت فى منزله فاظهر البشاشة ثم دعا
بالغسل فغسل علينا ثم حضرت المائدة فسمى وجلست
بيدى فقال مالك يا ابا عبد الله فقلت له طعامك
على حرام حتى اعرف من اين هذه المعرفة فقال انا

ممن سمع منك الكتاب الذى وضعته ببغداد وانت
لى استاد قال الشافعى رضى الله عنه فقلت العلم
بين اهل العقل رحم متصل فاكلت بفرحة اذ لم
يعرف الله تبارك وتعالى الا بينى وبين ابناء جنسى
واقمت ضيفه ثلاثا فلما كان بعد ثلاث قال لى
حول حران اربع ضياع ما بحران احسن منها اشهد
الله عز وجل انا اخترت المقام فانها هدية منى اليك
فقلت فبم تعيش قال فى صناديق تلك واشار اليها
وفيها اربعون الف درهم اتجر بها فقلت له ليس الى
هذا قصدت ولا خرجت من بلدى لغير طلب العلم
فقال لى فالمال اذا من شان المسافر فقبضت الاربعين
الفا وودعته وخرجت من مدينه حران وبين
يدى احمال ثم تلقانى الرجال واصحاب الحديث
منهم احمد بن حنبل وسفيان بن عيينه والاوزاعى
رضى الله عنهم فاجزت كل انسان منهم على قدر ما

قسم له حتى دخلت مدينه الرمله وليس معى الا عشرة
دنانير فاشتريت بها راحلة واستويت على كورها
وقصدت الحجاز فما زلت من منهل الى منهل حتى
وصلت الى مدينه النبى صلى الله عليه وسلم بعد
سبعة وعشرين يوما بعد صلاة العصر فصليت
العصر ورايت كرسيا من الحديد عليه مخدة من
قباطى مصر مكتوب فيها بالحديد لا اله الا الله محمد
رسول الله قال الشافعى رضى الله عنه وحوله
اربعمائة دفتر او يزيدون وبينا انا كذلك اذ رايت
ملك بن انس رضى الله عنه قد دخل من باب النبى
صلى الله عليه وسلم وقد فاح عطره فى المسجد وحوله
اربعمائة او يزيدون تحمل ذيوله منهم اربعه فلما
وصل قام اليه من كان قاعدا وجلس على الكرسى فالقى
مسئلة فى جراح العمد فلما سمعت ذلك لم يسعنى
الصبر فقمت قائما فى سور الحلقه فرايت انسانا

بقالا فقلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب
قبل فراغ ملك من السوال فاضرب عنه ملك
واقبل على اصحابه فسالهم عن الجواب نحا الفوه فقال
لهم اخطاتم واصاب الرجل ففرح الجاهل باصابته
فلما القى السوال الثانى اقبل على الجاهل يطلب منى
الجواب فقلت له الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب
فلم يلتفت ملك اليه فاقبل على اصحابه واستخبرهم
عن الجواب نحا الفوه فقال لهم اخطاتم واصاب
الرجل قال الشافعى رضى الله عنه فلما القى السوال
الثالث قلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب
فاعرض ملك عنه واقبل على اصحابه نحا الفوه
فقال اخطاتم واصاب الرجل ثم قال للرجل ادخل
ليس فى لك موضعك فدخل الرجل طاعة منه لملك
وجثا بين يديه فقال له ملك فراسة قرات الموطا
قال لا قال فنظرت ابن جريج قال لا قال فلقيت

سير جعفر بن محمد الصادق قال لا قال فهذا العلم
من اين قال الى جانبى غلام شاب يقول لى قل الجواب
كذا وكذا فكنت اقول قال فالتفت ملك والتفت
الناس باعنا قهم لالتفات ملك رضى الله عنه فقال
للجاهل قم فامر صاحبك بالدخول الينا قال الشافعى
رضى الله عنه فدخلت فاذا انا من مالك بالموضع
الذى كان الجاهل فيه جالسا بين يديه فتاملنى ساعه
وقال انت الشافعى فقلت نعم فضمنى الى صدره
ونزل عن كرسيه وقال قم تمم هذا الباب الذى نحن
فيه حتى ننصرف الى المنزل الذى لك المنسوب اليك
قال الشافعى رضى الله عنه فالقيت اربعمائة مسئله
فى جراح العمد فما اجابنى احد بجواب واحتجت ان اتى
باربعمائة جواب فقلت الاول كذا وكذا والثانى كذا
حتى سقط القرص وصلينا عشاء المغرب فضرب ملك
بيده الى فلما وصلت المنزل رايت بناء غير البناء الاول

فبكيت فقال مم بكاؤك كانك خفت يا ابا عبد الله ان
قد بعت الاخرة بالدنيا قلت هو والله ذاك قال
طب نفسا وقر عينا هذه هدايا خراسان وهدايا
مصر والهدايا بحثني من اقاصي البلاد وقد كان النبي
صلى الله عليه وسلم يقبل الهديه ويرد الصدقه وان
لي ثلاثمائة خلعة من دق خراسان وقباطي مصر وعندي
عبيد مثلها لم تستكمل الحلم فهم هدية اليك
وفي صناديقي تلك خمسة الاف دينار اخرج زكاتها
عند كل حول فلك مني نصفها قلت انك مورث
وانا مورث فلا يبيت جميع ما وعدتني به الا تحت
خاتمي ليجري ملكي عليه فان حضرني اجلي كان لورثتي
دون ورثتك وان حضر اجلك كان لي دون ورثتك
فتبسم في وجهي وقال ابيت الا العلم فقلت لا يستعمل
احسن منه وما بت الا وجميع ما وعدني به تحت ختمي
فلما كان في غداة غد صليت الفجر في جماعة وانصرفت

الى المنزل انا وهو وكل واحد منا يده في يد صاحبه
اذ رايت كراعا على بابه من جياد خراسان وبغال مصر
فقلت له ما رايت كراعا احسن من هذا فقال هو
هدية مني اليك يا ابا عبد الله فقلت له دع لك
منها دابة فقال اني استحيي من الله تبارك وتعالى ان
اطأ تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة
قال الشافعي رضي الله عنه فعلمت ان ورع الامام
ملك على حاله فاقمت عنده ثلاثا ثم ارتحلت الى مكة
وانا اسوق خير الله ونعمه ثم انفذت من يعلم بخبري
فلما وصلت الى الحرم خرجت العجوز ونسوة معها
فضمتني الى صدرها وضمتني بعدها عجوز كنت
الفها واسميها خالتي وقالت ∴ شعر

ليس امك اجتاحت المنايا • كل فؤاد عليك ام •

قال الشافعي رضي الله عنه وهي اول كلمة سمعتها
في الحجاز من امراه فلما هممت بالدخول قالت لي العجوز

الى ابن عمك فقلت الى المنزل قالت هيهات تخرج
من مكة بالامس فقيرا وتعود اليها مترفا تفتخر على
بني عمك بذلك فقلت ما اصنع قالت ناد بالابطح
في العرب بشبع الجائع وحمل المنقطع وكسوة العاري
فتربح ثناء الدنيا وثواب الاخرة ففعلت ما امرت
به وسار بذلك الفعل الرجال على اباط الابل وبلغ
ذلك مالكا رضي الله عنه فبعث يستحثني على الفعل
ويعدني انه تحمل الي في كل عام مثل ما صار الي منه
وما دخلت الى مكة وانا اقدر على شي مما جاء معي
الا على بغلة واحدة وخمسين دينارا فوقعت المقرعة
فناولتني اياها امة على كتفها قربة فاخرجت لها
خمسة دنانير فقالت لي العجوز ما انت صانع فقلت
اجيزها على فعلها فقالت ادفع اليها جميع ما تاخر
معك قال فدفعته اليها ودخلت الى مكة فبات تلك
الليلة الا مديونا واقام مالك رضي الله عنه تحمل

الي كل عام مثل ما كان دفع لي ولا احدى عشر سنه
فلما مات رحمة الله عليه ضاق بي الحجاز وخرجت الى
مصر فعوضني عبد الله بن عبد الحكم فاقام بالكلفه
فهذا جميع ما لقيته في سفري فافهم ذلك يا ربيع
قال الربيع وسئلني المزني رحمة الله عليه املاء ذلك
بحضرته فما وجدنا بالمجلس فرغة فما وقع كتاب السفر
الى احد غيري **ومن لطايف المنقول** ما نقله القرطبي
في كتابه المسمى بالاعلام عن صدق محبة ابي طالب
لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج الى الكعبة
يوما واراد ان يصلي فلما دخل في الصلاة قال ابو جهل
لعنه الله من يقوم الى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته
فقام عبد الله بن الزبعرى واخذ فرثا ودما فلطخ
به وجه النبي صلى الله عليه وسلم فانفتل النبي صلى
الله عليه وسلم من صلاته واتى الى ابي طالب عمه

وقال يا عم الا ترى ما فعل بي فقال له ابو طالب من فعل
بك هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن
الزبعرى فقام ابو طالب فوضع سيفه على عاتقه
ومشى حتى اتى القوم فلما راوه قد اقبل نهضوا له فقال
ابو طالب والله ان قام رجل جللته بسيفي هذا ثم
قال يا بني من الفاعل بك هذا فقال عبد الله بن الزبعرى
فاخذ ابو طالب فرثا ودما فلطخ وجوههم ولحاهم
وثيابهم واساء لهم القول فنزلت هذه الاية
الشريفه وهم ينهون عنه وينأون عنه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا عم نزلت فيك اية قال وما
هي قال تمنع قريشا ان تؤذيني وتابا ان تؤمن بي فقال ابو طالب
والله لن يصلوا اليك بجمعهم • حتى اوسد في التراب دفينا
فامضي لامرك قد زعمت ناصحي • فلقد صدقت وكنت قبل امينا
وعرضت دينا قد عرفت بانه • من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذاري سبة • لوجدتني سمحا بذاك يقينا

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل
تنفع نصرة ابي طالب قال نعم دفع عنه بذلك الفعل
انه لم يقرن مع الشياطين ولم يدخل جب الحيات
والعقارب انما عذابه في نعلين من نار في رجليه
يغلي منهما دماغه وذلك اهون اهل النار عذابا
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طالب قل لا اله الا
الله اشهد لك بها يوم القيمة فقال ابو طالب لولا
ان يعايروني يعني قريشا يقولون انما حمله على ذلك
الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله تبارك وتعالى
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا
واما عبد الله بن الزبعرى فانه اسلم عام الفتح
وحسن اسلامه واعتذر الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقبل عذره وكان شاعرا مجيدا فقال يمدح
النبي صلى الله عليه وسلم بابيات منها في حكاية حاله

مقيم
انى لمعتذر اليك من الذى • اسديت اذ انا فى الضلال
فاغفر فقد لك والداى كلاهما • وارحم فانك راحم مرحوم •
ومن غريب ما نقل القرطبى فى الاعلام ان الانصار
الذين نصروا النبى صلى الله عليه وسلم كانوا من اولاد
العلما والحكما الذين كانوا مع تبع الاول فيما ذكر
ابن اسحق وكان تبع من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا
باسرها وكان كثير الوزرا فاختار منهم واحدا •
واخرجه معه لينظر فى ملكه فكان اذا اتا بلدة
يختار من حكماها عشرة رجال وكان معه من العلما
والحكما مائة الف رجل هم الذين اختارهم من البلدان
وهذا القدر غير محسوب من الجيش فلما انتهى الى
مكة لم تخضع له اهل مكة كخضوع اهل البلاد ولم
تعظمه فغضب لذلك ودعا وزيره وكان اسمه عماريا
فقال له كيف شاهدت هذه البلدة فانهم لم يهابونى
ولم يخشوا عسكرى فقال انهم عرب لا يعرفون شيئا

ولهم بيت يقال له الكعبة وهم معجبون به ويسجدون
فيه للاصنام فقال فنزل الملك بعسكره ببطحا مكة
وعزم على هدم البيت وقتل الرجال وسبى النسا فاخذه
الله عز وجل بالصداع وتفجر من عينيه واذنيه ومنخريه
وفمه ما منتن فلم يصبر عنده احد طرفة عين
من نتن الريح فاستيقظ لذلك وقال لوزيره اجمع
العلما والحكما والاطبا وتكلم معهم فى امرى فاجتمع
عنده العلما والحكما والاطبا فلم يقدروا على الجلوس
عنده وعجزوا عن مداواته وقالوا نحن نقدر على
مداواة ما يعرض من امور الارض وهذا شى من
السما لا نستطيع له ردا ثم اشتد امره وتفرق
الناس عنه ولم يزل امره فى شدة حتى اقبل الليل
فجا احد العلما الى وزيره فقال ان بينى وبينك سرا
وهو ان كان الملك يصدقنى فى حديثه عالجته فاستبشر
الوزير بذلك وقال له قل ما شئت فقال اريد الخلوة

فاخلا له المكان فلما خلى مجلس الملك قال له العالم ايها
الملك انت نويت لهذا البيت سوا قال نعم نويت
خرابه وقتل رجاله وسبى نسآيه فقال له العالم ايها
الملك هذه النيه هي التي احدثت لك هذا الدا
ورب هذا البيت قادر يعلم الاسرار فبادر واخرج
من قلبك ما هممت به من اذى هذا البيت واهله
ولك خير الدنيا والاخرة قال الملك فاخرجت ذلك
من قلبي ونويت لهذا البيت المبارك ولاهله كل خير
فلم تخرج العالم من عنده حتى برئ من علته وعافاه
الله تبارك وتعالى بقدرته فامن بالله عز وجل من ساعته
وخلع على الكعبة سبعة اثواب وهو اول من كسا
الكعبة وخرج الى يثرب وهي يومئذ بقعة فيها
عين ماء ليس فيها بيت فنزل على راس العين هو
وعسكره وجميع العلما الذين كانوا معه ومعهم
رييسهم عماريا الذي يروى الملك برايه ثم ان العلما

والحكما اخرجوا من بينهم اربعمايه وهم اعلمهم وبايع
كل منهم صاحبه ان لا يخرجوا من ذلك المقام وان
قتلهم الملك فلما علم الملك بما عزموا عليه قال للوزير
ما شانهم يمتنعون عن الخروج معي وانا محتاج
اليهم واي حكمة اقتضت نزولهم في هذا المكان
واختيارهم اياه على سائر النواحي فسالهم الوزير
عن ذلك فقالوا ايها الوزير ان ذلك البيت وهذه
البقعه التي نحن فيها يشرفان برجل يبعث في اخر
الزمان يقال له محمد ووصفوه ثم قالوا طوبى لمن
ادركه وآمن به ونحن على رجاء ان ندركه او تدركه
اولادنا فلما سمع الوزير مقالتهم هم بالمقام معهم
فلما جاء وقت الرحيل امرهم الملك ان يرتحلوا
فقالوا لا نفعل وقد اخبرنا الوزير بحكمة مقامنا فدعى
بالوزير فاخبره بما سمع منهم فتفكر الملك وهم ان
يقيم معهم رجاء ان يدرك محمدا صلى الله عليه وسلم

فاقاموا وامر الناس ان يبنوا اربعمائة دار على عدة العلما
والحكما واشترى لكل واحد منهم جاريه واعتقها
وزوجها برجل منهم واعطا كل واحد منهم عطاء
جزيلا وامرهم ان يقيموا في ذلك المكان الى ان
زمان النبي صلى الله عليه وسلم ثم كتب كتابا وختمه
بخاتم من ذهب ودفعه الى عالمهم الكبير وامره ان
يدفع الكتاب الى محمد صلى الله عليه وسلم ان ادركه
والا فاوصى به اولاده بمثل ما اوصاه به وكذلك
الاولاد اولاد حتى يتصل بمحمد صلى الله عليه وسلم
وكان في الكتاب اما بعد فاني امنت بك وبكتابك
الذي انزل عليك وانا على دينك وسنتك وامنت
بربك العظيم وبكل ما جاء من ربك من شرايع
الايمان والاسلام فان ادركتك فيها ونعمت والا
فاشفع لي ولا تنسني يوم القيمة فاني من امتك
الاولين وقد بايعتك قبل مجيك وانا على ملتك

وملة ابيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب ونقش عليه
لله الامر من قبل ومن بعد وكتب على عنوانه الى محمد بن
عبد الله نبي الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول
رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول حمير
ابن وردع ودفع الكتاب الى الرجل العالم الذي ابراه
من علته وسار تبع من يثرب حتى وصل الى بلاد الهند
فمات بها وكان اليوم الذي مات فيه تبع الى اليوم
الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم الف سنة
لا تزيد ولا تنقص وكان الانصار الذين نصروا النبي
صلى الله عليه وسلم من اولاد اوليك العلما والحكما
فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة سئله
اهل القبايل ان ينزل عليهم فكانوا يتعلقون بناقته
وهو يقول خلوا الناقة فانها مامورة حتى جات الى
دار بني ايوب وكان من اولاد العالم الذي ابرا
تبعا برايه ثم استشار الانصار عبد الرحمن بن عوف

في ايصال الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر
خبره قبل هجرته فاشار عبد الرحمن ان يدفع الى رجل
ثقة فاختاروا رجلا يقال له ابو ليلى وكان من الانصار
فدفعوا الكتاب اليه واوصوه بحفظه فاخذ الكتاب
وخرج من المدينة على طريق مكة فوجد النبي صلى الله عليه
وسلم في قبيلة بني سليم فعرفه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدعاه وقال انت ابو ليلى قال نعم قال ومعك
كتاب تبع الاول قال نعم فبقي ابو ليلى متفكرا وقال
في نفسه ان هذا من العجائب ثم قال له ابو ليلى من
انت فاني لست اعرفك وتوهم انه ساحر وقال في
وجهك اثر السحر فقال له بل انا محمد رسول الله هات
الكتاب فاخرجه ودفعه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه الى علي
كرم الله وجهه فقراه عليه فلما سمع النبي صلى الله عليه
وسلم كلام تبع قال مرحبا بالاخ الصالح ثلث مرات

ثم امر ابا ليلى بالرجوع الى المدينة ليبشرهم بقدومه
عليهم ∴ قال ابو عبد الله محمد القرطبي رحمة الله عليه
ما ذكرت هذا الجزء وان كان فيه طول الا لما يحتوي
عليه من فضل مكة والمدينة والتصديق بنبوة النبي
صلى الله عليه وسلم قبل ايجاده بالف عام اللهم زده
شرفا وكرما وتعظيما يا رب العالمين ومن لطائف
ما نقلته من كتاب الاعلام للقرطبي سقى الله ثراه
ما اورده من مسند ابي داود عن ابن عباس رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قول الله عز وجل اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى
فاكتبوه الى اخر الاية فان اول من جحد آدم عليه
السلام لانه لما اراه الله تبارك وتعالى ذريته راى
فيهم رجلا ازهر ساطع النور فقال يا رب من هذا
قال ابنك داود قال يا رب فما عمره قال ستون سنة
قال يا رب زد في عمره قال لا الا ان تزيده من عمرك

قال وما عمري قال الف سنه قال ادم فقد وهبته
اربعين سنه قال فكتب الله عز وجل عليه كتابا واشهد
عليه ملايكته فلما حضرته الوفاه قال قد بقي من عمري
مقدار اربعين سنه فقيل له قد وهبتها لابنك داود
قال ما وهبت لاحد شيا فاخرج الله تعالى ذلك
الكتاب وفيه شهادة الملايكه • وفي رواية ان الله جل
جلاله اتم لداود عليه السلم مائة سنه ولادم عليه
السلام الف سنة خرجه الترمذي بمعناه وصححه
وفيه فقال عليه السلم نسي ادم فنسيت ذريته
وجحد ادم فجحدت ذريته والله اعلم ومن اللطايف
الغريبة المنقوله من كتاب الاعلام للقرطبي رحمه
الله عليه ان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه
مدح النبي صلى الله عليه وسلم بابيات قافية بديعه
اعجبت النبي صلى الله عليه وسلم منها • قوله •
وانت لما ولدت اشرقت الارض • وضات بنورك الافق

فنحن في ذلك الضيا وفي النور • وسبل الرشاد تخترق
فقال يا عم لكل شاعر جايزه وجايزتك ان الخلافه في
عقبك الى يوم القيمة ومن غريب التفسير وبديعه
ما نقلته من الاعلام ايضا ان في قوله تعالى ووجدك
ضالا فهدى اقوال مذكوره في جامع احكام القران
احسنها ما ذكره بعض المتكلمين ان العرب كانت اذا
وجدت شجرة منفردة في فلاة من الارض لا شجر معها
سموها ضاله فيهتدى بها على الطريق فقال الله تعالى
لنبيه ووجدك ضالا فهدى اي وجدك لا احد
على دينك فهديت بك الخلق الى الله قلت قد تقدم
ذكر سعادة العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه
وسلم وما نال بالاسلام من العز وقول النبي صلى
الله عليه وسلم ان الخلافة في عقبك الى يوم القيمه
وتقدم ذكر شقوة عمه ابي طالب بالشرك مع حمايته
ورعايته لجانب النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي

نقدم قوله مشيرا الى قريش فى خطابه للنبى صلى الله عليه
وسلم • والله لن يصلوا اليك بجمعهم • حتى اوسد فى التراب دفينا •
قال السهيلى نور الله ضريحه فى الروض الانف هذا
من باب النظر فى حكمة الله تعالى ونقل فى الروض الانف
ايضا عن هشام بن السايب ان ابا طالب لما حضرته
الوفاه جمع وجوه قريش فاوصاهم فقال يا معشر
قريش انكم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم
السيد المطاع • وفيكم المتقدم الشجاع • والواسع
الباع • لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا الا احرزتموه
ولا شرفا الا ادركتموه • فلكم على الناس بذلك
الفضيله • ولهم به اليكم الوسيله • والناس لكم
حرب وعلى حربكم الب وانى اوصيكم بتعظيم هذه
البنيه فان فيها مرضاة للرب عز وجل وقواما للمعاش
وثباتا للوطاة صلوا ارحامكم ولا تقطعوها •
فان فى صلة الرحم منشاة فى الاجل وزيادة فى العدد

واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم •
اجيبوا الداعى واعطوا السائل فان فيهما محبة فى
الخاص ومكرمة فى العام وانى اوصيكم بمحمد خيرا •
فانه الامين فى قريش والصديق فى العرب وهو
جامع لكل ما اوصيكم به وقد جاء بامر قبله الجنان •
وانكره اللسان مخافة الشنان • وايم الله كانى
انظر الى صعاليك العرب واهل البر فى الاطراف
والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا
كلمته وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت •
فصارت روسا قريش وصناديدها اذنابا ودورها
خرابا وضعفاوها اربابا واذا اعظمهم عليه •
احوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم عنده •
قد محضته العرب ودادها واصفت له فوادها
واعطته قيادها دونكم يا معشر قريش ابن ابيكم
كونوا له ولاه ولحزبه حماه والله لا يسلك احد منكم

سبيله الارشد ولا ياخذ احد بهديه الاسعد
ولو كان لنفسي مده ولاجلي تاخير لكفيت عنه الهزاهز
ولدافعت عنه الدواهي ثم هلك ومن شهي المجتنى
من ثمرات الاوراق ما روي عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه مر على طائفة بالمدينه ايام خلافته
فاذا بجارية تبكي وتقول ... شعر

وهويته من قبل قطع تمائمي ... متمائسا مثل القضيب الناعم
فكان نور البدر سنة وجهه ... يمشي ويصعد من ذوابة هاشم

فقرع عليها الباب فخرجت اليه فقال لها احرة انت ام
امه فقالت بل امة يا صاحب رسول الله فقال من
هويت فبكت وقالت بحق صاحب هذا القبر الا
انصرفت عني فقال لست بمنصرف من مكاني حتى تعلميني فقالت

وانا الذي جرح الفراق بقلبها ... قلق بحب محمد بن القاسم

فصار ابو بكر رضي الله عنه الى المسجد وبعث الى مولاها
فاشتراها منه وبعثها الى محمد بن القاسم بن جعفر

ابن ابي طالب رضي الله عنهم ومن مناقب الامام
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في فتح بيت المقدس
ان المسلمين لما تكامل لهم فتوح الشام اقاموا على
دمشق شهرا فجمع ابو عبيده امرا المسلمين رضي الله عنهم
واستشارهم في المسير الى قيسارية او الى بيت المقدس
فقال له معاذ بن جبل ايها الامير اكتب الى امير المومنين
عمر فحيث امرك امتثله فقال له اصبت الراي يا
معاذ ثم كتب الى امير المومنين عمر يعلمه بذلك
وارسل الكتاب مع عرفجه بن ناصح النخعي فسار حتى
ورد المدينه فسلم الكتاب الى عمر رضي الله عنه
فقراه على المسلمين واستشارهم فقال علي رضي الله عنه
يا امير المومنين مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين
الى بيت المقدس فاذا فتح الله بيت المقدس صرف
وجهه الى قيسارية فانها تفتح بعدها ان شا
الله كذا اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال عمر رضى الله عنه صدق المصطفى صلى الله عليه
وسلم وصدقت انك يا ابا الحسن ثم دعا بدواة
وبياض وكتب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر
الى عامله بالشام ابى عبيدة اما بعد فانى احمد
الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه وقد وصلنى
كتابك تستشيرنى الى اى ناحية تتوجه وقد
اشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير
الى بيت المقدس فان الله عز وجل يفتحها على يديك
والسلام فلما وصل الكتاب الى ابى عبيدة قراه
على المسلمين ففرحوا بمسيرهم الى بيت المقدس
وتقدمه الجيش الى بيت المقدس واقام المسلمون
على القتال عشرة ايام واهل بيت المقدس
يظهرون الفرح لعدم الخوف فلما كان فى اليوم
الحادى عشر اشرفت عليهم راية ابى عبيدة
وخالد عن يمينه وعبد الرحمن بن ابى بكر الصديق

عن يساره فضج الناس ضجة عظيمة بالتهليل
والتكبير فوقع الرعب فى اهل بيت المقدس
فاجتمعوا بقمامة وهى البيعة المعظمة عندهم
فلما وقفوا بين يدى البترك قال لهم ما هذه الضجة
التى اسمع قالوا يا ابانا قد قدم امير القوم ببقية
المسلمين فلما سمع البترك منهم ذلك انخطف لونه
وتغير وجهه وقال انا وجدنا فى علمنا الذى ورثناه
ان الذى يفتح الارض هو الرجل الاحمر صاحب
نبيهم محمد فان كان قد قدم عليكم فلا سبيل الى قتاله
ولا بد ان اشرف عليه وانظر الى صفته فان كان هو
اجبته الى ما يريد وان كان غيره فلا باس عليكم ثم وثب
قائما والقسوس والرهبان والشمامسة ومن حوله
قد رفعوا الصلبان على راسه فصعد الى السور
الى ان ورد ابى عبيدة رضى الله عنه فناداهم
رجل من الروم باذن البترك يا معاشر المسلمين

كفوا عن القتال حتى نسئلكم فامسك المسلمون
عنهم فناداهم الرجل بلسان عربي اعلموا ان الرجل
الذي يفتح بلدنا هذه وجميع الارض صفته عندنا
فان كانت في اميركم لم نقاتلكم بل نسلم اليكم وان
لم تكن هذه صفته فلا نسلم اليكم ابدا فاعلم المسلمون
اباعُبيدة بذلك فخرج ابو عُبيدة اليهم الى ان
حاذاهم فنظر البترك اليه وحقّق صُورته فقال
ليس هو الرجل فابشروا وقاتلوا عن دينكم وحرمكم
وكان نزول المسلمين رضي الله عنهم على بيت
المقدس في فصل الشتاء والبرد فاقاموا عليها
اربعة اشهر في اشد قتال مع الصبر على المطر
والبرد والثلج فلما نظر اهل بيت المقدس الى شدة
الحصار في ذلك الفصل الصعب وما نزل بهم من
المسلمين وقفوا بين يدي البترك وقالوا له قد
عظم الامر ونريد منك ان تشرف على القو

وتسئل ما الذي يريدون فان كان امرا صعبا فتحنا
الابواب وخرجنا اليهم فاما نقتل عن اخرنا واما
نهزمهم عنا فاجابهم البترك الى ذلك وصعد
السور واجتمع القسيسون والرهبان حوله ونادى
منهم رجل بالعربي وقال يا معاشر الفرسان عمدة
دين النصرانية قد اقبل يخاطبكم فليدن منا
اميركم فقام ابو عبيدة يمشي ومعه جماعة اصحاب
رسُول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان فلما وقف
بازائهم قال ما الذي تريدون هذا امير العرب
فقال البترك انكم لو اقمتم علينا عشرين سنة
لم تصلوا الى فتح بلدنا ابدا وانما يفتحها رجل موصوف
وليس الصفة معكم فقال ابو عبيدة وما صفة
من يفتح بلدكم قال البترك لا نخبركم بصفته ولكن
قرانا ان هذا البلد يفتحه صاحب محمد اسمه عمر بن
الخطاب ويعرف بالفاروق وهو رجل شديد

لا ناخذ في الله لومة لائم ولسنا نرى صفته فيكم
فلما سمع ابو عبيدة كلام البترك تبسم وقال
فتحنا البلد ورب الكعبة ثم اقبل على البترك
وقال ان رايت الرجل تعرفه قال نعم وكيف لا
اعرفه وصفته عندنا قال ابو عبيدة فهو والله خليفتنا
وصاحب نبينا صلى الله عليه وسلم قال البترك
فاذا كان الامر على ما ذكرت فاحقن الدما وابعث
الى صاحبك ياتي فاذا رايناه وتبينا نعته
فتحنا له البلد واعطيناه الجزية فانصرف ابو عبيدة
وامر الناس بالكف عن القتال واخبرهم بالخبر
فكبروا وكتب ابو عبيدة الى الامام عمر رضي الله عنه
يعلمه بالخبر على يد ميسرة بن مسروق فلما وصل
الكتاب الى عمر رضي الله عنه فرح وقراه على
المسلمين وقال ما ترون رحمكم الله فيما كتب الينا
امين الامة فكان اول من تكلم عثمان بن عفان رضي

الله عنه فقال يا امير المومنين ان الله تبارك وتعالى
قد اذل الروم فان انت اقمت ولم تسر اليهم
علموا انك بامرهم مستخف فلا يلبثون الا يسيرا
فلما سمع عمر من عثمان ذلك جزاه خيرا وقال هل
عند احد منكم راي غير هذا فقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه نعم عندي غير هذا الراي وانا
ابديه اليك رحمك الله فقال له عمر وما هو
يا ابا الحسن قال ان القوم قد سئلوك وفي سؤالهم
ذلك وهو على المسلمين فتح وقد اصابهم جهد من
عظيم البرد والقتال وطول المقام وان سرت
اليهم فتح الله على يديك هذه المدينة وكان لك
في مسيرك الاجر العظيم ولست امن انهم اذا
ايسوا منك ان ياتيهم المدد من طاغيتهم فيحصل
للمسلمين بذلك الضر والصواب ان تسير اليهم
ففرح عمر بمشورة علي وقال لقد احسن عثمان

النظر في المكيدة للعدو وعلى احسن النظر للمسلمين
جزاهما الله تعالى خيرا ولست اخذا الا بمشورة علي
فما عرفناه الا محمود المشورة وميمون الطلعة
ثم ان عمر امر الناس باخذ الاهبة للمسير معه
واستخلف على المدينة علي بن ابي طالب وخرج من
المدينة وهو على بعير له احمر عليه غرارتان في
احدهما سويق وفي الاخرى تمر وبين يديه قربة
وخلفه جفنة للزاد وسار الى ان اقبل على بيت
المقدس فالتقاه ابو عبيدة فلما راه اناخ قلوصه
واناخ عمر بعيره وترجلا ومدا ابو عبيدة يده
وصافح عمر وتعانقا وسلم كل منهما على صاحبه
واقبل المسلمون يسلمون على عمر ثم ركبوا جميعا
الى ان نزلوا فصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم
خطبهم فلما فرغ من خطبته جلس وابو عبيدة يحدثه
بما لقي من الروم الى ان حضرت صلاة الظهر

اذن بلال في ذلك اليوم فلما قال الله اكبر خشعت
جوارحهم واقشعرت ابدانهم فلما قال اشهد ان
لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله بكا الناس
بكاء شديدا عند ذكر الله وذكر رسوله وكاد بلال
ان ينقطع الاذان فلما فرغ الاذان صلى عمر وجلس ثم امرهم
بالركوب فلما هم بالركوب على بعيره وعليه مرقعته
الصوف وفيها اربعة عشر رقعة وبعضها من ادم
قال المسلمون يا امير المومنين لو ركبت غير بعيرك
جوادا ولبست ثيابا لكان ذلك اعظم لهيبتك
في قلوب اعدائك واقبلوا يسلونه ويتلطفون
به الى ان اجابهم الى ذلك ونزع مرقعته ولبس
ثيابا بيضا قال الزبير احسبها كانت من ثياب مصر
تساوي خمسة عشر درهما وطرح على كتفه منديلا
من الكتان دفعه اليه ابو عبيدة وقدم له بردونا
اشهب من براذين الروم فلما صار عمر فوقه جعل

البردون يهملج به فلما نظر عمر الى ذلك نزل مسرعا
وقال اقيلوني عثرتي اقالكم الله عثراتكم يوم
القيمة لقد كاد اميركم ان يهلك لما داخله من الكبر
ثم انه نزع البياض وعاد الى لبس مرقعته وركب
بعيره فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير
فقال البترك للروم انظروا ما شان العرب
فاشرف رجل من المتنصرة وقال يا معاشر العرب
ما قصتكم قالوا ان عمر بن الخطاب قد قدم علينا
من مدينة نبينا صلى الله عليه وسلم فرجع
المتنصر واعلم البطرك فاطرق ولم يتكلم فلما
كان من الغد صلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ثم
قال لابي عبيدة تقدم الى القوم واعلمهم اني قد
اتيت فخرج ابو عبيدة وصاح بهم وقال ان
امير المومنين عمر بن الخطاب قد اتى فما تصنعون
فيما قلتم فاعلموا البترك بذلك فخرج من قمامة

وعليه المسوح ومن حوله الرهابنة والاقسة ثم
على علا السور واشرف على ابي عبيدة وقال له ما
تشا ايها الشيخ قال ابو عبيدة هذا امير المومنين
عمر بن الخطاب فقال البترك قل له يدنو منا فانا
نعرفه بصفته ونعته وافردوه من بينكم حتى نراه
فرجع ابو عبيدة الى عمر واخبره بما قال البترك فهم
عمر بالقيام فقال له اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا امير المومنين نخشى عليك من الانفراد بغير عدة
فقال عمر قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا
وعلى الله فليتوكل المومنون ثم ركب بعيره ولبس
مرقعته وابو عبيدة سائر بين يديه حتى وقف
بازاء البطرك قريبا من الحصن فقال ابو عبيدة
يا هولاء هذا امير المومنين فمد البترك عينه
ونظر اليه فزعق وقال هذا والله الذي نجد صفته
ونعته في كتبنا ثم قال يا اهل بيت المقدس انزلوا

وخذوا منه الامان والذمة فهذا والله صاحب
محمد بن عبد الله فنزلوا مسرعين وكانت انفسهم
قد ضاقت من شدة الحصار وفتحوا الباب وخرجوا
الى عمر يسئلونه العهد فلما راهم عمر رضي الله عنه
على تلك الحالة تواضع لله سبحانه وتعالى وخر ساجدا
على قتب بعيره ثم اقبل عليهم وقال ارجعوا الى بلدكم
ولكم العهد فرجع القوم الى البلد ولم يغلقوا الباب
ورجع عمر فلما كان من الغد وهو يوم الاثنين دخل
اليها واقام بها الى يوم الجمعة وخط محرابا وهو
موضع مسجده وتقدم فصلى بالمسلمين صلاة
الجمعة واقام في بيت المقدس عشرة ايام وبها
اسلم كعب الاحبار على يده وارتحل معه الى
المدينة لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وذلك
بعد ان كتب الامام عمر لاهل بيت المقدس واقرهم
في بلدهم على عهدهم واداء الجزية ومن شهي

المجتبى ايضا ما نقله ابو الحسن علي بن عبد المحسن
التنوخي في المستجاد ان امير المومنين علي بن ابي
طالب رضي الله عنه لما بات على فراش النبي صلى
الله عليه وسلم ليفديه بنفسه اوحى الله تعالى الى
جبريل وميكائيل عليهما السلام اني اخيت بينكما وجعلت
عمر احدكما اطول من الاخر فايكما يوثر صاحبه بالحياة
فاختار كل منهما الحياة فاوحى الله اليهما افلا كنتما
مثل علي بن ابي طالب اخيت بينه وبين نبيي محمد
فبات على فراشه يفديه بنفسه ويوثره بالحياة
اهبطا الى الارض واحفظاه من عدوه فكان جبريل
عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام
ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله عز
وجل بك الملائكة فانزل الله تبارك وتعالى ومن
الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف
بالعباد قال ابو الحسن المدايني خرج الحسن والحسين

عليهما السلام وعبد الله بن جعفر رضي الله عنه حجاجا
ففاتتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز
في خباء لها فقال احدهم هل من شراب قالت نعم
فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة فقالت احلبوها
فاشربوا لبنها ففعلوا ثم قالوا لها هل من طعام فقالت
لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيي لكم
ما تاكلون فقام اليها احدهم فذبحها وكشطها
ثم هيات لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا
فلما ارتحلوا قالوا نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه
فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا
فارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة
فغضب وقال ويحك تذبحين شاتي لقوم لا
نعرفهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد مدة الجاتهما
الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان
البعر ويبيعانه ويتعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة

فاذا الحسن بن علي عليهما السلام على باب داره فعرف
العجوز وهي منكرة فبعث اليها غلامه فدعا بها
فقال لها يا امة الله اتعرفيني قالت لا قال انا ضيفك
بالامس يوم كذا وكذا قالت بابي انت وامي ثم امر
فاشترى لها من شاء الصدقة الف شاة وامر لها
بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين عليه السلام
فامر لها بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن
جعفر رضي الله عنه فقال لها بكم وصلك الحسن
والحسين قالت بالفي شاة والفي دينار فقال لها لو
بدات بي لاتعبتهما في العطا اعطوها اعطيتهما
فرجعت العجوز الى زوجها باربعة الف دينار واربعة
الف شاة ومما يضارع هذه اللطائف انه جرى
بين الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام وبين اخيه
محمد بن الحنفية رضي الله عنه كلام فانصرفا متغاضبين
فلما وصل محمد الى منزله اخذ رقعة وكتب فيها

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي بن ابي طالب
الى اخيه الحسين بن علي بن ابي طالب اما بعد فان لك
شرفا لا ابلغه وفضلا لا ادركه فاذا قرات رقعتي هذه
فالبس رداك ونعليك ثم صر الي فترضيني واياك ان
اكون سابقك الى الفضل الذي انت اولى به مني
والسلام فلما قرا الحسين عليه السلم الرقعة لبس
رداه ونعليه ثم جاء الى اخيه محمد فترضاه انتهى
قال ابو الفرج الاصفهاني حدثني احمد بن محمد
الجعد ومحمد بن يحيى قالا حدثنا محمد بن زكريا
العلاي قال حدثنا ابن عايشة قال حج هشام
ابن عبد الملك في خلافة اخيه الوليد ومعه رؤساء
اهل الشام فطاف وجهد ان يستلم الحجر فلم يقدر
من الازدحام فنصب له منبر فجلس عليه ينظر
الى الناس فاقبل علي بن الحسين عليهما السلم وهو
احسن الناس وجها وانظفهم ثوبا واطيبهم رايحة

فلما طاف بالبيت وبلغ الحجر تنحى الناس كلهم اجلالا
له فاستلم الحجر وحده فغاظ ذلك هشاما وبلغ منه
فقال رجل من اهل الشام لهشام من هذا اصلح الله الامير
قال لا اعرفه وكان به عارفا ولكن خاف من رغبة
اهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا انا اعرفه
يا شامي قال ومن هو قال ـــــ شعر

هذا ابن من تعرف البطحاء وطاته • والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم • هذا النقي التقي الطاهر العلم
اذا راته قريش قال قايلها • الى مكارم هذا ينتهي الكرم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله • بجده انبياء الله قد ختموا
يكاد يمسكه عرفان راحته • ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
اي الخلايق ليست في رقابهم • لاولية هذا اوله نعم
من يعرف الله يعرف اولية ذا • فالدين من بيت هذا ناله الامم
وليس قولك من هذا بضايره • العرب تعرف من انكرت والعجم

فحبسه هشام ثم اطلقه ووجه اليه علي بن الحسين

عشرة الاف درهم وقالا عذرنا يا ابا فارس فلو كان
عندنا في هذا الوقت اكثر منها لوصلناك بها
فردها الفرزدق وقال ما قلت ما كان الا لله فقال
له علي بن الحسين قد راى الله عز وجل مكانك وكنا
اهل بيت اذا انفذنا شيا لم نرجع فيه واقسم عليه
فقبلها ومن غالي جواهر العقد لابن عبد ربه قال
يزيد حدثني ابي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قدم من المدينة الى الشام على حمار ومعه عبد الرحمن
ابن عوف على حمار فتلقاهما معوية في موكب نبيل
فاعرض عنه عمر فجعل يمشي الى جنبه راجلا فقال
له عبد الرحمن بن عوف اتعبت الرجل فاقبل عليه
عمر انفا فقال يا معوية انت صاحب الموكب مع
ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك قال
نعم يا امير المومنين قال ولم ذاك قال لانا في بلاد
لا تمنع من الجواسيس ولابد لهم ما يروعهم من هيبة

السلطان فان امرتني بذلك اقمت عليه وان نهيتني
عنه انتهيت قال ان كان الذي قلته حقا فانه راي
اديب وان كان باطلا فانها خدعة اديب وما امرك
ولا انهاك عنه ومن لطايف معوية رضي الله عنه
انه كان لعبد الله بن الزبير ارض متاخمة لارض
لمعوية فيها عبيد له من الزنوج يعمرونها فدخلوا
في ارض عبد الله فكتب الى معوية اما بعد فانه
يا معوية ان لم تمنع عبيدك من الدخول في ارضي
والا كان لي ولك شان فلما وقف معوية على الكتاب
دفعه الى ابنه يزيد فلما قراه قال له ما ترى قال
ارى ان تنفذ اليه جيشا اوله عنده واخره عندك
ياتوك براسه فقال يا بني عندي خير من ذلك
علي بدواة وقرطاس وكتب وقفت على كتاب ابن حواري
رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءني والله ما ساءه
والدنيا هينة عندي في جنب رضاه وقد كتبت

على نفسي قطعا بالارض والعبدان واشهدت على فيه
فليضف الارض الى ارضه والعبيد الى عبيده والسلم
فلما وقف عبد الله على كتاب معوية كتب اليه وقفت
على كتاب امير المومنين اطال الله بقاه فلا عدم
الراى الذى احله من قريش هذا المحل والسلام
فلما وقف معوية على كتاب عبد الله رماه الى ابنه يزيد
فلما قراه اسفر وجهه فقال يا بنى اذا رميت بهذا
الداء داوِ بهذا الدواء **نادرة لطيفة**
قال الاستاد ابو على الماسعى غلام خليل بالصوفية
الى الخليفة بالزندقة امر بضرب اعناقهم فاما
الجنيد فاستتر بالفقه واما الشحام والرقام والنورى
وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب اعناقهم
فتقدم النورى فقال له السياف اتدرى لماذا
تتقدم قال نعم قال وما يعجلك قال اوثر اصحابى
بحياة ساعة فتحير السياف ونمى الخبر الى الخليفة

فردهم الى القاضى ليعرف احوالهم فالقى القاضى على
ابى الحسن النورى مسايل فقهية فاجاب على الكل
ثم اخذ يقول ان لله عز وجل عبادا اذا قاموا قاموا
بالله واذا نطقوا نطقوا بالله وسرد الفاظا حتى
بكى القاضى وارسل الى الخليفة يقول ان كانوا هولا
زنادقة فما على وجه الارض مسلم فاكرمهم واطلقهم
ومن لطايف المستجاد ان الحجاج لما قتل عبد الله بن
الزبير رحل الى عبد الملك بن مروان وهذه الحكاية
تقدمت من ثمرات الاوراق **ومن** المروى عن
احمد بن ابى دؤاد القاضى انه قال ما رايت رجلا
عرض على الموت فلم يكترث به الا تميم بن جميل
الخارجى كان قد خرج على المعتصم ورايته قد جى به
اسيرا فادخل عليه فى يوم موكب وقد جلس المعتصم
للناس مجلسا عاما ودعا بالسيف والنطع فلما مثل
بين يديه نظر اليه المعتصم فاعجبه شكله وقده

اي ومشيته الى الموت غير مكترث به فاطال
الفكرة فيه ثم استنطقه لينظر في عقله وبلاغته
فقال يا تميم ان كان لك عذر فات به فقال اما
اذا اذن امير المومنين جبر الله به صدع الدين
ولم شعث المسلمين واخمد شهاب الباطل وانار
سبل الحق فالذنوب يا امير المومنين تخرس الالسنة
وتصدع الافئدة وايم الله لقد عظمت الجريرة
وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا العفو او
الانتقام وامير المومنين اقرب الى العفو وهو اليق
بشيمه الطاهرة ثم انشد • شعر

ارى الموت بين السيف والنطع كامنا • يلاحظني من حيث لا اتلفت
واكبر ظني انك اليوم قاتلي • واي امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي ياتي بعذر وحجة • وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعي من ان اموت وانني • لاعلم ان الموت شي موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم • واكبادهم من حسرة تتفتت

كاني اراهم حين انعى اليهم • وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة • اذود الردى عنهم وان مت موتوا
فكم قائل لا يبعد الله داره • واخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكى المعتصم وقال ان من البيان لسحرا ثم قال
كاد والله يا تميم ان يسبق السيف العذل وقد
وهبتك لله عز وجل ولصبيتك واعطاه خمسين الف
درهما ومن لطائف المنقول من المستجاد انه كان
بين غسان بن عباد وبين علي بن عيسى القمي عداوة
عظيمة وكان علي بن عيسى ضامنا اعمال الخراج
والضياع ببلدة فبقيت عليه بقية مبلغها اربعون
الف دينارا فالح المامون عليه بطلبها الى ان قال
لعلي بن صالح الحاجب امهله ثلثة ايام فان احضر
المال والا فاضربه بالسياط حتى يودي المال او
يتلف فانصرف علي بن عيسى من دار المامون ايسا
من نفسه وهو لا يدري وجها يتجه اليه فقال له

كاتبه لو عرجت على غسان بن عباد وعرفته خبرك
لرجوت ان يعينك على امرك فقال له على ما بيني وبينه
من العداوة فقال نعم فان الرجل اريحي كريم فدخل على
غسّان فقام اليه وتلقاه بالجميل ووفاه حقه في
الخدمة فقال له علي بن عيسى الحال الذي بيني وبينك
يمنعني ان ابدي امري اليك فقال الذي بيني وبينك
على حاله ولكن دخولك الى داري له حرمة توجب
بلوغ ما رجوته مني فاذكر ان كان لك حاجة فقص
عليه القصّة فقال ارجوا ان يكفيه الله تعالى ولم
يزده على ذلك شيئا فنهض علي بن عيسى وخرج
آيسًا نادمًا على قصد غسّان وقال لكاتبه ما
افدتني بالدخول على غسان غير تعجيل الشماتة والهوان
فلم يصر علي بن عيسى الى داره حتى حضر اليه كاتب
غسّان معه البغال عليها المال فتقدم وتسلمه
وبكّر الى دار امير المومنين فوجد غسّان قد سبقه

اليها ودخل على المامون وقال يا امير المومنين ان
لعلي بن عيسى بحضرتك حرمة وخدمة وسالف اصل
وقد لحقه من الخسران في ضمانه ما تعارفه الناس
وقد توعدته من ضرب السياط بما اطار عقله
واذهب لبّه فان راى امير المومنين ان يجيزني على حسن
كرمه ببعض ما عليه فهي صنيعة تجددها على حرس
ما تقدمها من احسانه ولم يزل يتلطف الى ان حطّ
عنه النصف واقتصر منه على عشرين الف دينار
فقال غسّان على ان تجدد عليه امير المومنين الضمان
وتشرفه بخلع تقوي نفسه وترهف عزمه ويعرف
بها مكان الرضى عنه فاجابه المامون الى ذلك فقال
فياذن امير المومنين انا احمل الدواة الى حضرته
ليوقع ما راه من هذا الانعام فقال افعل فحمل الدواة
واحضرها فوقع المامون له بذلك وخرج علي بن
عيسى بالخلع والتوقيع بيده فلما حضر في داره حمل

من المال عشرين الف دينار وارسلها الى غسان وشكره
على جميل فعله معه فقال غسان لكاتبه والله ما شفعت
عند امير المومنين الا لتتوفر عليه وينتفع بها فامض
بها اليه فلما ردها كاتبه الى علي بن عيسى علم قدر
ما فعل معه غسان رحمة الله عليه فلم يزل تخدمه
الى اخر العمر ومن غريب ما يقتطف من ثمرات
الاوراق ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خلف
احد عشر ابنا فاصاب كل ابن نصف وربع دينار
وقال لهم عند وفاته يا بني ليس لي مال فاوصي فيه
وخلف هشام بن عبد الملك احد عشر ابنا فاصاب
كل واحد من البنين الف الف دينار فاما اولاد
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فما راى احد منهم
الا وهو غني ومنهم واحد جهز من ماله مائة فارس
على مائة فرس في سبيل الله وما راى احد من اولاد
هشام بن عبد الملك الا وهو فقير ولقد شوهد

احدهم وهو يوقد في الاتون قيل لمعوية بن ابي
سفيان ان بالحيرة رجلا من بني جرهم قد عمر
وراى اعاجيب فقال معوية علي به فلما حضر قال
من الرجل قال عبيد بن شرية قال ثم ممن قال من
قوم لم يبق منهم بقية قال فكم مضى من عمرك
قال عشرون وماية سنة قال اخبرني باعجب ما
رايت في عمرك قال نعم يا امير المومنين كنت في حي
من احياء العرب وقد مات لهم ميت يقال له
عثير بن لبيد العذري فمشيت في جنازته وتاسيت
بجماعته فلما دفن في قبره واعول النساء في اثره
ادركتني عليه عبرة ولم استطع ردها وتمثلت
بابيات كنت سمعتها قديما وعلق الان على خاطري منها
يا قلب انك من اسماء مغرور • فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ما تخفيه من احد حتى جرت لك اطلاقا محاضير
فلست ولا تدري اعاجلها • ادنى لرشدك ام ما فيه تاخير

فاستقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر اذ دارت مياسير
وبينما المرء في الاحياء مغتبط * اذ صار في الترب يعفوه الاعاصير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحي مسرور
وذاك اخر عهد من اخيك اذا * ما المرء ضمنه اللحد الحنابير
فبينما انا اردد هذه الابيات وعيناي تسكبان
اذ قال لي رجل الى جنبي من عذره يا عبد الله هل تعرف
قايل هذا الشعر قلت لا والله قال قايله هذا الميت
الذي دفناه وانت الغريب الذي تبكي عليه ولا
تعرفه ولا تعلم انه قال هذا الشعر وذو قرابته
الذي ذكرته مسرور هو ذاك واشار الى رجل في
الجماعة فرايته لا يستطيع كتمان ما هو عليه من
المسرة فقال معوية يا اخا جرهم سل ما شئت
قال ما مضى من عمري ترده والاجل اذا حضر تدفعه
قال ليس لي ذلك سل غيره * قال يا امير المومنين
ليس اليك رد شبابي * ولا الاخرة فتكرم مابي

والمال فقد اخذت منه في عنفواني ما كفاني قال
لابد ان تسلني قال اما اذا شئت فامر لي برغيفين
اتغدا باحدهما واتعشى بالاخر واتق الله واعلم
انك مفارق ما انت فيه وقادم على ما قدمت فامر
له معوية برواحل كثيرة من حنطة وغيرها فردها
وقال ان اعطيت المسلمين كلهم مثل ما اعطيتني
والا فلا حاجة لي في ذلك ثم ودعه وانصرف انتهى
قيل وفد عبد الله بن جعفر رضي الله عنه
على احد خلفاء بني امية فقال له الخليفة كم كان
امير المومنين يعطيك يعني اباه قال كان رحمه
الله يعطيني الف الف درهم قال زدناك لترحمك
عليه الف الف قال بابي انت وامي قال ولهذه الالف الف
قال والله لا اقولها لاحد بعدك قال ولهذه الالف الف
قال منعني من الاطناب في وصفك الاشفاق عليك
من جودك قال ولهذه الالف الف فقيل له يا امير المومنين

وكان الخليفة يزيد بن معاويه

فرقت بيت مال المسلمين على رجل واحد قال انما فرقته
على اهل المدينة اجمعين ثم وكل به من يعلمه بخبره
من حيث لا يشعر فلما قدم المدينة فرق جميع ما معه
حتى احتاج بعد شهر الى القرض ومن لطائف المنقول
ان رجلا قال لهشام القرطبي كم تعدّ قال من
واحد الى الف الف واكثر قال لم ارد هذا كم
تعد من السن قال اثنين وثلثين ستة عشر من اعلا
وستة عشر من اسفل قال لم ارد هذا كم لك من
السنين قال والله ليس لي منها شئ والسنون كلها
لله قال يا هذا ما سنك قال عظم قال ابنْ لي
ابن كم انت قال ابن اثنين رجل وامراة قال كم
اتى عليك قال لو اتى علي شئ قتلني قال فكيف اقول
قال تقول كم مضى من عمرك قيل عرض محمد
ابن الجهم داره للبيع بخمسين الف درهم فلما حضروا
ليشتروا قال بكم تشتروا مني جوار سعيد بن العاص

فقالوا له والجوار يباع قال وكيف لا يباع جوار من
ان سالته اعطاك وان سكتّ عنه ابتداك وان
اسات اليه احسن اليك قال فبلغ ذلك سعيد
فوجه اليه بمائة الف درهم وقال امسك دارك
عليك قيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة
له فنزل على نخل قوم فيها غلام اسود يقوم عليها
فأُتي بثلثة اقراص فدخل كلب فدنا منه فرمى اليه
بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكلهما
وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم
قال ما رايت قال فلم اثرت الكلب قال لان ارضنا
ما هي بارض كلاب واخاله جا من مسافة بعيدة
جايعا فكرهت ردّه قال فما انت صانع اليوم قال
اطوى يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر الام
على السخا والله ان هذا لاسخى مني فاشترى النخل
والعبد واعتقه ووهب ذلك كله له ومن لطايف

المنقول انه رفع للرشيد موت العباس بن الاحنف
وابراهيم الموصلي المعروف بالنديم وهشيمة
الخمارة في يوم واحد فخرج للصلاة عليهم •
فصفّوا بين يديه فقال من الاول فقالوا ابراهيم
الموصلي فقال اخروه وقدموا العباس بن الاحنف
فقدم وصلى عليه فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم
ابن عبد الله الخزاعي وقال يا امير المومنين كيف
اثرت العباس بالتقديم على من حضر فقال بقوله

وسعى بنا قوم فقالوا انها • لهي التي تشقى بها وتكابدُ
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم • انّي ليعجبني المحبّ الجاحدُ

ثم قال احفظهما قال نعم قال اليس من قال
هذا الشعر اولى بالتقديم فقلت بلى والله يا امير
المومنين قلتُ ويضارع هذا ما حكاه صاحب
الاغاني حكى ان رجلا ادّى شهادة عند بعض القضاة
فقال القاضي هل يعرفك احد من ذوي العداله
قال نعم فلان فلما حضر قال له القاضي هل تعرف هذا
قال نعم اعرفه عدل رضي وما ذاك الا اني سمعته
ينشد لجرير • شعر •

ان الذين غدوا بلبك غادروا • وشلا بعينك لا يزال معينا •
غيّضن من ابصارهنّ وقلن لي • ماذا لقيت من الهوا ولقينا •

فعلمت انه لا يرشح الا في قلب مومن وقال
الشيخ اثير الدين ابو حيان رحمه الله تعالى كانت
رقائق الشيخ تقي الدين السروجي تسلب العقول
وكان يغني بها في عصره لانها في الطريق الغرامي غاية
لا تدرك فمن ذلك قوله • شعر •

انعم بوصلك لي فهذا وقته • يكفي من الهجران ما قد ذقته •
انفقت عمري في هواك وليتني • أُعطى وصولا بالذي انفقته •
يا من شغلت بحبه عن غيره • وسلوت كل الناس حين عشقته •
كم جال في ميدان حسنك فارس • بالسبق فيك الى رضاك سبقته •
انت الذي جمع المحاسن وجهه • لكن عليه تصبري فرقته •

قال الوشاة قد ادعى بك نسبة ❊ فسررت لما قلت قد صدقوا
بالله ان سئلوك عنى قل لهم ❊ عبدى وملك يدى وما اعتقته
او قيل مشتاق اليك فقل لهم ❊ ادرى بذا وانا الذى شوقته
قلت لو كان الشيخ تقى الدين السروجى رحمه الله تعالى
فى جملة من صلى عليه الرشيد لم يفقد مرغيره قال
الشهاب محمود وكان الشيخ تقى الدين السروجى
مع دينه وورعه وزهده وعفته مغرما بالجمال
ولذلك قال الشيخ اثير الدين وكان يكره مكانا
تكون فيه امراة ومن دعاه من اصحابه قال شرطى
معروف وهو ان لا يحضر بالمجلس امراة قال الشهاب
محمود وكنا يوما فى دعوة فاحضر صاحب الدعوة
شوا وامر بادخاله الى النسا يقطعونه ويجعلونه
فى الصحون فلما احضر بعد ذلك تقرف منه وقال
كيف يوكل وقد لمسته بايديهن قال الشيخ اثير الدين
ولما توفى الشيخ تقى الدين بمصر رابع رمضان المعظم

سنة ثلاث وتسعين وستمائة حلف ابو محبوبة
ان لا يدفنه الا فى قبر ابنه وقال الشيخ كان يهواه
بالحياة وما افرق بينهما بالممات هذا ما كان بعلمه
من دينه وعفافه قلت والشيخ مدرك هو ابو
هذه العذره وثمرة هذه الشجرة فانه ممن هام مع
زهده وورعه بالجمال وعف وصبر الى ان مات
وكان الشيخ مدرك المذكور من اكابر علماء المغرب
المتفقهين وكان مطبوعا فى نظم الشعر الجيد الرقيق
وكان يقرى الادب وله مجلس بمحلة دار الروم
وكان لا يقرى الا الاحداث ففتن من تلك الاحداث
بنصرانى اسمه عمرو بن يحنا كان من احسن اهل زمانه
واسلمهم طباعا فهام الشيخ به وكتب رقعة وطرحها
فى حجره وهى ❊ بمجالس العلم التى ❊ بك تم جمع جموعها ❊
❊ الا رثيت لمقلة ❊ غرقت بماء دموعها ❊
❊ بينى وبينك حرمة ❊ الله فى تضييعها ❊

فلما قرا عمرو الابيات استحيى وعلم بها من في المجلس
فانقطع عمرو واشتد بالشيخ الوجد فترك المجلس
ونظم القصيدة المشهورة قيل انها اشتملت على
سائر عبادات النصارى ومواقيتهم واسما
المعظمين في دينهم وعده صاحب مصارع العشاق
مع الذين ماتوا اغراما وقال في كتابه الموسوم
بمصارع العشاق اخبرنا القاضي ابو القاسم
التنوخي سنة ثلاث واربعين واربعمائة قال
حدثنا القاضي ابو الفرج المعافا قال انشدنا
ابو القاسم مدرك بن محمد الشيباني لنفسه في
عمرو النصراني قال القاضي ابو الفرج وقد رايت
عمروا وقد ابيض راسه . والقصيدة هذه

من عاشق ناء هواه دان . ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان . معذب بالصد والهجران
من غير ذنب كسبت يداه . لكن هوا نمت به عيناه
شوقا الى رؤية من اشقاه . كانما عافاه من بلاه
يا ويحه من عاشق ما يلقى . من ادمع منهلة ما ترقى
داب الى ان كاد يفنى عشقا . وعن دقيق الفكر سقما دقا
لم يبق منه غير طرف يبكي . بادمع مثل نظام السلك
تخمد نيران الهوى وتذكي . منهلة قطر السماء تحكي
الى غزال من بني النصارى . فضل بالحسن على العذارى
وغادر الاسد به حيارى . في ربقة الحب له اسارى
بريم اي هزبر لم يصد . يقتل باللحظ ولا يخشى القود
متى تقل ها قالت الالحاظ قد . كانه ناسوته حين اتحد
يا ليتني كنت له زنارا . يديرني في الخصر كيف دارا
حتى اذا الليل طوى النهارا . صرت له حينئذ ازارا
يا عمرو ناشدتك بالمسيح . الا سمعت القول من فصيح
يعرب عن قلب له جريح . ليس من الحب بمستريح
يا عمرو بالحق من اللاهوت . والروح روح القدس والناسو
ت الذي في مهده المنعوت . عوض بالنطق عن السكوت

بحق ناسوت ببطن مريم • حل محل الريق منها في الفم •
ثم استحال في القنوم الاقدم • يكلم الناس ولما يفطم •
بحق من بعد الممات قمّصا • ثوبا على مقداره ما قصا
وكان لله نقيًا مخلصا • يشفي ويبرئ اكمها وبرصا
بحق يحيي صورة الطيور • وباعث الموتى من القبور •
ومن اليه مرجع الامور • يعلم ما في البرّ والبحور •
بحق من في شامخ الصوامع • من ساجد لربه وراكع •
يبكي اذا ما نام كل هاجع • خوفا من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرؤسا • وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا • مشمعلين يعبدون عيسى
بحق مارة مريم وبولس • بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيل بحق يونس • بحق حزقيل وبيت المقدس
ونينوى اذا اقام يدعو ربه • مطهرا من كل ذنب قلبه •
ومستقيلا فاقيل ذنبه • ونال من مولاه ما احبه •
بحق ما في قلة الميرون • من نافع الادواء للمجنون •

بحق ما يوثر عن شمعون • من بركات النخل والزيتون •
بحق اعياد الصليب الزهر • وعيد اشموني وعيد الفطر •
وبالشعانين الجليل القدر • وعيد مرماري الرفيع الذكر
وعيد اشعيا وبالهياكل • والدخن اللاتي بكف الحامل
يشفي بها من خبل كل خابل • ومن دخيل السقم في المفاصل •
بحق سبعين من العبّاد • قاموا بدين الله في البلاد •
وارشدوا الناس الى الرشاد • حتى اهتدى من لم يكن بهاد •
بحق ثنتا عشرة من الامم • ساروا الى الاقطار يتلون الحكم •
حتى اذا اصبح الهدى جلّا الظلم • صاروا الى الله ففازوا بالنعم •
بحق ما في محكم الانجيل • من منزل التحريم والتحليل •
وخير ذي نبإ جليل • يرويه جيل قد مضى عن جيل •
بحق مرعبدا النقي الصالح • بحق لوقا الحكيم الراجح •
والشهدا بالفلا الصحاصح • من كل غاد منهم ورائح •
بحق معمودية الارواح • والمذبح المشهور في النواحي
من به من لابس الامساح • من راهب باك ومن نواح •

بحق تقريبك في الاحاد • وشربك القهوة كالفصاد
بما بعينيك من السواد • بطول تقطيعك للاكباد
بحق ما قدس شعيا فيه • بالحمد لله وبالتنزيه
بحق نسطور وما يرويه • عن كل ناموس له فقيه
شيخان كانا من شيوخ العلم • وبعض اركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير فهم • موتهما كان حياة الخصم
بحرمة الاسقف والمطران • والجاثليق العالم الرباني
والقس والشماس والديران • والبطرك الاكبر والرهبان
بحرمة المحبوس في اعلى الجبل • بحق لوقا حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الاول • وبالمسيح المرتضى وما فعل
بحرمة الاسقوفيا والبيرم • وما حوى مغفر راس مريم
بحرمة الصوم الكبير الاعظم • بحق كل بركة ومحرم
بحق يوم الذبح في الاشراق • وليلة الميلاد والسلاق
والذهب الابريز لا الاوراق • بالفصح يا مهذب الاخلاق
بكل قداس على قداس • قدسه القس مع الش

وقربوا يوم خميس الناس • وقدموا الكاس لكل حاسي
الا رغبت في رضى اديب • باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوق الى المذيب • اعلى مناه ايسر التقريب
فانظر اميري في صلاح امري • محتسبا في عظيم الاجر
مكتسبا مني جميل الشكر • من نثر الفاظ ونظم شعر
قلت الشي بالشي يذكر الشيخ مدرك لما
الجاته الضرورة الغرامية ان يتجشم المشاق ويتقرب
الى محبوبه باقسام لها عند اهل دين النصرانية محل
عظيم وموقع الجات الشيخ مهذب الدين بن منير
الطرابلسي الشاعر المشهور ان يترك التشيع وكان
من كبار الشيعة ويرجح جانب السنة ويهجو اقوال
الرافضة وموجب ذلك ان مهذب الدين المذكور
هاجر الى بغداد بسبب مدح الشريف الموسوي
نقيب الاشراف بها وكان الشريف ايضا من كبار
الشيعة فلما دخل بغداد جهز الى الشريف هدية مع

مملوكه بل معشوقه تتر الذى سارت الركبان بغرامه فيه

فاخذ الهدية واعجبه المملوك فاخذه فلما وصل

الخبر الى مهذب الدين بن منير اشرف على ذهاب روحه

وكتب الى الشريف والى تتر ٭ شعر ٭

عذبت طرفى بالسهر ٭ واذبت قلبى بالفكر ٭

ومزجت صفو مودتى ٭ من بعد بعدك بالكدر ٭

ومنحت جثمانى الضنا ٭ وكحلت جفنى بالسهر ٭

وجفوت صبًا ماله ٭ عن حسن وجهك مصطبر ٭

يا قلب ويحك كم تخا ٭ دع بالغرور وكم تغر ٭

والى كم تكلف بالاغن ٭ من الظبا والى الاغر ٭

ريم يفوّق ان رماك ٭ بسهم ناظره النظر ٭

تركتك اعين تتر كما ٭ من باسهن على خطر ٭

ورمت فاصمت عن قسىّ ٭ لا يناط بها وتر ٭

جرحتك جرحًا لا يخيّط ٭ بالخيوط ولا الابر ٭

يلهو ويلعب بالعقول ٭ عيون ابناء الخزر ٭

فكانهن صوالج ٭ وكانهن لها اكر ٭

يخفى الهوى وتسرّه ٭ وخفى سرك قد ظهر ٭

اهل لوجدل من مها ٭ نقضى اليه فينتظر ٭

نفسى الفداء لشادن ٭ انا من هواه على خطر ٭

رشا تحاوله الحوا ٭ طر ان تثنى او خطر ٭

عذل العذول وما راه ٭ فحين عاينه عذر ٭

قمر يزيّن ضوء صبح ٭ جبينه ليل الشعر ٭

تدمى اللواحظ خده ٭ فترى لها فيه اثر ٭

هو كالهلال ملثما ٭ والبدر حسنًا ان سفر ٭

ويلاه ما احلاه فى ٭ قلبى الشقى وما امر ٭

نومى المحرم بعده ٭ وربيع لذاتى صفر ٭

بالمشعرين وبالصفا ٭ والبيت اقسم والحجر ٭

وبمن سعى فيه وطاف ٭ به ولبىّ واعتمر ٭

لين الشريف الموسوى ٭ ابن الشريف ابى مضر ٭

يدى الجحود ولم يرد ٭ الىّ مملوكى تتر ٭

والبيت آل امية ∴ الطهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر ∴ وعدلت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحابة ∴ بين قوم واشتهر
قلت المقدم شيخ تيم ∴ ثم صاحبه عمر
ما سل قط ظبا على ∴ آل النبى ولا شهر
كلا ولا صدّ البتول ∴ عن التراث ولا زجر
واتابها الحسنى وما ∴ شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيد ∴ بكا نشوان الخصر
وشرحت حسن صلاته ∴ جنح الظلام المعتكر
وقرات من اوراق ∴ مصحفه البراة والزمر
ورثيت طلحة والزبير ∴ بكل شعر مبتكر
وازور قبرهما ∴ وازجر من لحانى او زجر
واقول امّ المومنين ∴ عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل لتصلح ∴ من بنيها فى زمر
وانت لتصلح بين ∴ جيش المسلمين على غرر

فاتى ابو حسن وسلّ ∴ حسامه وسطا وكرّ
واذاق اخوته الردا ∴ وبعين امهم عقر
ما ضرّه لو كان كف ∴ وعف عنهم اذ قدر
واقول انّ امامكم ∴ ولّى بصفّين وفرّ
واقول ان اخطا معوية ∴ فما اخطى القدر
هذا ولم يغدر معوية ∴ ولا عمرو مكر
بطل بسوءته يقاتل ∴ لا بصارمه الذكر
وجنيت من رطب ∴ النواصب ما نثرّ واختمر
واقول ذنب الخارجين ∴ على علىّ مغتفر
لا ثاير لقتالهم ∴ فى النهروان ولا اثر
والاشعرى بما يوول ∴ اليه امرهما شعر
قال انصبوا لى منبرا ∴ فانا البرئ من الخطر
فعلا وقال خلعت صاحبكم ∴ واوجز واختصر
واقول ان يزيد ما ∴ شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكفّ عن ∴ ابناء فاطمة امر

وحلقت في عشر المحرم ∴ ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره ∴ وصيام ايام اخر
ولبست فيه اجل ثوب ∴ للملابس يدّخر
وسهرت في طبخ الحبوب ∴ من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا ∴ اصافح من لقيت من البشر
ووقفت في وسط الطريق ∴ اقص شارب من عبر
واكلت جرجير البقول ∴ بلحم جرّي الحفر
وجعلتهم خير المآكل ∴ والفواكه والخضر
وغسلت رجلي ظله ∴ ومسحت خفي في السفر
وآمين اجهر في الصلاه ∴ كمن بها قبلي جهر
واسن تسنيم القبور ∴ لكل قبر محتفر
واذا جرى ذكر الغدير ∴ اقول ما صح الخبر
وسكنت جلق واقتديت ∴ بهم وان كانوا بقر
واقول مثل مقالهم ∴ بالفاشر يا قد فشر
مصطبحي مكسورة ∴ وفطيرتي فيها قصر
بقر ترى برئيسهم ∴ طيش الظلام اذا نفر
وخفيفهم مستثقل ∴ وصواب قولهم هدر
وطباعهم كجبالهم ∴ جبلت وقدت من حجر
ما يدرك التشبيب ∴ تغريد البلابل في السحر
واقول في يوم تحار ∴ له البصائر والبصر
والصحف ينشر طيها ∴ والنار ترمي بالشرر
هذا الشريف اضلني ∴ بعد الهداية والنظر
مالي مضل في الورى ∴ الا الشريف ابو مضر
فيقال خذ بيد الشريف ∴ فمستقرّكما سقر
لواحة تسطو فما ∴ تبقي عليه ولا تذر
والله يغفر للمسيء ∴ اذا تنصّل واعتذر
فاخش الاله بسوء فعلك ∴ واحتذر كل الحذر
واليكما بدوية رقت ∴ لرقتها الحضر
شامية لو شامها ∴ قس الفصاحة لافتخر
ادري وايقن انني ∴ بحر والفاظي درر

جرّتها فغدت كزهر ∴ الروض باكره المطر
والى الشريف بعثتها ∴ لما قراها وابتهر
ردّ الغلام وما استتمّ ∴ على الجحود ولا اصرّ
واثابني وجزيته ∴ شكرا وقال لقد صبر

ومن لطائف المنقول ما نقله الشيخ الامام العالم العلامه المحدث ابو الفدا اسمعيل بن كثير قال قدم الشيخ الامام العالم العلامة زين الدين ابو حفص عمر بن الوردي رحمه الله تعالى الى دمشق المحروسة في ايام قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى الشافعي تغمده الله برحمته ورضوانه فاجلسه في صفة الشهود المعروفه بالشباك وكان الشيخ زين الدين بليبس زي اهل المعرى فاستزراه الشهود فحضر كتاب مشترى فقال بعضهم اعطوا المعرى يكتبه فقال الشيخ زين الدين ترسمون اكتبه نظما او نثرا فزاد استهزاؤهم فقالوا نظما فاخذ القرطاس وكتب ∴ هذه

بسم الاله الخالق هذا ما اشترى ∴ محمد بن يونس بن سنقرا
من مالك بن احمد بن الازرق ∴ كلاهما قد عرفا من جلق
فباعه قطعة ارض واقعه ∴ بكورة الغوطة وهي جامعه
لشجر مختلف الاجناس ∴ والارض في البيع مع الغراس
وذرع هذي الارض بالذراع ∴ عشرون في الطول بلا نزاع
وذرعها في العرض ايضا عشره ∴ وهو ذراع باليد المعتبره
وحدّها من قبلة ملك التقي ∴ وحائز الرومي حد المشرق
ومن شمال ملك اولاد علي ∴ والغرب ملك عامر بن جهبل
وهذه تعرف من قديم ∴ بانها قطعة بيت الرومي
بيعا صحيحا لازما شرعيا ∴ ثم شراء قاطعا مرعيا
بثمن مبلغه من فضه ∴ وازنة جيدة مبيضه
جارية للناس في المعامله ∴ الفان منها النصف الف كامله
قبضها البايع منه وافيه ∴ فعادت الذمة منه خاليه
وسلم الارض الى من اشترى ∴ فقبض القطعة منه وجرى
بينهما بالبدن التفرق ∴ طوعا فما لاحد تعلق

تم ضمان الدرك المشهور • فيه على بايعه المذكور •
واشهدا عليهما بذلك في • رابع عشر رمضان الاشرف •
من عام سبعمايه وعشرين • من بعد خمسة تليها الهجره •
والحمد لله وصلى ربي • على النبي واله والصحب •
يشهد بالمضمون من هذا عمر • بن المظفر المعري اذ حضر •
فلما فرغ الشيخ زين الدين رحمه الله وتامل الجماعة
سرعة بديهته مع استيعاب الشروط الشرعية •
اعترفوا بفضله واعتذروا اليه لما علموا انه ابن الوردي
واجلسوه في الصدر ولكنهم عجزوا عن رسم الشهادة
نظما وسالوه ذلك فكتب عن شخص منهم الى جانبه
يدعى ابن رسول ..

قد حضر العقد لذاك احمد • ابن رسول وبذاك يشهد •
تحفه من فوايد كتاب الانشا • قال عبد الحميد
لو كان الوحي ينزل على احد بعد الانبيا لنزل على •
كتاب الانشا وقال البلاغه هي ما رضيته الخاصه

وفهمته العامة ومن كلامه خير الكلام ما كان نخلا ومعناه بكرا •
اسمعيل بن صبيح كاتب الرشيد كتب الى يحيى بن خالد
في شكر ما تقدم من احسانك شاغل عن استبطا ما
تاخر منه جمع من الشكر والاستزاده بابلغ عباره
واوجز عمرو بن مسعده كاتب المامون كتب اليه
كتابي هذا واجناد امير المومنين على احسن ما تكون
عليه طاعة جند تاخرت ارزاقهم واختلت احوالهم
فقال المامون لاحمد بن يوسف لله در عمرو ما ابلغه
الا ترى الى ادماجه المسئلة في الاجناد واعفايه
من الاكثار .. ابراهيم الصولي كاتب المعتصم والواثق
والمتوكل كان يقول التصفح للكتاب ابصر بمواقع الخلل
من منشئه • وكان يقول الخبز ليومه والطبيخ
لساعته والنبيذ لسنته ومن بديع نثره ما كتبه
عن امير المومنين الى بعض الخارجين يتهددهم •
يتوعدهم اما بعد فان لامير المومنين اناة فان لم •

تغن عقب بعدها وعيد • فان لم تغن اغنت عزائمه •
والسلام • وهذا الكلام وجازته في غاية الابداع •
ويبشى منه بيت شعر وهو •
اناة فان لم تغن عقب بعدها • وعيدا فان لم يغن اغنت عزائمه •
وكان يقول ما اتكلت في مكاتبتي الا على ما يتخيله خاطري
ويحبس في صدري • الا قولي •
وصار ما تحوزهم يبرزهم • وما كان يعقلهم يعنقلهم •
وقول من اخرى • فانزلوه من معقل الى عقال • وبدلوه
اجالا من امال • فاني المت بقول اجالا من امال بقول
مسلم بن الوليد الانصاري المعروف بصريع الغواني •
موف على مهج في يوم ذي رهج • كانه اجل يسعى الى امل •
• وفي المعقل والعقال بقول ابي تمام •
فان باشر الاصحر فالبيض والقنا • قراه واحواض المنايا مناهله
وان يبن حيطانا عليه فانما • اولئك عقالاته لا معاقله
والا فاعلمه بانك ساخط • عليه فان الجهل لا شك قاتله

ومن رقيق شعره حين احضر لمناظرته احمد بن المدبر فقال ارتجالا
صد عني وصدق الاقوالا • واطاع الوشاة والعذالا •
اتراه يكون شهر صدود • وعلى وجهه رايت الهلالا •
فطرب المتوكل واهتز وخلع عليه ومن رقيق شعره ايضا قوله
دنت بأناس عن تناء زيارة • وشط بليلى عن دنو مزارها •
وان مقيمات بمنعرج اللوى • لاقرب من ليلى وهاتيك دارها •
الحسن بن وهب سئل عن مبيته فقال شربت البارحة
على عقد الثريا ونطاق الجوزا • فلما تنبه الصبح نمت
فلم استيقظ الا بلبسي قميص الصبح • بديع الزمان
الهمذاني الحمد لله الذي بيض القار • وسماه الوقار
وعسى الله ان يغسل الفواد • كما غسل السواد ومن
انشائه البديع • قد يوحش اللفظ وكله ود •
ويكره الشي وليس منه بد • هذه العرب تقول
لا ابا لك ولا يقصدون الذم • وويل امه لامر اذا هم •
وسبيل ذوي الالباب • في الدخول من هذا الباب •

ان ينظروا فى القول لما قابله فان كان وليًّا فهو الولاء
وان خشن • وان كان عدوًّا فهو البلاء وان حسن •
ومن انشاء ابى القاسم على بن الحسن المعروف بالمغربى •
وصلت الرقعة فاستخففت النسيم بالاضافة الى لطافتها
واستثقلت عقود اللؤلؤ بالقياس الى خفة موقعها
ومن بديع انشائه وغرقت فى هواجس الفكر •
ووساوس التذكر • حتى نسيتكم من شدة التذكر
اولقيتكم من حدة التصور • والله تعالى اسئل ان
يسقط بيننا فى تشاكى الم الفراق اسناد القلم
بمشافهة الفم للفم • ابو الحسن بن بسام من انشائه
عارض اذا همع استولشت البحار • ونجم اذا اطلع
تضاءلت الشموس والاقمار • وسابق لا يمسح وجهه
الا بصياد بالغموم • وصارم لا يجلى غمده الا بافراد النجوم
ضياء الدين بن الاثير الجزرى • ودولته هى الضاحكة
وان كان نسبها الى العباس • وهى خيرة وله اخرجت

للدهر ودعاياها خير امة اخرجت للناس • ولم
تجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلًا بانها لا تهرم
وانها لا تزال محبوة من ابكار السعادة بالوصل الذى لا يصرم
وله فى القلم فهو الملقب بالجواد المضمر • واذا
اخذت السوابق فى احضارها بلغ الغاية وما احضر
وله لون تحقق فيه القول النبوى • لو جمعت الخيل
فى صعيد لسبقها الاشقر • ومن انشاء القاضى تاج الدين
ابن الاثير • والمنجنيقات تفوق اليهم قسيها • وتخيل
لهم انها ساعية بحبالها اليهم وعصيها • وهى للحصون
من اكد الخصوم • واذا امتحنا حكم بانه ليس
بامام معصوم • ومتى امترى خلق فى الانا الفتوح
لم يكن فيها احد من الممترين • واذا انزلت بساحة
قوم فساء صباح المنذرين • يدعى الى الوغا فتكلم
وما اقيمت صلاة حرب عند حصن الا كان ذلك
الحصن ممن يسجد ويسلم • ولقد سهوت عن الصابى

وكان في هذا الفن امة • وهو ابو اسحق ابراهيم •
ابن هلال صاحب الرسايل المشهورة والنظم البديع
كان كاتب الانشا ببغداد عن الخليفة وعن معز الدولة
ابن بويه وكان متشددا في دينه واجتهد معز الدولة
ان يسلم فلم يفعل وكان يصوم شهر رمضان ويحفظ
القران العظيم احسن حفظه ويستعمله في رسايله
والصابي عند العرب من خرج عن دين قومه ••
للصابي ان الصاحب بن عباد قال ما بقي من اوطاري
واغراضي الا ان املك العراق واتصدر ببغداد
واستكتب الصابي ويكتب عني واغير عليه فقال
الصابي ويغير علي وان اصبت ومن انشايه ما
كتب به الى ابي الخير عن رقعة وصلت تتضمن انه
اهدى اليه حملا وصلت رقعتك ففضتها عن
بلاغة يعجز عنها عبد الحميد في بلاغته • وسحبان
في خطابته • وتصرف بين حد ما مضى من القدر •

وهزل ارق من نسيم السحر • الا ان الفعل قصر
عن القول • لانك ذكرت حملا جعلته بصفاتك
جملا وكان المعيدي ان يسمع لا ان تراه صغر عن الكبر •
وكبر عن القدم يعجب العاقل من حلول الحياة به
ومن تاتي الحركة فيه لانه عظم مجلد • قد طال للكلا
فقده • وبعد بالمرعى عهده • لم ير القت الا نايما
ولا عرف الشعير الا حالما • وقد كنت ملت الى
استبقائه لما تعرفه من محبتي التوفيق • ورغبتي في
التثمين • فلم اجد فيه مستمتعا لبقا • ولا مدفعا
لغنا • لانه ليس بانثى فتلد • ولا بفتى فينسل •
ولا بصحيح فيرعى • ولا بسليم فيبقى • فقلت اذبحه
ليكون وظيفة للعيال • واقيمه رطبا مقام قديد
الغزال • فانشدني وقد اضرمت النار ••
وحدت الشفار •• شعر ••
اعيذها نظرات منك صادقة • ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم •

ولست بذي لحم فاصلح للاكل لان الدهر قد اكل لحمي
ولا بذي جلد يصلح للدباغ لان الايام قد مزقت اديمي
ولا بذي صوف يصلح للغزل لان الحوادث قد حصت وبري
الا ان تطالبني بدخل وبيني وبينك دم فوجدته
صادقا في مقالته ناصحا في مشورته ولم اعلم
اي امريه اعجب امن مطالبته للدهر بالبقا ام
من صبره على الضر والبلا ام من قدرته عليه مع
عدم مثله ام هديته اياه للصديق مع خساسة
قدره ويا ليت شعري ما كنت مهديا لو اني رجل
من عرض الكتاب كابي علي وابي الخطاب ما كنت
مهديا الا كلبا اجربا او قردا احدبا والسلام
وله من رسالة هو اخفض قدرا ومكانة
واظهر عجزا ومهانة من ان يستقبل به قدم
في مطاولتنا او تطمئن له طلوع في منابذتنا
وهو في نشوزه عنا وطلبنا اياه كالضالة المنشودة

والظلامة المردوده وكان له عبد اسمه يمن وكان
يهواه وله فيه المعاني البديعة فمن ذلك قوله فيه
قد قال يمن وهو اسود للذي ببياضه استعلى علو الخاين
ما فخر وجهك بالبياض وهل ترا ان قد افدت به مزيد محاسن
ولو ان مني فيه خالا زانه ولو ان منه في خالا شانني
الصاحب بن عباد من بلاغته المخترعة انه قيل له
ما هو احسن السجع قال ما خف على السمع قيل مثل
ماذا قال مثل هذا وسأله ابن العميد عن بغداد
فقال بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد وله
جواب كتاب وصل كتاب مولاي فكانت فاتحته
احسن من كتاب الفتح وواسطته انفس من واسطة
العقد وخاتمته اشرف من خاتم الملك ومن
شعره يرثي كثير بن احمد الوزير شعر
يقولون قد اودى كثير بن احمد وذلك رزء في الانام جليل
فقلت دعوني والعلا نبكه معا فمثل كثير في الرجال قليل

القاضي الفاضل ابو علي عبد الرحيم علم المتقدمين
والمتاخرين وزير السلطان صلاح الدين بن ايوب
الملقب بالملك الناصر تمكن منه غاية التمكن
وبرز في صناعة الانشا على المتقدمين قال ابن
خلكان في تاريخه اخبرني احد الفضلاء الثقات
المتطلعين على حقيقة امره ان مسودات رسائله
اذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وهو مجيد في
اكثرها وذكر ابن خلكان في تاريخه ايضا ان العماد
الكاتب قال في الخريدة هو كالشريعة المحمدية التي
نسخت الشرائع وكانت ولادته خامس عشر جمادى الاخرة
سنة تسع وعشرين وخمسمائة بمدينة عسقلان
وولي ابوه القضا ببيسان فلهذا نسبوه اليها وقال
الفقيه عمارة اليمني في كتاب النكت العصرية
في اخبار الوزرا المصرية في ترجمة العادل بن
الصالح بن رزيك ومن ايامه الحسنة التي لا توارى

بل هي اليد البيضا التي لا تجارى خروج امره الى
والى الاسكندرية باحضار القاضي الفاضل الى
الباب واستخدامه بحضرته في الديوان فانه
عروس الدولة بل المملكة شجرة مباركة متزايدة النما
اصلها ثابت وفرعها في السماء وتوفي الفاضل في
ليلة الاربعا سابع ربيع الاول سنة ست وتسعين
وخمسمائة ودفن في تربة بسفح المقطم في القرافة
الصغرى قال ابن خلكان كان القاضي الفاضل
من محاسن الدنيا وهيهات ان تخلف الزمان مثله
فمن انشائه المرقص المطرب قوله وقد كان يقال
انا الذهب الابريز لا تدخل عليه افة وان يد الدهر
المخيلة به كافة وانتم يا بني ايوب ايديكم افة
نفايس الاموال كما ان سيوفكم افة نفايس الابطال
فلو ملكتم الدهر لا عطيتم لياليه اذ هي
وقلدتم ايامه صوارم ووهبتم شموسه واقماره

دنانير ودراهم • وايام دولتكم اعراس • وما ثمّ فيها
الا على الاموال ماتم • والجود في ايديكم خاتم •
ونفس حاتم • في نقش ذلك الخاتم • ومن انشائه
في كاحل • كانه غاسل يدخل الى انسان العين بحنوط
من كحله الملعون • ويدرجه في كفن من الخرقة السودا
التي يلبسها سواد العيون • ينقل العين الى بياض الثغور
ويسلبها سواد اللمى • وما برحت عصيه مردوده
ولديها عصا العمى • قد انتهى الى فوق ما يضرب
به المثل • اذا قيل يسرق الكحل من العين • فهذا
يسرق العين من الكحل • وهو لصّ من اكابر اللصوص
وسموا الكحّالين وهم صاغة لما يركبون فوق العيون
من الفصوص • قد اودع كحله حزن يعقوب •
فمن كحل منه ابيضت عيناه • ويجحد معجز القميص
اليوسفي فلو مرّوا به على ناظر انفرحت جفناه •
وهو من الذين اذا رفعوا اميالهم فانما هي لشموس

العيون مزوله • واذا اولج احدهم الميل في المكحلة •
فهو اولى بالرجم ممن اولج الميل في المكحلة • ومن
انشائه سقى الله ثراه • والجو يتنفس عن صدر مسجور
كصدر المهجور • والحر وصاليه في هذا الخوجار ومحرور •
والمهامه قد نشرت فيها ملاء السراب • وزخرفها بحر
ماءٍ ولد لغير رشده وعلى غير فراش السحاب • وجمر
الرمل قد منع حث الرمل • ونحن في اكثر من جموع
صفّين الا اننا نخاف وقعة الجمل • ووردنا ماء
هذه العيون وهو كالمحارب يغترف منه المجرم مثل
عمله • ويرسله سهما فلا يخطي ثغرة مقتله •
وهو مع هذا قليل • كانه مما جادت به الاماق •
في ساحات النفاق • لا في ساعات الفراق •
فيا لك من ماءٍ لا تتميز اوصافه من التراب •
ولا يرتفع به فرض التيمم كما لا يرتفع بالسراب •
ولا يبعد واما وصف به اهل الجحيم في قوله جل وعلا وان

يستغيثوا ايغاثوا بماءٍ كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب •
فنحن حوله كالعوايد حول المريض يعللون عليلا
لا يرد الجواب • بل يندبون ميّتاً قد حال بينه
وبينهم التراب • تجهز للدفن ونعشه المراد •
وتحفر عليه ليقوم من قبره وذلك خلاف المعتاد •
وفي غير من قد وارت الارض قاطع على انه لو
كان دمعاً لما بلّ الاجفان • ولو كان مالاً لما رفع
كفة الميزان ومن انشائه الى ان يرد كتب العسكر
واعلامها من مدّات الفاته • ورؤوس العدى
قطعات همزاته ومنه فبنت سنابك الخيل •
سماءً من العجاج نجومها الاسنّة • وطارت اليهم
عقبان الخيول قوادمها القوائم ومخالبها الاعنّة •
وتصوبت عيون السمر الى قلوبهم كانما تطلب سوادها
وقصدت انهار السيوف صدورهم لتروى اكبادها
ومنه وما احسب الاقلام جعلت ساجدة الا •

لان طرسه محراب • ولا انها سميت خرسا الا قبل
ان ينفث سيدنا في روعها رايح هذا الصواب •
ولا انها اضطجعت الا ليبعثها ما ينفخ فيها من روحه
من مرقدها • ولا اسودت رؤوسها الا لانها اعلام
عباسيّة نا ولنها الحمرة بيدها • لا جرم انها تحمى
الحما • وتسفك دما وتحقن دما • وتتشح بها يده
عنانا • وترسلها فتعلم الفرسان ان كان في الكتّاب
فرسانا • وتقوم الخطبا بما كتبت تعلم الالسنة ان
في الايدى كما في الافواه لسانا • قلت ومن مخترعاته
المخترعة قوله • وان ادعى سحر البيان انه يقضى اليسير
حقوقه • ويثمر ما يجب من شكر فروعه وعروقه •
لكنت افصح باطل سحره • واذيقه وبال امره • واصلب
الخواطر السحاره على جذوع الاقلام • واعقد السنتها
كما تعقد السحرة الالسنة عن الكلام • ومن انشائه
في وفا النيل المبارك عن الملك الناصر صلاح الدين

نوّر الله ضريحه • نعم الله سبحانه وتعالى من اضواها
بزوغا • واضفاها سبوغا • واصفاها ينبوعا •
واسناها منفوعا • وامدّها بخير مواهب • واضمنها
حسن عواقب • النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط
الامال ويقبضها مده وجزره • ويربى النبات
حجره • ويحيى مطلعه الحيوان • ويجنى ثمرات
الارض صنوان وغير صنوان • وينشر مطوى
حريرها وينشر مواتها • ويوضح معنى قوله عز وجل
وبارك فيها وقدر فيها اقواتها • وكان وفا النيل
المبارك تاريخ كذا فاسفر وجه الارض وان كانت
تنتقب • وامن يوم بشراه من خائف كان يترقب •
ورابنا الابانة عن لطائف الله التى حققت الظنون
ووفت بالرزق المضمون • ان فى ذلك لايات لقوم
يومنون • وقد اعلمناك لتوفى حقه من الاذاعه •
وتبعده من الاضاعه • وتتصرف على ما يصرفك من

الطاعه • وتشهرها ورده البشير من البشرى بابانته
وتمده بايصال رسمه مهنّاً على عادته • ورسم
لى فى الايام المويديه وانا منشى الديوان الشريف المويدى
سنة تسع عشرة وثمانمائة ان انشى رسالة بوفاء
النيل المبارك لم اسبق اليها ممن تقدمنى من المنشئين
بالديار المصريّه حتى ان المقر الاشرف المرحومى القاضوى
الناصرى محمّد بن البارزى الجهنى الشافعى سقى الله ثراه
قرا على المسامع الشريفه هذه الرسالة المسطّرة
ورسالة من انشاء الشيخ جمال الدين بن نباته •
وكان غرضه فى ذلك اختبار الالفاظ والمعانى من
الرسالتين • فانشات بعد المستعان بالله ونبذى
لعلمه الكريم ظهور آية النيل الذى عاملنا فيه
بالحسنى وزياده • واجراه لنا فى طرق الوفا على
اجمل عاده • وخلق اصابعه ليبز ولنا الابهام فاعلن
المسلمون بالشهاده • كسر بمسرى فامسى كل قلب

بهذا الكسر مجبورا • وابتعناه بنورود وما برح
هذا الاسم بالسعد المويدي مكسورا • دق
قفا السودان فالراية البيضا من كل قلع عليه •
وقبل ثغور الاسلام وارشفها ريقه الحلو فمالت
اعطاف غصونها اليه • وشبب خريره في الصعيد
بالقصب • ومد شبابيكه الذهبيه الى جزيرة
الذهب • فضرب الناصر به واتصل بامر دينار
وقلنا انه صبغ بقوه لما جاء وعليه ذلك الاحمرار
واطال الله عمره بزيادته فتردد في الاثار •
وعمته البركه فاجرى سواقي مكه الى ان غدت
جنة تجري من تحتها الانهار • وحضن مشتهى الروضة
في صدره وحنى عليها حنو المرضعات على الفطيم •
وارشفه على ظماء زلالا الذ من المدامة للنديم •
وراق مد بذبحره لما انتظمت عليه تلك الابيات
وسقى الارض سلافته الحمرية فخذ منه حلو النبات

وادخله الى جنات النخيل والاعناب • فالف النوى في الحب
فارضع جنين اللبنت واحيا له امهات العصف والاب
وصافحته كفوف الموز فختمها بخواتمه العقيقيه
ولبس الورد تشريفه وقال ارجوا ان تكون شوكتي
في ايامه قويه • ونسي الزهري بحلاوة لقائه مرارة
النوى • وهامت به مخدرات الاشجار فارخت
ضفا برفروعها عليه من شدة الهوى • واستوفى
النبات ما كان له في ذمة الري من الديون •
ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر
والليمون • وانجذب اليه الكباد وامتد •
ولكن قوى قوسه لما حظي منه بسهم لا يرد •
ولبس شربوش الاترج وترفع الى ان لبس بعده
التاج • وفتح منشور الارض لعلامته بسعة
الرزق وقد نفذ امره وراج • فتناول مقلم الشنبر
وعلم باقلامها ورسم لمحبوس كل سد بالافراج

وسرح بطايق السفن فخفقت اجنحتها بمخلوق بشاير
واشار باصابعه الى مقتل المحل فبادر الخصب الى
امتثال اوامره وحظى بالمعشوق وبلغ من كل
منية مناه فلا سكن على البحر الا تحرك ساكنه
بعد ما نفقته واتقن باب المياه ومد شفاه
امواجه الى تقبيل فم الخور وزاد بسرعة فاستحلى
المصريون ذاكره على الفور ونزل فى بركة الحبش
فدخل التكرور فى طاعته وحمل على الجهات البحريه
فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته
واظهر فى مسجد الخضر عين الحياة فاقر الله عينه
وصار اهل دمياط فى برزخ بين المالح وبينه
وطلب المالح رده بالصدر فطعن فى حلاوة شمائله
فما شعر الا وقد ركب عليه ونزل فى ساحله
وامست واوات دوآبر على وجنات الدهر عاطفه
وثقلت ارداف امواجه على خصور الجوارى فاضطربت

كالخائفه ومال شبق الخيل اليه فلثم ثغر طلعه
وقبل سالفه وامست سود الجوارى كالحسنات
فى حمرة وجناته وكلما زاد زاد الله فى حسناته
فلا فقير سد الا حصل له من فيض انعامه فتوح
ولا ميت خليج الا عاش به ودبت فيه الروح
ولكنه احمرت عينه على الناس بزيادة وترفع
فقال له المقياس عندى قبالة كل عين اصبع
فنشر اعلام قلوعه وحمل له على ذلك الجزيرة بمجره
ورام ان يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزمنا المؤيدى
وكسره وقد اشرنا المقر بهذه البشرى
التى عم فضلها برا وبحرا وحدثناه عن البحر ولا
حرج وشرحنا له حالا وصدرا ليأخذ حظه
من هذه البشارة البحرية بالزيادة الوافرة ويتنشق
من طيبها نشرا فقد حملت له من طيبات ذلك
النسيم انفاسا عاطره والله تبارك وتعالى

يوصل بشائرنا الشريفه بسمعه الكريم ليصير بها
في كل وقت مشنفا • ولا برح من نيلها المبارك
وانعامنا الشريف على كلا الحالين في وفا **قلت** •
تقدم قولي ان الشي بالشي يذكر • وقد ذكرت
بوصف النيل المبارك هنا رسالتي البحرية التي
كتبت بها الى علامة عصرنا هذا الشيخ بدر الدين
ابن الدماميني فسح الله تعالى في اجله من القاهرة
المحروسة الى ثغر الاسكندرية المحروس عند
دخولي اليها من ثغر طرابلس الشام • وقد عضت
على انياب الحرب بثغرها • شاببا من اهوال برها
ونحرها • وذلك في منتصف ربيع الاخر سنة
اثنين وثمانمائه وهي يقبل الارض التي سقى دوحها
بنزول الغيث فاثمر الفواكه البدريه • وطلع
بدر كمالها من المغرب فسلمنا لمعجزاتها المحمديه •
وجرى لسان البلاغة في ثغرها فسما على العقد نظ

المستجاد • وانشد وقد ابتسم عن محاسنه التي لم
تخلق مثلها في البلاد • **شعر** •
لقد حسنت بك الايام حتى • كانك في فم الدهر ابتسام •
فاكرم به مورد فضل ما برح منهله العذب كثير الزحام •
ومدينة علم تشرفت بالجناب المحمدي فعلى ساكنها
افضل الصلاة والسلم • ومجلس حكم ما ثبت لمدعى
الباطل حجه • وعرفات ادب ان وقفت بها وقفة
كنت على الحقيقة ابن حجه • وافق معال بالغ في
سمو بدره فلم يقنع بما دونا النجوم • وميدان
عربية تجول به فرسان الفصاحة من بني مخزوم
وتالله ما الفرسان الشقرا والابلق في هذا الميدان
مجال • واذا اعترفوا بما حصل للفارس المخزومي
عندهم من الفتح كفى الله المومنين القتال • وتهنى
بعد ادعيه ما برح الملوك منتصبا لرفعها • وثغر
لا ثنية ما لسجع المطوق في الاوراق البنانية حلاوة

سجعها • واشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك فی
مصر بالاثار مفرد ∴
وابرح ما يكون الشوق يوما • اذا دنت الديار من الديار •
وصول المملوك الی مصر محتميا بكنانتها وهو بسهام
البين مصاب • مذعورا لما شاهده من المصارع عند
مقاتل الفرسان فی منازل الاحباب • متكلما من
ثغر طرابلس الشام بالسنة الرماح محمولا علی
جناح غراب • وقد حكم عليه البين ان لا يبرح من سفره علی جناح
وكان فی البين ما كفانی • فكيف بالبين والغراب
يا مولانا لقد قرعت سن هذا الثغر باصابع السهام
وقلع منه ضرس الامن ولم يبق له بعد ما شعر
به البين نظام • وكشرت الحرب فی ثناياه عن
انياب • واقلعنا منه مع انهم لم يتركوا النافيه
ثنية ولا ناب • وامست شهب الرماح قافية
علی اثارنا والسابق منا الجواد • ولزمت

الروی من دمائنا لئلا يظهر لقافيتها عند نظم الحرب
سناد • وفسد انسجام تلك الابيات المنظومة
علی ذلك البحر المديد • وبدلت جنتها بنار الحرب
التی كم نقول هل امتلات وتقول هل من مزيد
ونفذ حكم القضا وكم جرح خصم السيف فی ذلك
اليوم شهودا • واتصل الحكم بقاضی القضاه فلم
يسلم منهم الا من كان مسعودا • ووقع غالبنا
فی القبض من عروض حربهم الطويل • وتبدلت
محاسن طرابلس الشام بالوحشة فلم يفارقها
علی وجه جميل • وتالله لم يدخلها المملوك فی هذه
الواقعة الا مكرها لا بطل • وكم قلت لسارية العزم
لما كشف لی عن ضيق سهلها يا سارية الجبل • ولم
يطلق المملوك عروس حمايته الا جبرا اظهروا به كسرة
والعلوم الكريمة محيطة كيف يكون طلاق المكره يا مولانا
ادى حماة الشام من ايمن الشط • وحقك نطوی شقة الهم بالبسط •

بلاد اذا ما ذقت كوثر مائها • اهيم كاني قد نهلت ما سقط
ومن تجتهد في ان بالارض بقعة • تشاكلها قل انت مجتهد مخطي
وصوب حديثي ما بها وهواتها • فان احاديث الصحيحين ما تخطي
بمعصمها انهار ملوي سوارها • فما الشام بالخلخال ومصر بالقرط
تنظم بالشطين در ثمارها • عقودا لها العاصي رايناه كالسمط
وترخي علينا للغصون ذوائبا • يسرحها كف النسيم بلا مشط
وقد مد ذاك النهر سافا مدملجا • وراح بنفس البدن يمشي على بسط
لوينا خلاخيل النواعير فالتوت • وابدت لنا دورا على ساقه السبط
سقى سفحها ان قل دمعي سحابة • مطنبة بالدمع منهلة النقط
وما اسطر النبت التي قد تسلسلت • بصفحتها لا زلت واضحة الخط
ولا زال ذاك الخط بالطل معجما • ومن شكل انواع الازاهر في ضبط
لويت عناني في حماها عن اللوا • وهمت بها لا بالمحصب والسقط
ولله عناق الفقر لي بفنائها • وفي غيرها لم ارض بالملك والرهط
منازل احبابي ومنبت شعبتي • واوطان اوطاري بها وزمى سخطي
نعمت بها دهرا ولكن سلبته • برغمي وهذا الدهر يسلب يعطي

وقد جاء شرط البين اني اغيب عن • حماها الفدا دمي فؤادي بالشرط
وحط على الدهر عمدا وشالني • الى غيرها صبرا على الشيل والحط
وسبحة جمع الشمل كانت لنا بها • منظمة لكن قضى الدهر بالفرط
امثل شوقا شكلها في ضمائري • فتتبع عيني ذلك الشكل بالنقط
وقد صار يمشي الهم نحوي بسرعة • فيا ليته لو كان في مشيه يبطي
واصبح نظمي راجعا بي الى ورا • كاني في الديوان اكتب بالقبط

يا مولانا وابثك ما لقيت من اهوال هذا البحر واحدث عنه ولا حرج • فكم وقع المملوك من اعاريضه في زحاف تقطع منه القلب لما دخل الى دوائر اللجج وشاهدت منه سلطانا جائرا ياكل كل سفينة غصبا • ونظرت الى الجواري الحسان وقد رمت ازر قلوعها وهي بين يديه لشلة رجالها تسبا • فتحققت ان راي من جاء يسعى في الفلك جالسا غير صائب • واستصوبت هنا راي من جاء يمشي وهو راكب • وزاد الظما بالمملوك وقد اتخذ في البحر

سبيله • وكم قلت من شدة الظما، يا ترى قبل الحفرة
هل اطوى من البحر هذه الشقه الطويله ۞
وهل اباكر بحر النيل منشرحا • واشرب الحلو من اكواب ملاح •
بحر تلاطمت علينا امواجه حين مننا من الخوف وحملنا
على نعش الغراب • وقامت واوات دوائره مقام مع
فصبحتنا للغرق لما استوت المياه والاخشاب •
وقارنا العبد فيه سودا اشرقت موالينا وهي جاريه
وغشيهم منا ما غشيهم فهل اتاك حديث الغاشيه
واقها الحرب فحملت بنا ودخلت الما فجاها المخاض
وانشق قلبها لفقد رجالها وجرى ما جرى على ذلك
القلب وفاض • وتوشحت بالسواد في هذا الماتم •
وسارت على البحر وهي مثل • وكم سمع للمغاربة
على ذلك التوشيح زجل • برج تاتي ولكن تعرب في
رفعها وخفضها عن النسر والحوت • وتتشامخ كالجبال
وهي خشب مسندة من بطنها عدمن المصبر بن نابت •

تاتي بالطباق ولكن بالمقلوب لان صغيرها كبير
وبياضها سواد • وتمشي على الما، وتطير مع الهوا
وصلاحها عين الفساد • ان نفر الموج على دفوفها
لعبت انامل قلوعها بالعود • وترقصنا على النها
الحد بانغام قيامنا من هذا الرقص الخادج ونحن
قعود • نتشامم وهي كما قيل انف في السما واست
في الما • وكم نطيل الشكوى الى قامة صاريها عند الميل
وهي الصعدة الصما • فيها الهدى وليس لها عقل
ولا دين • وتتصابى اذا هبت الصبا وهي ابنة
مائة وثمانين • وتتوقف احوال القوم وهي تجري
بهم في موج كالجبال • وندعي براة الذمة وكم
استغرقت لهم من اموال • هذا وكم ضعف
نحيل خصرها عن تثاقل اردافها الامواج • وكم
وجلت القلوب لما صار لاهداب مجاديفها من
البحر اختلاج • وكم اسبلت على وجنته طرة

قلعها فبالغ الريح فى تشويشها • وكم مرّ على قريتها
العامرة فتركها وهى خاوية على عروشها • تتعاظم
فتهزك الى ان ترى ضلوعها من السقم تُعَدّ ولقد
رايناها بعد ذلك قد تبّت وهى حمّالة الحطب فى
جيدها حبل من مسد • وخلص المملوك من كدر
المالح الى النيل المبارك فوجده من اهل الصفا
واخوان الوفا • وتنصل من ذلك العد والازرق
ذى الباطن الكدر وجمع من عذوبة النيل وقطان
شطوطه بين عين الحياة والخضر • وتلا لسان
الحال على المملوك ادخلوا مصر ان شا الله امنين
وقضى الامر وقيل بعدا للقوم الظالمين • وبعد
فان المملوك يسئل الاقاله • من عثرات هذه الرساله
فقد علم الله انها صدرت من فكر تركه البين مشتتا
والاعضا عن كثرة بردها فقد خرجت من البحر عارية
فى فصل الشتا • وليستر عوراتها بستنا برا

وينظر اليها من الرحمة بعين • وليكن ضربها بسيف
النقد صفحا فقد كفى ما جرحت بسيوف البين •
وتالله لم يسلك المملوك هذه الجاده الا ليجد له
سبيلا الى فضله من عذب تلك الموارد • ويعود
الضعيف التى قطعت صلاته من صفا هذا المشرب
عايد • ويصير العبد مسعودا اذا عد للابواب العالية
من جملة الخدام • وتحصل لكبده الحرا من ذلك النسيم
العزى برد وسلام • والله تعالى يمن بقرب المثول
بين يديه ليحصل للمملوك بعد التخلص من البين حسن
الختام • القاضى السعيد هبة الله بن سنا الملك
وان الشوق بحرا وقلبه والله الغريق بامواجه •
وجمرا وصدره المظلم بسراجه • ومن انشائه
فالاسلام من طلقاته • والكفر مجاهد ولكن بانقايه
وسيوفه تحسن فى الاجسام البسط • وفى الارواح
القبض • ورماحه تكاد لطولها تمسك السماء ان

نقع على الارض • ومن انشآئه وكيف لا تحمد المملول
تلك الاشواق وهي تقربه من المولى بالتخييل اذ
ابعدته الايام • وتمثل المقام الكريم فيقابله كل
ساعة بالسجود ويشافهه بالسلام • ويرفع ناظره
فلولا نظره اليه لكانت عينه مطرقة • وستور
اهدابه مسبله وابواب جفونه مغلقه ؞
ولولا اشتغالها بمطالعة طلعته لا لتهب من دموعها
بمياه محرقه • فهو منها في نار وجنه • مغلول بغله
مطلوق بمنه • ومن انشائه ولقد انساه فراق
مولاه حروف المعجم فما يعرف منها حرفا • وعاقب
خاطره الذي كفر بالبلادة فاسقط عليه من سمائها
كسفا • شوق ما خطر مثله على قلب بشر ؞
ودمع ما مر على بصر الا ومر بالبصر • ولسان
لا ينفك من الدعا على يوم الفراق ومن دعى على
ظالمه فقد انتصر • القاضي محيي الدين بن عبد الله

244

خليفة القاضي الفاضل من انشآئه نعلمه بفتوحات
استطعم الايمان حلاوتها من اطراف المران • واستنطق
الاسلام عبارتها من السنة الخرصان • وذلك
بفتح حصن الاكراد الذي كان في حلق البلاد
الشامية غصة لم تسع بمياه السيوف المجرده
وشجا في صدورها لم تقاومه ادوية الغزاة المفرده
ومن انشائه بابطال الحشيش بعد الخمر نعلمه ان
المنكرات امرنا ان تملا الصحائف باجرها ونفرغ
الصحاف • وان لا يخلوا بيت من بيوتها من كسر
او زحاف • وقد بلغنا الان انها اختصرت ؞
ان كلمة الشيطان بالتعويض عنها قد نصرت
وان ام الخبائث ما عقمت • والجماعة التي كانت
ترضع ثدي الكاس عن ثديها ما فطمت ؞
وانها في النشاة ما خيب ابليس مسعاها • وانها
لما اخرج المنع عنها ما هنا من الخمر اخرج لها من

الحشيش مرعاها • وانها استراحت من الخمار ∴
واستغنت بما تشتريه بدراهم عما كانت تبتاعه
من الخمر بدينار • وان ذلك فشى في كثير من الناس
وعرف في عيونهم ما يعرف من الاحمرار في الكا[illegible]
وصاروا كانهم خشب مسندة سكرا • واذا مشو
يتقدمون لفساد ادهانهم رجلاً ويوخرون اخرى
ونحن نامر بان تجتث اصولها وتقتلع • ويودب
غارسها حتى تحصل الندامة مما زرع • وتطهر منه
المساجد والجوامع • ويشتهر مستعملها في المحافل
والمجامع • حتى تنتبه العيون من هذا الوسن ∴
وحتى لا يشتهى بعدها خضرا ولا خضرا الدمن •
ومن انشايه من مثال شريف الى الفرنج وقد اخذت
شواني السلطان وفرق بين من تصيد بالصقور
من الخيل العراب • وبين من ذا افتخر قال تصيدت
بغراب • فلئن اخذتم لنا قرية مكسوره فكرا

لكم قرية معموره • وقد قال الملك فقلنا وعلم الله ان
قولنا هو الصحيح • واتكل واتكلنا واين من اتكل على
الله عز وجل ممن اتكل على الريح • ومن انشاء الصدر
عز الدين بن اسينا في بشاره بكسر عساكر الفرنج
عن الملك الصالح نجم الدين ايوب سنة اثنين
واربعين وستمايه • فلا روضة الا درع • ولا
جدول الا حسام • ولا غمامة الا نقع • ولا وبل الا
سهام • ولا مدامة الا دم • ولا نغم الا صهيل •
ولا معربدا الا قاتل • ولا سكران الا قتيل • حتى
ابنت كافور الزمان شقيقا • واستحال بلور الحبا
عقيقا • وازدحمت الجنايب في الفضا • فجعلته
مضيقا • وضرب النقع في السما طريقا ∴
وضاقت الارض حتى كان هاربهم • اذا راى غير شي ظنه رجلا •
قلت ذكرت بهذا التلاعب المطرب من انشاء الصدر
عز الدين بن اسينا تلاعب القاضي محيي الدين بن

عبد الظاهر في شفاعة ما نسج على منوالها • وهي ادام
الله نعمة مولانا ولا زال علم علمه مرفوعا ابدا •
ونيل مجده منصوبا بخفض العدا • ولا برحت اقلامه
لافعال الشك جازمه ولا عداه متعديه •
ولا اراه لازمه • اما بعد فان فلانا حضر وادعى
انه رخم في غير الندا • وجزم والجزم لا يدخل في الاسما
واستثني من غير موجب فخفض والخفض من ادوات
الاستثنا • وذكر ان العامل الذي دخل عليه منعه
من الصرف ولزمه لزوم البنا • واجتمع معه في
الشرط وافرده بالجزا • والماثور من مكارم مولانا
نصب محله على المدح لا على الاغرا • ورفع اسمه
المعرى من العوامل على الابتدا • ففيه من التمييز
والظرف • ما يوجب العطف • ومن المعرفه والعدل
ما يمنعه من الصرف • لا زال مولانا بابا للعطف
والصله • وماثر مكارمه متصلة لا منفصله •

قلت قد انتهت الغاية هنا الى المحلى بالقطر النباتي
وقد عن لي انا ان ورد له هنا حظيرة الانس الى
حضرة القدس فانها من بديع انشائه وهي في رحلته
الى القدس الشريف مع الصاحب امين الدين وهي
الحمد لله حافظ سر الملك بامينه • وحامي حماه بمن
قسم الشكر والاجر بين دنياه ودينه • ومن اذا
رفعت راية مجد تلقاها عرابة براعته بيمينه
واذا امتدت اليه اجياد الممالك حلاها من عقد
التدبير بثمينه • واذا نوى في السيادة فعلا
امضاه العزم السني قبل دخول سينه • واذا
حمل بنانه القلم روينا عن ابن بحر كاتب بيانه في
الفضل وتبيينه • فصلى الله على سيدنا محمد الذي
ايد بالروح الامين • وعضد بوزراء اله وصحبه
الغر الميامين • وسلم عليه وعليهم سلاما باقيا
الى يوم الدين • اما بعد فان الله سبحانه وتعالى

لما يريد من صلاح عباده • وانتظام هذا العالم
الارضى فى سلك سداده • وتمام امر هذا السواد
الاعظم بمدبرة تمام لحظ الطرس بسواده جعل
لكل دولة قائمة وزيرا قائما بتدبيرها • مفرّعا
غصن القلم بتثميرها • منفّذا امر سلطانها •
ومبلغا احكام عدلها واحسانها • ويثنى ممالكها
على الاسل من اقلامه • وتحوط اطرافها احاطة الزهر
بكمامه • ويشحنها باوصاف وزيريّة يعقد عليها
العدل خنصره وينضح به وجه الاستحقاق من
ابهامه • وكان صاحب هذه الدولة التى خضعت
لها الدول • وفاضل امرها الجلل • وراسخ دوحها
الذى ما مال مع الهوى • وقديم صحابتها الذى
تلا تسديده ما ضلّ صاحبكم وما غوى • وضابط
امورها الذى طال ما استشرفت اليه اسماع
وابصار • وانتصرت مهمّاتها بقديم هجرته فلا

غرو ان صار من مهاجريها وانصار • المقر الاشرف
الصاحبى الوزيرى الامينى اعلا الله تعالى شانه ابدا
ودفع على فرق الفرقد مكانه • وزان باقلامه اقاليم
مصر فهذه سهام وهذه كنانه • ممن استدعته
دواة المحافل • وتردّد فى المناصب العليه تردّد
الاقمار فى المنازل • وجمع الاوصاف الوزيريه
جمع ابى جاد للحروف • وتنبّه قلمه ونامت ملأ
اجفانها السيوف • وعرف بالسيّادة والزهد
فعلى كلا الحالين هو السرىّ وقدره معروف •
وكنت اودّ لو نقلت الشهادة بصفاته عن الخبر الى
المعاينه • وجمعت بملازمة مقره الشريف لظاهر
الوصف باطنه • ورويت الاخبار عن لسنه •
وجنيت الورد من غصنه بل التبر من معدنه •
هذا واشغاله بتدبير الدول شاغله • وايام
البعد عند فراغه بينى وبين القصد حائله •

فلما عزم بدمشق المحروسه سنة خمس وثلثين على
زيارة القدس الشريف اطلع رايه الشريف على ما في
خاطري وامرني بالمسير في ظل ركابه فسر على الحقيقه
ساري • وكاشف ولا ينكر الكشف لمن كثرت زواياه
في البلاد • ونظر لحالي ولا ينكر النظر في الاحوال •
لسيد الوزرا والزهاد • وكان له في استصحابي
مقصد تقبل الله عمله الصالح • ومتجره الرابح
وذلك اني كنت لابسا ثياب الحزن على ولدي •
مقيما بين المقابر اقامة نفث جنة قلبي على قطعة
كبدي • ساقيا روض الحزن بغمايم الجفون •
باكيا على دينار وجه عاجلته الايام بصرف المنون •
اطلب قلبي في التراب وانشده • واطارح صوت
الصدا فينشدني وانشده •• شعر ••

بالهف قلبي على عبد الرحيم ويا • شوقي اليه ويا شجوي ويا دائي
في شهر كانون وافاه الحمام لقد • احرقت بالنار يا كانون احشائي

اما الشمل قد وهي سلكه • وكان ذا در بعبد الرحيم •
فليتني لاقيته عند الردا • وعاد ذاك الدر درا يتيم •

فاقتضى تدقيق النظر الصاحبي في اسدا العوارف
وابدا عواطف الفضل وفضل العواطف • ان
ينزع عني بصحبة ركابه الكريم لباس الباس •
ويشغلني بمشاهدة الانس القابل الا هكذا
فليصنع الناس مع الناس • وينهضني بالانعام
من حوادث الزمن • ويقرب مثلي قربا لا يفطن •
لمثله الامن ومن • فيالها سفرة قابلها وجه
الاقبال بالسفور • ونلنا فضلها الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور • ومد فيها الانعام
على ظلا ظليلا • وملا بيتي وعيني دقيقا وجليلا •
وامرني ان اصف له المنازل والطرق وصفا كقصده
الجميل جميلا • فسرنا وايدي السعد قد ذللت
الطرق بل اعزتها • وقدمت وعود الامال بل انجزتها

والارض قد شرعت في لباس حليها وحللها ومراعي
الربيع قد وعدت حتى الشمس بتسمين حملها
والشتاء قد آن بقوض الخيام والافق قد شمر
للانصراف ذيل الغمام ومبدا الروض احق بقول
ابي الطيب لقد حسنت بك الايام حتى كانك في فم الدهر ابتسام
فاتينا الكسوة فلبسنا منها للمسرة ثيابا سابغة
الذيول وطفنا منها بكعبة الفضل طوافا واضح
الاقبال والقبول وقلنا للمقاصد تباشري
بالحظوة ولعيون الامال تاملي ما احسن الكعبة
في الكسوة ومررنا بغباغب والخيل تجمر جمرا
وجزنا بالصمين فهممت ان تنحر بمواطي خيلنا على
اللات والعزى وصعدنا منزلة راس الماء
فكاد الطرب يهز على الحقيقة هزا ورأينا بينها
وبين منزلة المغير ارضا قد اخضر جنابها وطرزت
بآثار الطرف ثيابها فامرت بالقول فقلت

سقى الله ارضا ظرفها مثل طرزها وسائرها برد من الوشي اخضر
تذكرنا احبابي بمثوى بريدها فعيني براس الماء وجسمي المغير
ووافينا الحصين وقد راغت الخيل وغازابيه
وتلقتنا بالبشر والبشرى وجوه اهليه وسئلونا
ان نريح عندهم الركاب من الاين وجعلوا
بالضيافة على الفتوح ولا ينكر تعجيل الفتوح
للحصين ووجدنا هناك فقيرا مغربيا حسن
التلاوة قد عجز عن المسير وارتد طرف قصده
عن القصد خاسئا وهو حسير فامرت له
الصدقات الصاحبية بمركوب ونفقة تعينه في
السفر والاقامه والحقه في ذلك عجمي ينشد لسان
حاله بي مثل ما بك يا حمامه فلم ار صدقات
تجود من الزاد والراحله بالغيث والبرق ولا
مثله متصدقا يجلس لحظة واحده فيركض نداه
في الغرب والشرق وعجنا بعجلون نحشر الناس

لرويتنا ضحى • وجا اهل المدينة يستبشرون فرحا
وارتفعت الاصوات بالادعية الوافيه •
واردنا ان نكتم دخولنا البلد وكيف نكتمنا
وهي ذات عين صافيه • ثم نزلنا بالخيام في
مرجها الخضرا • تحت قلعتها الغرا • وهي في
معارج السحب صاعده • سائرة في الجو كانها في
السحر على عمود الصبح قاعده • مضيه بين عقود
الانجم كانها درتها اليتيمه جالسة على سرير الحل
تنادم الفرقدين كانها جذيمه • فنظر في المصالح
وميزت يد العدل بين الصالح والطالح • وعجل
من عجلون المسير فلم ينظر الغادي الذي هو رائح
واشرفنا على بركات القصد المنجيه • واقتحمنا
الى الغور عقبة سهلها السعد فلم تقل ما ادراك
ما العقبه • واستفتحنا المزارب التي نوبنا قصدها
وطوينا غورها وجدناها بمشهد صاحب رسول

الله صلى الله عليه وسلم وهو ابو عبيدة بن الجراح رضي
الله عنه فترامينا اليه بالعزم الفاخر • وزرنا امين
هذه الامة الاول امينها الاخر • واجرى امر مشهده
على سنن الصلاح • ونظر في مرتبه بعين العدل
واغاثه بيد السماح • وجعل والي الناحية عبيده
وما جعل لشهادة المعروف من جراح • وسلكنا جانب
الغور المطور فما عجبنا ديارا ورووا • وكنا نظن الماء
فيه غورا فوجدنا الغور ما • وخضنا في حديثه
وخاضت الخيل • وتركنا عقباته كالمعلقة وملنا
الى السهل كل الميل • وتلقينا كل ذي قصد ببشر
الصباح ولم نقل اهلك والليل • وما زلنا كذلك
لا نمر بواد الا اثنت مع الابتهال بطول العمر
رماله واراماله • ولا بناد الا قامت للدعا رجاله
واطفاله وحلاله • ولا بولاية الا ارتج عزرها
ولا ببلدة الا زهى على التي بين المساكين قدرها

ولاماش الاحمله المعروف • ولا عابر سبيل الا انسه
من النعماء صنوف • ولا جايز الا شملته جايزه •
ولا منقطع بمفازة الا وعقباه فاين • ولا طيبه من
طيبات دمشق الا والمكارم توالها وتوالبها • ونوجد بها
في القفار كما توجدها اولياء الله فيها • الى ان قدمنا
القدس الشريف نحن والغمام • وسبقنا اليها طره الصبح
تحت اذيال الظلام وخف بنا جناح الشوق والسوق
حين دنت الخيام من الخيام • والقينا بباب حرمه
عصى السفر • والقت هناك رحالها ركايب المطر •
وزرنا باب الرحمة من الارض • وزرنا باب الرحمة
من السما • وصرنا من الصالحين عند زيارة الاقصى
فمشينا على الما وجدنا الاوطان والاوطار ••
واستمرت السحب حتى عادة الصخرة كحجر موسى تتفجر •
منها الانهار • واقمنا في بيوت اذن الله ان يرفع
شانها • ويسبح فيها بالغدو والاصال سكانها •

وكان معنا شخص يلقب بالخلد سكن بيننا حسنا •
وغمض عينه على الرفاق تغميضا في الخلد بيننا •
فقال مولانا الصاحب ما تقول في بيته فقلت ما
اقول في جنة الخلد وشكى قوم عشرة هذا الرجل
فكتبت على ورقتهم اصبروا على ما تثقلون • وذوقوا
عذاب الخلد بما كنتم تعملون • ثم دخل الناس
على الابواب الصاحبية افواجا • وما ترك احد منهم
منها جا ذا ناحية الا منها جا • ومكثنا في البيوت
الى ان صحى الافق من مدامة غمامه • وحسر عن وجهه
للابصار فضل لثامه • وقمنا البقية المشاهد قاصدين
ولتلك المباني المعظمة شاهدين ومشاهدين •
فعاودنا الصخرة بقلوب قد لانت • ونثرنا على مواطى
القدم دموعا عزت بلمسها ولا نقول هانت •
ونظرنا اثارا قديمة تدهل عيون النظاره • واثارا
متجددة في هذه الدولة القاهرة تقصر عنها العباره

ومحاسن تقف في طريق الزياره • متاملها ووقفه في
الطريق يضعف الزياره • فمنها ما هو مخصوص بالحرم
الشريف تستلم كالحجاج اركانه ونقلب وجوهنا
في سماء سقف يكاد يمطر علينا لجينه وعقيانه
ونشاهد رخاما بلغ في الحسن والمحل الاقصى في
الاقصى • ونمت به في بهجة المكان زيادة تخالف
قول النحاة ان في الترخيم نقصا • فاما المياه التي
تجري في الحرم على راسها • وتطوف على مواضع المنافع
بنفسها • فتلك نعمة مقيمة يكافي الله عنها في دار
المقامه • وحسنة في المعنى والصورة جارية الى
يوم القيمه • ومن المباني المذكوره ما هو خصيص
بمولانا ملك الامرا اعز الله تعالى انصاره ∴
وابقاه سيفا يقف كل ذي قدر عند حده • فلا
يتجاوز مقداره • من مدرسه علم يدرس و لا
يدرس معهده • ودار حديث يروى فيروى الاسماع

الظامية مورده • وخانقاة تضي عليها انوار البركات
الكوامل • ورباط ومكتب هما كما قيل ∴
ثمال اليتامى عصمة للارامل • وقلت فيهما
بنيت رباطا للنساء ومكتبا • يدر على الايتام سحب الفواضل •
فلله من هذا وذاك كما ترى • ثمال اليتامى عصمة للارامل •
فجنينا من تلك المحاسن بساتين دانية القطوف •
ولحظنا من الظلال السيفية جنة نشات وكذلك
الجنة تحت ظلال السيوف • وشرعت صدقات
السر والجهر • وقوبل السوال ببحر لا تسمع عنده
نهر • وغص بفقرائهم المكان والطريق • وجاوا
رجالا ونساء وعلى كل ضامر من العصي ياتين من كل
فج عميق • فوضع في مواضعه النوال • وقدرت
الكساوي حتى على المستورات والاطفال ∴
هذا وكم ثياب صوف اعرض اشراقها عن مقال
اللاحين • واتخذ الفقراء والاغنياء من اصوافها اثاثا

ومتاعا الى حين • وجآت الدراهم بعد التفاصيل •
بالجمل • وقال جودها الحاتم هذى التى لا نافقه لك منها ولا جمل

ومما قلت فى ذلك

لله كم حال امرءٍ مقتر • قضيت فى القدس بتنفيسه
ودرهم ولّى ولكنه • قد اخذ الاجر على كيسه •
ثم تليت الختمات التى شرفا الله تعالى ذكرها
ومواعيد التفاسير والرقائق التى اجرتنا الاوقاف
الصّاحبيّة اجرها • وشرع فى بنا الرواق على سطح
الزاوية الصّاحبيّة بباب الحرم الشريف
واخذ رقم الرخام فى التوشيع والتفويف
فيا لها الواحا كتب فيها من الحسن كل شئ • واطرد
مآء رونقها فكان العين منها فى مآء وفى • وباله
دواقا شاق وضعه وراق • ورفع محله فقال
لسان المتصوف حبّذا رفاعى الرواق • ثم رتب للشيخ
والفقرا ما يحتاجون اليه من كل نوع فريد • واصبح

كل احد وهو فى النزول عند ذلك الشيخ مزيد •
وبرزنا فى اليوم السابع من الاقامة وقد قدمنا
نقصد الخليل صلوات الله عليه النيّة الجليّه •
وطربنا لتلك المنازل وكيف لا نطرب لها وهى
الخليليه • وزرنا قبر يونس عليه السلم فى طريقنا
ورفعنا الانواره الجفون • وتملى عند الزياره ذو العين
بذى النون • ثم نزلنا من محل الخليل على محل القرى
وحمدنا عند صباح ذلك الوجه السرى
واستقبلنا بمقام ابراهيم امامنا • واستلمنا من
ضريح شآد الركن ومن ضرآح اهله اركانا •
واكلنا من شهى عدسه لونا • ووجدنا من الهنا
الوانا • وقلنا لانفاس الشوق كونى بردًا وسلامًا
على ابراهيم • ووردنا مورد اللقا فشفى ظماء
وابراهيم • وفرقت الهبات • وتليت الختمات •
وجرت المواعيد على عوآيدها المحكمات فقلت

قصدنا خليل الله في ظل صاحب • جلي العلا والمكرمات جليل •
فهذا لدنيانا وهذا لديننا • فيا حبذا من صاحب وخليل •
وسرنا في ظل الصاحب من الخليل فكادت دمشق •
تمد ايدي اغصانها المجاذبة ركابه • ومصر تتضرع
باصابع نيلها طمعاً في اقترابه • وترفع ثدي هرمها
داعية الى الله عز وجل بعوده اليها وايابه •
وهم شباك الوزارة ان يتلقى صاحب فتحه •
وصدر الخزاين ان يعانق ما اعتاده من راي •
لتمييزه ومنحه • فانه ما جلس فيه ابهر وابهى
من الطلعة الاميبنيه باجماع الاملين المتاملين ميز
والخزاين التي كم قال لها تدبيره اني حفيظ عليم •
فقال الملك وانك لدينا مكين امين • ثم عطفنا
الافدار الى جهة الرملة وجاءت الوفود كالرمل •
وخفت اكياس دراهم الصلات وثقلت اكياس
دراهم الحمل واقمنا ثلثه ايام لكاد ننشد ••

خرجنا على ان المقام ثلثه • فطاب لنا حتى اقمنا بها عشرا
ورايا مسجدا يعرف بالركني قد غير الزمان محاسنه
الانيقه • وهدم الخراب والموت ركنيه على الحقيقه
فامر مولانا الصاحب بعمارة ما منه دثر • ولحظت
الاراء حجارته المنقضة فتبين ان السعادة تلحظ
الحجر • ولقد صنع في هذه المنزلة من المعروف
ما لا صنع ذو الدهر الطويل مثله • وبنى من المكرمات
ما ثبت ولولا ابداع سعادته لما ثبت البنا فوق
الرمله • ورحلنا عن لد بنية الزيارة لمشهد
زكريا ويحيى عليهما السلام • فمررنا في طريقنا
بجملة خير معترضه • وبنية في وجه القبول مبيضه
تحتوي على قبر يامين اخي يوسف عليهما السلام •
فالحقناه بالزيارة باخيه • وتوكلنا على الله في القبول
توكل ابيه • وتيمّنا بيامين • وقرعنا ابواب السماء
بادعية فاتحة فقال النجح عقيب الفاتحة امين •

وسرنا والصدور منشرحه • والطريق الى خير الدارين
متضحه • وجينا المشهد وقد ظهرت عليه بالضريحين
الكريمين بهجة الدين والدنيا • وتلى مزارها
للقادم انا نبشرك بيحيى • وبتنا ليلة طيبة
نحييها ونميت النوم • ونعصى بالسهر امر من له
سلطان على اعين القوم • واصبحنا وقد امتلات
القلوب سرورا • والاعين نورا • وقوينا على قصد
جنين الجنان • واستقبلنا محاسن بيسان ببيسان
وختمنا الزياره بمشهد معاذ بن جبل رضى الله عنه
فانفذت انواره القلوب من الهم انفاذ • وكاد
نفتتن بالانس حتى نقولا افنانا انت يا معاذ ∴
وامسكنا عنده من الدعا بعروة لا تنفصم • واوينا
من طوفان الذنوب الى جبل ينجو من به يعتصم
وامر بما يحتاج اليه من تجديد عماره • وانشاطهاره
والحق بكل مزار وردنا عليه في هذه السياره •

فانا لا نفارقه الا عن اقامة صلاة • وصلاه • وتجديد
اثار يزين به وجه القبول كاتب الحسنات ثم
نهضنا عن الغور نهوض ليث الملبد • وجزنا متبسمين
فما بكينا بكا لبيد يوم فراقه اربد • واستشقنا من
تلقا طيبه الاسم اطيب العرف • وسلكنا بحرف
واديها مستبشرين فكانت طيبة الاسم والفعل والحرف
ثم عاودنا المنازل التي قدمنا ذكرها ورجعنا
كما نسترجع منازل الافق زهرها • وتنسمنا ارواح
دمشق حتى كدنا ننشق من ذيل الكسوة عطرها •
واستقبلنا الديار على هذا السعي الجليل • وفاصلنا
السفر على كل وجه للفضل جميل • وقطعنا بالكسوة
ليلا طالا فداه كل ليل للعاشقين طويل ∴
وفي تلك الليلة كان دخولنا الى دمشق المحروسة
كدخولنا الى القدس الشريف سارين سرى النجوم في
الليل • سابقين لغرة الصباح بغرر الخيل •

موفرين لخواطر الملتقين وهيهات • وقد سال منهم
السيل • نازلين من دمشق جنة قد تبسمت لقدومنا
عن ثغور الازهار • واجرت امام ركابنا الانهار
ولبست من وشي البديع حللا لها من وآل ما انعقد
من الثمار ازرارا • فآبين من الثنا والثواب
بفوق الاراده • داعين لمن فضله لنا جامع مترقبين
لرتبته باب الزياده •• وتمت هذه السفرة على
احسن ما يكون • واشتملت من وجوه المحاسن
على عيون • قضيت المهمات بها بالنهار وقضيت
في الليل بالمذاكره • والتقطت من الفوايد الوزيره
ما كنت ارتقب جواهره وازاهره • واردت ان اذكرها
في هذه الخطبة لانها جواهر • واضمنها بغصن
القلم في هذه الاوراق فانها ازاهر • فكثرت على
هذا اللفظ المسجوع • واقتضى الحال ان اجمعها في
سفر يقال فيه تلك رحله وهذا تاريخ ومجموع

وقد علم الله ان هذه النبذة من القول وردت من
قريحة مسها فقد الولد بقرح واي قرح • وقال
لفكرها الذي كان رحا آيك الكلام لست اليوم من
ذلك الطرح • فليبسط الواقف على هذه الرحلة
عذري • وليعلم السبب في كونها ليست عادة نظمي
ونثري • واذا كانت القريحة في بقايا قرحها فليت
شعري اينهض سجعي وشعري • والله تبارك وتعالى
المسول ان يجعل في البقا الصاحبي سلوه عن كل فقيد
ويصل اسبابنا ابدا بتحريره الوافر وظله المديد
ويرزقنا في شكر نعمه لسانا لفظه ذهب وذهنا
بصره حديد قلت ذكرت برحلة الشيخ جمال الدين
رحمه الله تعالى الى القدس الشريف صحبة الركاب
الصاحبي الاميني رحلتي صحبة الركاب الشريف
السلطاني المويدي سقى الله ثراه الى البلاد الرومية
وبروز امره الشريف بذكر الفتوحات بها وتسمية

البلاد واستيعاب الرحلة الشريفة فى البشارة
المجهزة الى الديار المصريه • وان لا يقروها بالجوامع
المطهرة غير مولانا شيخ الاسلام قاضى القضاة
ابى العباس احمد بن حجر العسقلانى الشافعى عظم
الله تعالى شانه فقراها بالجامع المويدى والازهر
فى شهر رجب الفرد سنة ستة عشر وثمانمايه
وقد عن لى ان اقرنها بالرحلة النباتيه فانهما
رحلتان • وهى ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى
ولا زالت طرف اخبارنا السارة تسر خاطره •
وتشنف سمعه • وترنحه بنسمات قربنا • وتجاور
كريم سمعه لياخذها بالشفعه • وان حصل بينه
وبين المسرة لبعدنا طلاق فمثالنا الشريف يبشره
بالرجعه • صدرت هذه المكاتبه تهدى اليه
من اوراقها ثمرات الفتح لينفكه بالفواكه الفتحيه
وتعرب عما ابدته عربياتنا من شواهد السهل فى

فتح البلاد الروميه • فانها رحلة مويدة تشد اليها
الرحال • وان كانت دول الاسلام رحلة على اعطاف
الدهر فهى لها من اطهر الاذيال • وتبدى لكريم
علمه تجلى مخدرات الحصون بكل وجه حسن تحت
عصابنا المويديه • واستقرار سيس فى هذه
الحلبة على قديم عادتها بين الجنايب الحلبيه •
وفتح قلعتها وقد حرك بابها مصراعى شفتيه واعلن
بسورة الفتح جهرا • وتلت اقفاله بعدما عسرت
على الغير فان مع العسر يسرا • ان مع العسر يسرا •
وصعدت انفاس الادعيه من افواه مراميها
فرحة بنا وسرورا • وبدلت صوامعها وتلك البيع
بمساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا • واخلصت
الطاعة لشيخ ملوك الارض طايفتها الارمنيه
وانقطعوا فى زوايا الطاعة مريدين لهذه المشيخة
الشريفة وصوفيه • ورغب ابن رمضان فى طاعتنا

الشريفة فجعلناله في ربيع حلاوة الرغائب •
ورفعنا قواعد بيته الابراهيمي وادنيناه من ادانة
فدنا بها الى علا المراتب • وتلمظت سيوفنا
بحلاوة الفتح ورشفت بالسنتها في كل قطر قطرها
ففتحت اياس من بعيد لهذه الحلاوة ثغرها •
وانسجمت ابياتها لما نظمت على بسيط الطاعة
بحرها • ومصر حصن مصيصه من رحيق هذه
الطاعة فامسى ثغره بافواه الشكر يقبل •
وبسط جبين جسره لمواطي خيلنا فرحة وتهلل
وجانس الفتح بين اياس وباياس • ولم تنتظم
لبني كل بيت بملطيه يقام له وزن ويظهر منه
اقتباس • وانعكس هذا الاسم بعد الاستحالة
وان كان مما لا يستحيل بالانعكاس • وتسحب كافرهم
وتذاضر به النار فخاطبته بلسان جمري لا ينجم •
وما هو الا كافر طال عمره • فجانه لما استبطاته جهنم

وفر الى ملك ابن عثمان فحكمنا بقتله في تلك الارض
علما ان الجهاد في اعدا الدين عند العصابة المحمدية
من الفرض • وسمع العصاة بطرسوس زئير اسادنا
من بعيد • فادبر مقبلهم وتخيل ان الموت اقرب
اليه من حبل الوريد • واعرب ابوابها بعد كسرها
عن الفتح • وقال اهلها ادخلوها بسلام آمنين •
واوى العصاة الى جبل القلعة لما راوا بعد القتال
هذا الفتح المبين • وصفق مقبلهم وجهه فبصقت
فيه افواه المدافع • وحكم عليه القضا بالاعتقال
ولم يات عند ذلك الحكم بدافع • وشاهد القرمانيون
من سيوفنا شدة القرم • فخشي كل منهم ان
يصير لحما على وضم • وراوا السن السهام في
افواه تلك المرامي براينا الصائب ناطقة •
وما اظهروا على سما برج غيوم سنابرا الا لمعت
فيها من بوارق نفوطنا بارقة • فمزقوا الاطواق

من الخنق فطوقناهم بالحديد • واحيينا الفتح المامونى
برايتنا الرشيد • وماخفى عن كرم علمه ووقوع انتقامنا
الشريف فى الغادرين الغادر المادبر وقطع الله دابره
وظهور السر الابراهيمى لما ادعى انه نمرود تلك
الفئة الغادره • كلمه بسيوفه فاخرسه وتخبطه
شيطان الرعب بمسه • وراى فيه تلك الهمة العاليه
فنجى من تلك الرقعة بفرسه ونفسه • واوى من
قبل الى جبل ليعصمه فقال له لاعاصم اليوم من
امر الله ورماه • من شاهقه فى بحر عساكرنا بعد
ما عض عليه بثناياه • وسمع الرعد من سيف
ابراهيم ففر وقد شاهد من اصيب بصواعقه
من عصاة التركمان • وصدقت فيه عزائم اتراكنا
وما رأى احد فى ذلك اليوم من التركمان ••
وسقوا اوعار تلك الجبال من دماهم فكادت
احجارها ان تورق وتخضب بعد المحل ••

وجنوا بالعسال عسل النصر وغنموا من الانعام ما
زاد فى عدد اجناسه على النخل • ونفرت عنهم
اوانس تلك الظبا والمتيم ينشد • لهفى لظبية
انس منكم نفوق • وانفطرت كبده لما راى كواكب
الحلى من افلاك تلك الصدور وقد انتثرت •
وسن المقر الصارمى فيهم عزمه فقطع بهذا
الصارم من عواتقهم اوصالا • وحميت نار حربه
فسبكت اوانيهم من الذهب والفضة تحت
حوافر خيله نعالا • ورخصت انواع الديباج
فكم معدنى صار معدنى لان قبور حمولهم تعثرت
وتلى لسان حال الكسب على السمور وغيره من اصناف
الوبر واذا الوحوش حشرت • وانقادت نساءهم
الينا وبدور مواطيها فى بروج تلك الجبال قد اشرقت
والناظر يتلو متعجبا افلا ينظرون الى الابل كيف
خلقت • وكانت نار الحرب على المقر الابراهيمى

بردًا وسلاما • فانه رفع قواعد بنيه فى ذلك الوقت
وعلمنا ان الله عز وجل قد جعل لابراهيم فى هذا البـ
مقاما • ورقاه فى عمر الابدار الى بلوغ الكمال فابدر
فيها وسرى وانشد لسان الحال بقوله • شعر
وقد ظهرت فلا تخفى على احد • الا على اكمه لا يعرف القمرا
وان كان شبلا فهو فى المجبر كاسد • ومصادع ليوث
الحرب قد جعلها الله من صغر تحت يده • ورفع له
هذا المبتدا • وسيره فى الافاق خبرا • وعلم الاعدا
انه معهم تجرى عند لقاه دمعًا وكذا جرى •
وهذه المقابلة تليق بابن الغادر على قبح سريرته
وغدره • فانه اخرج اهل تلك البلاد من ارضهم
بظلمه لا بسحره • وسئلنا قبل ذلك فى ولده وقد
كره العود اليه • والف ابوتنا الشريفة وتوطن •
فرددناه الى امه كى تقر عينها ولا تحزن • فخالف
نص الكتاب ومشى فى ظلم الطغيان • ولم يعمل بقوله

تعالى هل جزا الاحسان الا الاحسان • فقابلته
سطواتنا الشريفة على قوله وفعله • وما حاق المكر
السيّى الا باهله • وحل ركابنا الشريف بالابلستين
فى العشرين من ربيع الاخر فجمعنا غصنها الزاهر بين
ربيعين • واتممناها بعشر الاقامة لاستبقاء ما
لنا فى ذمة جيرانها من الدين • فرحبت بنا وبسطت
بساطها الاخضر وقالت على الراس والعين • والتفتنا
الى درنده وما العيان فى صنع الله تبارك وتعالى فى
اخذها كالخبر • وقررنا صدع صخورها باختلاف
الالات فجاء ما قررناه نقشا على حجر • وادعت
ان صخرها اصم فاسمعناه من اذن المرامى تنقير
المدافع وتحريك الوتر • وطلعت فى ظهر الجبل
كدمّل فصار كل خارج من سهامنا بريشته الى فتحها
وظنت صون من بها العلو ذلك السفح فطالت سيوفنا
الى دماء القوم وسفحها • وقرعنا حيلها بشبابات المدافع

وكسرنا منه الثنية • وامست حلق مراميها كالخواتم
في اصابع سهامنا المستويه • وخرّ نحرها طائعاً
فركبنا عليه سفن جسور على الزحف جاسره •
واقلعنا الى خشب سفينتها المسنده فمزقنا قلوع
ستائرها وخربنا قريتها العامره • هذا مع ان
اللنك خطبها لنفسه واراد ان يعرج اليها •
فترفعت عليه ولم ترضه لنقص العرج ان يعلو عليها
فرحل عنها ولم يحظ من ديوان وصلها بمسموح •
ولكن ساعة رويتها قالت بكارتها مرحبا بابي النصر
وابي الفتوح • وتعلق سكانها باذيال الامان فامنّاهم
ولكن كانوا في صدرها غلاً فنزعناهم • وجاءت
مفاتيح خندروس قبل التخلص منها براعه •
فاحسنّا الختام بدرنده والقينا اكسير المدافع
على حجرها الذي كان غير مكرم واحسنا التدبير
في الصناعه • وسمعت كرت برت بذلك فالقت

من بها من بهير معطلة وزهت فرحة بقصرها المشيد •
ووصلت مفاتيحها يوم هذا الفتح مهنية بلسانها
الحديد • وغارت عروس بهسنا من ذلك فخطبتنا
لجمالها البارع • وجهزت كتابها يشهد لها بالخلو عن
الموانع • وهي ايضاً ممن خطبها اللنك لنفسه فتمنعت
واراد السمو الى افقها العالي فاستسفلته وترفعت
• عوت كلابه فلقمتهم ما ثقل وزنه من احجارها
الثقال • خلافاً لمن اصبح الصخر عنده منقاداً لامتثال
وعلم ان طغرق ان سهامنا في كل عضو من اعضاء
العصاة جارحه • وافواه مدافعنا في اعراض الصخور
من سائر القلاع قادحه • فبثت يداه عن المنع وجنح
الى الخلاص فسابقه باب القلعة ودفع صوته في
الفاتحه • وضحك ناموس ملكنا الشريف على من ادعى
بكحتا وكركر • ولكن ابكتهم سهامنا دماً جرى من
محاجر القلعتين ولم يتعثر • وقال حصن كختا ان كانت

قلعة نجم عقابا في عقاب • فالنسر الطائر تخفق تحت
قادمتي باجنحته • او كان الهلال قلامة لانملتها
التي علاها من الاصيل خضاب • فكف الخضيب
يتيمم بترى ويمسح بياض جبهته • فانا الهيكل
الذي ذاب قلبي الاصيل على تذهيبه وود دينار
الشمس ان يكون من تعاويذه • والشجرة التي لولا
سمو فرعها تفكهت به جنات الثريا وانتظمت
في سلك عناقيده • وتشامخ هذا الحصن ودفع
انف جله وتشامم • فارمدنا عيون مراميه
بدم القوم واميال سهامنا على تكحيلها تتزاحم
ووصل النقب بتنقيبه عن مقاتلهم الى الصواب
وايقنوا ان بعده لم يضرب بيننا بسور له باب ∴
وكان منهل ما بهم عذبا فاكثرنا على منعه الزحام
وتطفلوا على رضاع ثدي دلو فلم ترض ام المنع
بغير الفطام • وامسى دلوهم كدلو ابي زيد السروجي

لا يرجع ببله • ولا يجلب نفع غله • وحكم المدفع الكبير
على سور القلعة فقال له السور دامر النفوذ والاحكام
وانقلبوا صاغرين الى الطاعة وقد قابلنا انف جبلهم
بالارغام • ورجعوا عن خليلهم الكردي لما قام
لهم على جهله الدليل • وقالوا طاعة السلطنة الشريفة
ما يراعى فيها من العصاة خليل • وسئلونا الصفح
عن حديث جهلهم القديم • وسلموا القلعة لرضى
خواطرنا الشريفة فجمعوا بذلك بين الرضى والتسليم •
وتنكرت اكراد كركر بسور القلعة فعرفناهم
بلامات القسي والفات السهام • وعطست انوف
مراميهم باصوات مدافعنا كأن بها زكام ∴
وتبرموا من خليلهم الكردي لما شاهدوا الخطب
جليلا • وقال كل منهم يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا
واورت عاديات المدافع بالقلعة قدحا فامست
بالزلزلة مهددة • وفروا من سطواتنا الشريفة الى

الى البروج فادركهم الموت فى بروجهم المشيده
وسال الناكرد يهم فى جزيل ماله ليغدوا بنفسه الخبيثه
ويروح فلم نرض منه على كفره بغير المال والروح
وسجناه فى قلعته وقد ايقن بالموت وارتفع النزاع
وجهز المفتاح لتخليص دينه فحصل على سجنه الاجماع
وامسى بها كريشة فى ممر الريح ساقطة وتمام
البيت معروف عند من له عليه اطلاع
وجات مفاتيح اكل من ديار بكر وقد ازهرت
باسمنا الشريف اغصان منابرها وسئلت قلعتها
التشريف برسول يدوس بنعله محاجرها
فاجبناها الى ذلك وامست بنا بعد التنكير
معرفه وصارت ابراجها بالنسبة المويدية مشرفه
وجهز قرا عثمان مفاتيح الرها وامد وسئل تشريفه
بتشريفها بتقليدين يرفعا لهما فى الشرف محلا
فخليناه بذلك وكان من العواطل فخلت المطابقه

بالعاطل الحلا والنهاب بن ذو الغادر زجراره المعصيه
ففرّ الى مورد الطاعة من غير فتره وهز جذع مراحمنا
الشريفة واعترف انه جهل الفرق بين التمرة والجمرة
واقر بذنوبه وقال التوبة تجب ما قبلها ودوحة
المراحم الشريفه قد مدّ الله على الخافقين ظلها
وعلم انه ما احسن البيان عند رنده فى تخليص
ذلك المفتاح وسئل ان يحظى من بيان عفونا الشريف
باستجلاء عروس الافراح فاذقناه حلاوة قربنا
بعد ما ذاق مرارة بينه والبسناه تشريفه بنيابة
الابلستين فباس الارض وهو لا يصدق ان يرى
محاجر تلك العين بعينه وجهزنا ولده داوود
بذروح من الامن ليامن بها من به داوود وتفيّا
بظلال جرنا ويصير بعد جرّ المعصية فى ظل ممدود
وقد نفذ مرسوم الى قيساريه ان يقام بها سوق الامان
فاجبناها وسعرت بها نار الخوف بعد ما غلت فجهزنا

اليها بضايع الامن وارخصناها • وايقن اهلها انهم
ان مشوا في حدا تقدعد لنا على غير هذه الطريقه •
صار على سنو سنه كل سنان مزدماهم شقيقه •
فازلنا عنهم باناس عدلنا الوحشة واست
قبسا ديتهم في ايامنا الزاهره دهشه • وسجت
خطبا منابرها باسمنا الشريف والدهر يهتز فرحه
ويترنم • ولم يخل من اسمانا عود منبر ولم تخل
دينار ولم يخل درهم • وتقارب الاشتقاق بين
سيواس وسيس فتجانسا للطاعه • ومات العصيان
بتلك البلاد فقالت ارزنكان الصلاة جامعه •
وصلت طائعة مع الجماعه • فلا قلعة الا اقتضينا
بكارتها بالفتح وابتذ لنا من ستايرها الحجاب •
ولا كاس برج اترعوه بالتحصين الا نوجنا راسه
من مدافعنا بالحباب • حتى فصلت في الروم لعساكرنا
التي هي عدد النمل قصص • وعدنا فكان الا و واحد

اذ لم يبق بتلك البلاد ما تعده القدرة على الفتح من
الفرص • وجات رسل ملوك الشرق بالاذعان
لطاعتنا التي اتخذوها لشرفها قبله • وود كل منهم
ان تحظى من جبهات اعتابنا بقبله • وتنوعوا من
الهدايا باجناس صدقت عن كل نوع مقبول •
وبالغوا في الرقه واهدوا من الرقيق ما قام له عندنا
سوق القبول • واسفر قرا يوسف من الجمال اليوسفي
ونور الطاعة عن بجتين • واظهر كتاب الطهارة
بتطهير الارض ممن ندبنا اليه من اعدا الدولتين
ودبت الديار من الديار فكانت سيوفنا في القرب
له حصنا وملاذا • ولم يباشر في اخلاص الطاعة
مما يقال له بسببه يوسف اعرض عن هذا •
وجات هداياه التي هبت نسمات القبول على اقبالها
وجنينا منها ثمار المحبه • وحمل التفاصيل التي وشحها
سنا الملك ببهجته • ولم يترك لابنه في دار الطراز تنبه

والنمورة التي تحجم ابن فهد عن وصفها اذا قابل منها
السواد والبياض بالمقلتين • فانها جمعت لنا من
ليلها الحالك ونهارها الساطع بين الايتين ••
والجواد الذي تميز باوصاف ما صاحب مجري
السوابق من الفحول التي تجاريها • فانه غرة في
جباه الخيل الذي قال قايد الغر المحجلين ان الخير
معقود في نواصيها • والسروج التي سمت عندنا
على السروجي بمقاماتها العاليه • ورايناها اهلة
تغني عن الفجر فخصبنا كل سرج منها بالغاشيه
والخوارج التي خشي النسر الطاير ان يصير منها واقعا
وصدق فيما تفرس • وخافت الشمس لتسميتها
بالغزاله ولف سرحانا لا فوق ذنبه على خيشومه
ولم يتنفس • والقوس الذي اصاب به اغراض
المحبة ونال منها اوفر سهم ونصيب • وجا عبارة
عن راى مصديه وكل عندنا بحمد الله مصيب •

وهو من الاشياء التي وقعت في محلها ونحن نقيم دلايل
ذلك وبرهانه • فان القوس اذا عانق سهامه بمصر
علم انه وصل الى الكنانه • وبالغ المقر الجمالي في
نظم بديع الهدايا وفسح الجفا بكثرة رقيقه •
وادار من اواني الصيني كووسًا انزعها الود بلا في
رحيقه • ودخلنا حلب المحروسة واوصلناها
ما استحق لها من ديوان الفتح علينا • ورددنا
ما اغتصب منها فقالت هذه بضاعتنا ردت الينا •
وقد اثرنا الجناب بكرامة هذه البشاره ••
التي استبشر بها وجه الزمن بعد قطوبه وتبسم
فانه ذكرنا هذا البيت الشريف ونسيب مدحه المقدم
فياخذ منها حظه ويثلج صدر الرعايا فيها
لهم برد وسلام • ويرعاهم بعين الرعاية ليضوع
فيهم عرف العدل وتصير مسكا لهذا الختام •
والله تبارك وتعالى يمنحه في ليله ونهاره من اجارنا

السادة بالاعياد والمواسم • وتجعل له من صياغة
اعماله ان شا الله حسن الخواتم قلت وذكرت
بهذه الرحلة ايضا رحلتي من الديار المصريه الى
دمشق المحروسة سنة احدى وتسعين وسبعمايه
والملك الظاهر قد خرج من الكرك ونزل عليها
وتصدى لحصارها وقد اجتمعت عليه العساكر
المصريه والشاميه وحدث بدمشق المحروسه
ما حدث من القتال والحصار والحريق فكتبت
الى المقر المرحوم القاضي الفخري بن مكانس في شرح
ذلك رسالة لم ينسج على منوالها ولم يسمح على غلبة
الظن قريحة بمثالها وهي يقبل الارض التي من
يممها او تيمم بثراها حصل له الفخر والمجد •
فلا برح هيام الوفود الى ابوابها اكثر من هيمان
العرب الى ربا نجد • ولا زالت فحول الشعرا
تطلق اعنة لفظها وتركض في ذلك المضمار •

وتضيم بواديها الذي تحب ان ترفع فيه على اعمدة
المدائح بيوت الاشعار • وتنهي بعد اشواق
امست الدموع بها في محاجر العين معثرة ••
ولو لم يقرا تاليها بمرسلات الدمع لقلت قتل
الانسان ما اكفره • وصول المملوك الى دمشق
المحروسة فيا ليته قبض قبل ما كتب عليه ذلك الوصول
ودخوله اليها ولقد والله تمنى خروج الروح عند
ذلك الدخول • فنظر المملوك الى قبة يلبغا وقد
طار بها طير الحمام • وحثت حولها تلك الاسود
الضاريه • فتطيرت في ذلك الوقت من القبة والطير
وتعوذت بالغاشيه • ودخلت بعد ذلك الى
القبيبات التي صغر اسمها لاجل التحبيب • فوجدتها
وقد خلا منها كل منزل كان انسا بحبيبه فانشد
به لسان الحال قفا نبك من ذكرى حبيب • ونظرت
بعد القباب الى المصلى وما فعلت به سكان تلك الجنان

والتفتت الى بديع بيوته التى حسن بناً تاسيسها
وقد فسد منها النظام • فسال وقد وقفت عقيق دمعي
على ارض المصلى والقباب • ونظرت الى ذلك الوادي
الفسيح وقد ضاق من الحريق بسكانه الفضا فتوهمت
ان وادي المصلى قد تبدل بوادي الغضا •
فسقى الغضا والساكنيه وانهم • شبوه بين جوانح وقلوب
واصطليت النار وقد ارادت سبي ذلك النادي
فشنت عليه من فوارس لهيبها الغاره • وركضت
في ميدان الحصا فوجدت اركانه كما قال الله تبارك
وتعالى وقودها الناس والحجاره • ودخلت قصر
الحجاج وقد مدت النار به من غير ضرورة في
موضع القصر • واصبح اهله في خسر وكيف لا وقد
صاروا عبرة لاهل العصر • وتاملت تلك الالسن
الجمريه وقد انطلقت في ثغور تلك الربوع تكلم
السكان • وتطاولت بالسن الاسنة والنعام

الانزال فاندهل اهل دمشق وقد كلموا بكل لسان
ووصل المملوك بعد الفجر الى البلد وقد تلا بعد
زخرفه في سورة الدخان • فوجبا ان اجري الدموع
على وجيب كل ربع وانشد • وقد دخل صبري
بعد ان في خبر كان • دمع جرى فقضى في الربع ما وجبا
ووقفت اندب عرصاتها التي قحت بالبين •
فخابت من اهلها الظنون • وكم داروا بقمحها
خيفة من طاحون النار فلم يسلم فصدقت المثل
بان القمح يدور وتجي الى الطاحون • ونظرت بعد
ذلك الى الحدادين وقد نادتهم النار بلسانها من
مكان بعيد • اتوني زبر الحديد • ولقد كان
يوم حريقها يوما عبوسا قمطريرا • ضج المسلمون
فيه من الخيفه وقد راوا سلاسلا واغلالا وسعيرا •
هذا وكلما اصليت نار الحريق وشبت نار الحرب
ذكرت ما اشار به مولانا على المملوك من الاقامه

بمصر فانشدت من شدة الكرب ∴ شعر

اهلا لمصر ابن مصر وكيف لي • بدلا بمصر مراتعا وملاعبا

والدهر سلم كيف ما حاولته • لا مثل دهري في دمشق محاربا

يا مولانا لقد لبست دمشق في هذا الماتم السواد وطبخت قلوب اهلها كما تقدم على نارين وسلقوا من الالسنة بالسنة حداد • ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستسقوا فلم يتنشقوا رايحة لغادية وكم رأى في ذلك اليوم وجوه خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية • وكم رجل تلا عند لهيب بيته تبت يدا ابي لهب • وخرج هاربا وامراته حمالة الحطب وشكى الناس من شدة الوهج وهم في الشتا وصاروا من هذا الامر يتعجبون • فقال لهم لسان النار ايعجب من الوهج والحريق من هو في كانون • ولعمري لو عاش ابن نباته وراى هذا الحال وما تم على اهل دمشق في كانون • لترك رثا ولده عبد الرحيم وقال

يا لهف قلبي على وادي دمشق ويا • حزني عليه ويا شجوي ويا داي

في شهر كانون وافاه الحريق وقد • احرقت بالنار يا كانون احشاي

ونظرت بعد ذلك الى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا ازفة الازفة • وستروا بروجها من الطارق بتلك الستاير وهم يتلون ليس لها من دون الله كاشفة • واستجليت عروس الطارمة عند زفتها وقد تجهزت للحرب وما لها غير الارواح مهر • واقعدت على راسها تلك العصايب وتوشحت بتلك الطوارق وادارت على معصمها الابيض سوار النهر • وغازلت بحواجب قسيها فرمت القلوب من عيون مراميها بالنبال • واهدت الى العيون من مكاحل نارها اكحالا كانت السهام مرالها اميال • وطلبها كل من الحاضرين وقد غلا دست الحرب وسمح وهو على فرسه بنفسه الغاليه • ورموا كشفها وهم في رقعة الارض •

كانهم لم يعلموا بان الطامة عاليه • وتالله لقد حرست
بقوم لم يتيد دعوا بغير ابة الحرس في الاسحار •
وقد استيقظوا الحمل فسبيهم ولم تنم اعينهم عن
الاوتار • فاعبد روابيها التي هي كالجبال الشامخة
بمزاسس رواسي المجوج • واحصنها قلعة بالسماء
ذات البروج • وتطاولت الى السور المشرف وقد
ضنل في علم الحرب وحفظ ابوابه المقفلات ؞
فما وقفنا له على باب الا وجدناه لم يترك خلفه
لصاحب المفتاح تخيصًا لما ابداه من المشكلات ؞
وما احقه بقول القايل ؞ شعر ؞
فصانه سور على المجد حايط • وبالعلم هذا السور اضحى مشرفا
كم حملوا عليه وظنوا في طريق حملتهم نصره ؞
ونصبوا دست الحرب ولم يعلموا بانه قد طبخ لهم
على كل باب قدره • فلا وابيك لو نظرته يوم الحرب
وقد تصاعدت فيه انفاس الزجاج لقلت ونفخ في

الصور ذلك يوم الوعيد • والى المحاصرين وقد
جاوا راجلًا وفارسًا ليشهدوا القتال لقلت وجات
كل نفس معها سايق وشهيد • والى كواكب الاسنة
وقد انتثرت • والى قبور الشهدا وهي من تحت
ارجل الخيل قد بعثرت • والى كر الفوارس وفرها
لقلت علمت نفس ما قدمت واخرت • والى نار
النفط وقد نفطت من غيظها والى ذكور السيوف
وقد وضعت المنايا السود وتعذرت • من شدة
الدما لكثرة حيضها ؞ شعر ؞
ومن العجايب ان بيض سيوفهم • تلد المنايا السود وهي ذكور
والى فارس الغبار وقد ركب صهوات الجو ولحق
بعنان السما • والى هداب السهام وقد بكت لما
تخضبت بالدما • والى كل هارب سلب عقله
وكيف لا وخصمه له تابع • والى كل مدفع وله عند
حكم القضا دافع • والى قامات اقلام الخط وقد صار

لها في طرس الاجسام مشق • فاستصوبت عند ذلك
راى من قال عرج دكابك عند دمشق • ونظرت
بعد ذلك الى العشير وقد استحل في ذي الحجة المحرم
وحمل كل قيسي يمانيا وتقدم • فجزع النساء وقد
انكرت منهم هذا الامر العسير • فقلت وغير بدع
للنسا اذا انكرن العشير • وتصفحت بعد ذلك
فاتحة باب النصر فعوذته بالاخلاص وزدت لله شكرا
وحمدا • وتاملت اهل الباب وهم يتلون لاهل
البلد في سورة الفتح وللمحاصرين وجعلنا من
بين ايديهم سدا • كم طلبوا فتحه فلم يجدوا
لهم طاقة وضرب بينهم بسور له باب • باطنه
فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب • ونظرت
الى ما تحت القلعة من اسواق التجار فوجدت كلا
قد محت النار اثاره • واهله يتلون قل ما عند
الله خير من اللهو ومن التجاره • فمنهم من همه

شانه على صاحبته وبنيه • واخر قد استغنى بشان
نفسه فهم كما قال الله تبارك وتعالى لكل امرئ منهم
يومئذ شان يغنيه • فوقفنا ننشد في تلك الاسواق
وقد سعرت الاموت يباع فاشتريه ونظرت الى
المومنين الركع السجود • وهم يتلون على من ترك
في بيوتهم اخذ ودامن وقود النار وقعد حولهم
في ذلك اليوم المشهود • قتل اصحاب الاخدود
النار ذات الوقود • اذ هم عليها قعود وهم
على ما يفعلون بالمومنين شهود • هذا وكم مومن
قد خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة
وطلب الفرار • وكلما دعاه قومه لمساعدتهم على
الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار • ويا قوم
ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار • ونظرت
الى ضواحي البلد وقد استدت في وجوههم المذاهب
وما لهم من الضيق مخرج • وضاقت عليهم الارض بما

رحبت لما غلق في وجوههم باب الفرج • فقلت
اللهم اجعل لهم من كل هم فرجا • ومن كل ضيق مخرجا
ولعدم اموالهم من كل عسر يسرا • ولا نهتاك
مخدراتهم من كل فاحشة سترا • ولقطع الما
عنهم الى كل خير سبيل • فانت حسبنا ونعم الوكيل
هذا وكم نظرت الى سما ربع غربت شمسه بعد
الاشراق • فانشدت وقد ازددت كربا من شدة الاحزا

فديناك من ربع • وان زدتنا كربا
فانك كنت الشرق • للشمس والغربا

وانتهيت الى الطواقيين وقد اسبل عليهم الحريق
فندسه فكشفوا الرووس لعالم السراير • وكم
ذات ستر خرجت بفرق مكشوف ورمت العصاب
ونعلها بغبنه داير • هذا وكم نا هدات اسلن
من فوق النهود ذوابا • فتركن حباة القلوب ذوابا
ووصلنا الى ظاهر الفراديس • وقد قام كل الى فردوس

بينه فاطلع فراه في سوا الجحيم • واندهشت لتلك
الانفس التي ماتت من شدة الخوف وهي تستغيث
للذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم •
ونظرت الى ظاهر باب السلامه • وقد اخفت
النار اعلامه • ولقد كان اهله من صحة اجسامهم
ومن اسمه كما يقال في الصحة والسلامه • والى
الشلاحه وقد لبثت ثياب الحزن ودابت من اجلها
الكبود • وقعدوا بعد تلك الربوع على اديم الارض
ونضجت منهم الجلود • ولقد والله عدمت لذة
الحواس الخمس وضاقت على الجهات الست فلم
ترق لي دمعه • واكلت الانامل من الاسف
لما سمعت بحريق اطراف السبعه • فاعيذ ما بقي
من السبعة بالسبع المثاني والقران العظيم •
فكم راينا بها يعقوب حزن راى سواد بينه فاصفر
لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم • وتغربت

الى ظاهر الباب الشرقى فتشرقت بالدمع من شدة
الالتهاب • فلقد كان اهله من دار غبطه وكرومه
الكريمة فى جنتين من اعناب • وتوصلت الى
ظاهر كيسان • فانفقت كيس الصبر لما افتقرت من
دنانير تلك الازهار • والدراهم دراباها وسحت
بعد ذلك بالعين • واستخدمت فقلت بسم الله مجراها
وكابرت الى اطراف الباب الصغير فوجدت فاضل
النار لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
فيالهفى على عروس دمشق التى لم تذكر مع محاسنها
اسما ولا الجيدا • لقد كانت ست الشام فاستعبدها
ملك النار حتى صارت جارية سودا • ولقد
وقفت بين ربوعها وقد التهب احشاوها بالاضطرام
وفطم جنين نبتها عن رضاع ثدى الغمام •
فاستسقيت لها بقول ابن اسعد • شعر
سقى دمشق واياما مضت فيها • مواطر السحب ساريها وغاديها

ولا يزال جنين النبت ترضعه • حوامل المزن فى احشا اراضيها •
فما نضا جبه قلبى لنيربها • ولا قضى نحبه ودّى لواديها •
ولا تسليت عن سلسال ربوتها • ولا نسيت مبيتى جار جاريها •
هذا وكم خائف قبل اليوم اوى بها الى ربوة
ذات قرار • وكم كان بها مطرب طير خرج بعد
ما كان يطرب على عود وطار • وبطل الجنك لما
انقطعت اوتار انهاره فلم يبق له معنى • وكسر
الدف لما خرج نهر المغنية عن المغنى • واستسح
الناس من قال • شعر •
انهض الى الربوة مستمتعا • تجد من اللذات ما يكفى •
فالطير قد غنى على عوده • فى الروض بين الجنك والدف
واصبحت اوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل
واليسر عسيره • ولقد كان اهلها فى ظل ممدود •
وماء مسكوب • وفاكهة كثيره • فعبس بعد ذلك
ثغر روضها الباسم • وضاع من غير نور دية عطره •

الناسم • ولم ينتظم لزهر المنثور • على ذلك
الوشى المرقوم • رسالة من النسيم تحوبه • وكيف
لا وقد محى سجع المطوق من طروس تلك الاوراق
النباتيه • هذا وكم عروس روض قعد لمعصمها
النقش فلما انقطع نهرها صح انها كسرت السوار
وكم دولاب نهر بطل غناوه على تشبيب النسيم
بالقصب وعطلت نوبته من تلك الادوار •
فوقفت اندب ذلك العيش الذى كان بذلك
التشبيب موصولا وانشد • شعر •
ولم اجد بعد تلك النوبة المطربة الى معنى الربوة دخولا
لم لا اشبب بالعيش الذى انقرضت • اوقاته وهو باللذات موصولا
ونقص يزيد فاحترق ولا ينكر ليزيد الحريق على صنعه •
وانقطع ظهر ثورا فاهلك الحرث والنسل بقطعه •
وذاب بردا وحمى مزاجه لما شعر بالحريق • ولم يبق
فى ثغر الاشنب بد رحصبانه ما يبل الريق •

وانقطع وقد اغتسل من غيضه باناس • ولم يظهر
عند قطعه خلاف ولا بان آس • وجرى الدم من
شدة الطعن بالقنوات • وكسرت قنات المزه
فذاقت مر العيش بعد حلاوة تلك القطوف الدانيات
وكسر الخلخال لما قام الحرب على ساقه • وسقط راس
كل غصن على الجبهة فهاجت البلابل على اوراقه
وخر نهر حميص خاضعا وتكدر بعد ما كان نصع
لنا قلبه • وافتقر اغنيا غصونه من جنات
تلك الثمار فصاروا لا يملكون حبه • طالما
كان اهله فاكهين • ولكنهم اعترفوا بذنوبهم فقالوا
وكنا نخوض مع الخائضين • وذبلت عوارض تلك
الجزيره التى كانت على وجنات شطوطه مستديره
فقلنا بعد عروس دمشق وحماتها لا حاجة لنا بحميص
والجزيره • فيا لهفى على منازل الشرف وذلك الوادى
الذى نعق به غراب البين • ويا شوقى الى راس تلك

المرجة التي كانت تجلسنا قبل اليوم على الراس والعين
هذا وقد اسودت الشقرا فامست كابية لما
حصل على ظهرها من الجولان وجانبها العكس •
فاضحت باكية على فراق الابلق واخضر ذلك
الميدان • يا مولانا لقد بكا المملوك من الاسف
بدمعة حمرا على ماجرى من اهل الشهبا في الميدان
على الشقرا • حتى من كذب الناس من قال •
قل للذي قاس بين حلب • وحلق بمقتضى عيانها •
ما تلحق الشهبا في حلبتها • تعثر الشقرا في ميدانها •
فقال لسان الحال والله ما كذب ولكنه قد تخبوا
الزناد • وقد يكبوا الجواد • وقد يصاب الفارس
بالعين التي تغمز قناته غمزا • شعر •
ومن ظن ان سيلاقي الحروب • وان لا يصاب فقد ظن عجزا •
ودخلت بعد ذلك الى البلد فوجدت على اهله من
دروع الصبر سكينه • فقلت يا رب مكة كذا مكة

كذا والحرم انظروا الى احوالنا اهل المدينه • ولكن ما
دخلت بها الى حمام الا وجدته قد ذاق لقطع الما
عنه حماما • وعلم القوّام والقاعدون بارضه
انها ساءت مستقرا ومقاما • وتلى على بيت ناره
قلنا يا نار كوني بردا وسلاما • فحسن ان انشد قول ابن الجوزي •
الحارّ عندك بارد • والنهر امسى منقطع •
والعين ما اما فيها • ما حيلة القوّام •
وامّيت بعد ذلك الى الجامع الاموي • فاذا هو لاشتات
المحاسن جامع • واتيته طالبا لبديع حسنه
فظفرت بالاستضاءة والاقتباس من ذلك النور
الساطع • وتمسكت باذيال حسنه لما نشقت
تلك النفحات السحريه • وتشوقت الى النظم
والنثر لما نظرت الى تلك الشذور الذهبيّه •
وانست من جانب طوره نارا فرجح المصباحي •
واندهشت لذلك الملك السليماني وقد ذهب

بالبساط والكرسي • وقلت هذا ملك سعد من وقف
في خدمته خاشعا • وشقي من لم يدس بساطه
ويأتيه طايعا • ولقد صدق من قال • شعر

ارى الحسن مجموعا بجامع جلق • وفي صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتغالى بالجوامع معشر • فقل لهم باب الزيادة مفتوح

معبد له قصبات السبق ولكن كسرت عند قطع
الما قنواته • ورايته في القبلة من شدة الظما •
وقد قويت من ضجيج المسلمين اناته • وخفض النسر
جناح الذل وود بان يكون النسر الطاير •
وطمست مقل تلك المصابيح فاندهش لذلك
الناظر • هذا وكم نظرت الى حجر مكرم ليس له
بعد اكسير الما جابر • واخفت نجوم تلك الاطباق
التي كانت كالقلايد في جيد الغسق • ومرت حلاوة
نارها بعد ما ركبت طبقا عن طبق • واصبح دوحه
وهو بعد تلك النضارة والنعيم دابل • وكادت

قناديله وقد سلبت لفقد الما ان يقطع السلاسل •
ولم تشر الناس باصابعها الى فصوص تلك الخواتم
المذهبه • ولم يبق على ذلك الصحن طلاوة بعد الما
وحلاوة سكبه الطيبه • وتذكر المنبر عند قطع
الما وفاته بالروضه • وتكدرت افراحه لما ذكر
ايامه بتلك الغيضه • وانشد لسان حاله •

ولو ان مشتاقا تكلف فوق ما • في وسعه لسعى اليك المنبر

وودت العروس ان تكون مجاورة لحماتها • لتبل
ريقها برحيق الامر اذا نظرت الى عاصي المحمدية
وقد دخل الى جناتها • ونظرت الى فوار ابي نواس وقد
انقطع قلبه بعد ما كان يثب ويتحرى • وكاد
ان ينشد من شعره لعدم الما الا فاسقني خمرا
ودخلت الى الكلاسه وقد علاها غبار الحزن
فشهدت من الاسف على كل باهله • ورثيت للنساء
وقد فقدت بعد تلك الانغام المايره • واستطردت

الى باب البريد فوجدت خيول الماء الجاريه قد
قطعت عن تلك المراكز • ونظرت الى السراج
الاكبر وقد انعقد لسانه لما شعر من ممدوح الماء
بعدم تلك الجوايز • ونظرت الى اهل الصلاة
وعليهم فى هذه الواقعة من الصبر دروع ••
وقد استعدوا ولبسها من الادعية اطلقوها عن
قسى الركوع مريشة بالهدب من جفن ساهر منصلة
اطرافها بدموع ونظرت الى الريان من العلم وقد
اشتد لفقد الماء ظماه • وتبلد ذهنه حتى صار
ما يعرف من اين الطريق الى باب المياه • ومشيت
بحكم القضا الى الشهود فوجدت كلا منهم قد
راجع شهادته وطلق وسنه • وتاملت اهل الساعات
وقد صار عليهم كل يوم بسنه • ونزلت فى ذلك
الوقت من الساعات الى الدرج فى دقيقه ••
فانتهيت الى مجاز طريق الفوار فوجدته كان لم

يكن له حقيقه • كم وردته وهو كانه سنان يطعن
فى صدر الظما • او شجرة كدنا نقول انها طوبى
لما ظهرت واصلها ثابت وفرعها فى السماء • او مغترف
بيد الماء وقد افاض عليه عطاياه فيضا • فرفع له لاجل
ذلك فوق قناته راية بيضا • او عمود وفاء اشارت
الناس اليه بالاصابع • او ملك طالب السما بودايع
حتى كان اكليل الجوزاء له من جملة الودايع • او
ابيض طائر علا حتى قلنا انه يلتقط حبات النجوم
الثواقب • او شجاع ذو همة عالية يجاول ثارا
عند بعض الكواكب • فخفض لفقد الماء مناره
وخفى بعد ما كان به اشهر من علم • وجدع انفه
وطال ما ظهر وفى عرنينه شمم • فقلت
لست انسى الفوار وهو ينادى • غيض ماى وعطل الدهر حالى
فتمنيت من لهيبى بانى • اشترى غيضه بروحى ومالى
فلا والله ما كانت الا ايسر مده حتى رجع الماء الى

مجاريه • وابتسم ثغر دمشق عن شنب الرى بعد
ما نشف ريقه فى فيه • هذا وقد خمدت نار
الحرب وقعدت بعد ما قامت على ساق وقدم •
وبطلت آلتها التى كان لها على تحريك الاوتار
وحسن العيدان نغم • واعتقل الرمح بسجن السلم
وعلى راسه لوا الحرب معقود • وهجعت مقل
السيوف فى اجفانها لما علمت ان الزيادة فى الحد
نقص فى المحدود • وفاضت غدران الرحمة على
رياض الامن فظهر لها من المسرة نبات حسن ••
فالحمد لله الذى اذهب عنا الحزن • وبعد فالمعذرة
من هاهنا هذه الرسالة التى هى فى رياض الادب
باقليه • والصفح عن طولها وقصر بلاغتها بين
يدى تلك المواقف السبحانيه • ولكن محمولا
على متن الحكم كلامها الموضوع • فقد علم الله انها
صدرت من قلب مكسور وفؤاد مصدوع ••

ودهن ضعيف وليس لكثير ضعفه عاصم ولا نافع
وراحله فكر امست وهى عند سيرها الى غايات
المعانى ضالع • فسيروا على سيرى لانى ضعيفكم
وراحلتى بين الرواحل ظالع • هذا وكم تولد للمملوك
فى طريق الرمل من عقله • وكم ذاق من قطاع الطريق
انكادا • حتى ظن انه لعدم النصرة ليس له الى الاجتماع
وصله • وكلما زعق عليه غراب تالم لسهام
البين وفقد مصر التى هى نعم الكنانه • وانشد
وقد تحير فى الرمل لفراق ذلك التخت الذى اعز
الله تبارك وتعالى سلطانه •• شعر •
من زعقة الغراب بعد الملتقى • فارقت مصرا وبها احبابى •
وفى طريق الرمل صرت حائرا • مروعا من زعقة الغراب •
واستقبل المملوك بعد ذلك بلاد الشام فبيس
الحال وبيس الاستقبال • فوالرحمن ما وصل بها
الى مكان الا وجده قد وقعت فيه الواقعه •

واشتد القتال وحصد واسبل الرشاد فدرست
فلا اعيد لمعيد حرّبهم دروس • وادار وارحا
الحرب بقلوب كالاحجار فطحنت عند ذلك •
الروس • من كل عاد كعاد في تجبرهم • من فوق ذات عماد شادها إرم
لا يجمعون على غير الحرام اذا • تجمعوا الحباب بالراح وانتظموا
وانتهت الغاية بالمملوك الى انه ثُلج بقرب الكسوة
في الشتا وانتظرت ملك الموت وقد امست •
لي مهجة في النازعات وعبرة • في المرسلات وفكرة في هل اتى
هذا والليل قد انطفت مصابيح انواره وعسعس •
حتى ايقنت بموت الصبح وقلت لو كان [illegible] في قيد
الحياة تنفس • فذهب المملوك وقد تزود
عند قسم الغنيمة بسهم • فجرح ولم تجد له
نعد يلا ولكنه صبر على الالم بعد ما كان بيدي
من الوهم • ولم يلق له مجيرا الا قوى المه وضعف
منه الحيل • الا انه دخل تحت ذيل الليل فوصل

الى البلد وقد ود يومه لو تبدل بالامس • ولم
يسلم له في رقعة الحرب غير الفرس والنفس • ولكنه اشد
ما تفعل الاعدا في جاهل • ما يفعل الجاهل في نفسه •
فاعاد الله مولانا وبلاده • من هذه القيمة القايمة
وبدايه في الدنيا ببراعة الامن وفي الاخرة بحسن الخاتمة •
قلت قد استوعبت هنا تراجم كتاب الانشا
ونبذة من فوايدهم • ونبذة مما تخيرته من انشاهم
وقد تعين ان اذكر بعد ذلك ما يحتاج اليه المنشي
الكامل الادوات من المحاسن اللايقة به وبالله المستعان •
قال ابو حيان التوحيدي يجب على المنشي ان
يكون حافظا لكتاب الله لينتزع من اياته الشريفة
وان يعرف كثيرا من السنة والاخبار والتواريخ
والسير ويحفظ كثيرا من الرسايل والكتب ويكون
متناسب الالفاظ متشاكل المعاني عارفا بما •
يحتاج اليه ماهرا في نظم بديع الشعر نظيف الثوب

لطيف المركب ظريف الغلام لبق الدواة حاد السكين
متودّداً الى الناس يخالطهم غير متكبر عليهم
دمث الاخلاق دقيق الحواشي ترف الاطراف عذب
السجايا حسن المحاضرة مليح النادرة غير عنف ولا
متجرف ولا متكلفا الالفاظ الغريبة ولا متعسف
اللغة الغويصة **اداب الكتابة** روى الشعبي
انه قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة
كتب اولها بسمك اللهم فنزلت سورة هود وفيها
بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم
نزلت سورة بني اسرائيل وفيها قل ادعوا الله او
ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت
سورة النمل ومنها انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم
فكتبها وروى ان فصل الخطاب الذي اعطي داود
عليه السلم اما بعد وروى ان اول من قالها
كعب بن لوى وهو اول من سمى يوم الجمعة وعن

جابر بن عبد الله عن النبي عليه السلم انه قال اذا
كتب احدكم فليتربه فان التراب مبارك وهو انجح
وروى عنه عليه افضل الصلاة والسلام انه كتب
كتابين الى قريتين فاترب احدهما ولم يترب الاخر
فاسلمت القرية التي اترب كتابها وقال الحسن بن وهب
كاتب رئيسك بما يستحق ومزدونك بما يستوجب
وكاتب صديقك بما تكاتب به حبيبك فان
غزل المودة ارق من غزل الصبابة ورايت
في تذكرة الوداعي ان القاضي تاج الدين بن بنت
الاعز رحمه الله كان اذا كتب كتابا ابتداء في تذييل
البسملة لتعم بركتها سائر الكتاب ويحترز بذلك
الرمل ويحترز عليه وعن عبد الله بن عباس رضي
الله عنهما في قوله تعالى اني القي الي كتاب كريم قال
مختوم وفض الكتاب اذا كسر ختمه والعنوان فيه خمس
لغات افصحها عنوان وجمعه عناوين وعلوان وعلاوين

والعنوان الاثر وهو اثر الكتاب ممن والى من زهو كما قيل
ضحوا باشمط عنوان السجود به والقلم لا يقال
له قلم الا اذا بري والا فهو انبوبه ومن بديع
ما سمعته في وصف القلم من النظم قول الفاضل
شمس الدين بن الصاحب موفق الدين علي بن الامدي
منقول من خط الوداعي ∴ شعر ∴

تمشي البراعة والمداد وراها • ظل على شمس الطروس يبوع
عوض الغواني لو يلوح لمسلم • هدي المعاني راح وهو ضليع
لو لم تكن الفاظه خطبة • ما راح شرب اللفظ وهو منيع
الفاظه رقت بوجنة طرسه • فكانهن وقد جرين دموع
قلم مسيحي الخطاب لنطقه • في المهد من يمناه وهو رضيع
وغدا كليميا وقد ضاهى العصا • فغدا يروق بفعله ويروع
بالقط حاكته الشموع وبالضيا • حاكته في حلك المداد شموع
قد لازم القرطاس وهو منور • والضل يهوى الروض وهو مريع
نور ونور خطه وكلامه • هذا يضيء به وذاك يضوع

∴ وقال فيه واجاد الى الغاية ∴

يمناه ذو طرف كحيل اذا بكى • تبسم ثغر الخط من دمعه عجبا •
وقد راح مشقوق اللسان متى جرا • بثغر الدوي اللعس ابدى اللمى العذبا •

∴ وقلت من قصيدة رائية ∴

له يراع سعيد في تقلبه • ان خط خطا اطاعته المقادير •
محبر وتحبير العلوم اذا • جرى يرى منه تحرير وتحبير •
غصن عليه طيور العلم عاكفة • وجانس النور من اوراقه النور •
واشقر يده البيضا غرته • له الى الرزق فوق الطرس تسيير •
بل اسمر عينه السودا تلحظنا • وهدب اجفانها تلك التشاعير •
او سهم علم باطراف السطور غدا • مريشا وله في الضد تاثير •
كذا محابره سود العيون فان • دانت اياديه فهي الاعين الحور •

ويعجبني قول الشيخ شمس الدين بن المزين في الدواه

انا دواة يضحك الجود من • بكا يراعي جل من قد براه •
دلوا على مثلي من شفه • داء من الفقر فاني دواه •

∴ وقلت مما يكتب على دواة فولاذ ∴

كنانة الفضل دوانی لها • سهم يراع نصله نفذا
واسمر الخط لديها قاصر • لانها على الحمى فولاذ
قلتُ ويتعين بعد وصف اقلام المنشئين
والادوية وصف السكين فانهم انشؤا فی وصف
السيف والقلم وما الموا بها وهی احق بذلك من
غيرها لقربها من القلم وقد نقل ان ابا طاهر
كمال الدين اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهانی
انفرد برسالة القوس والشيخ جمال الدين بن نباته
رحمه الله انفرد برساله السيف والقلم والشيخ
تقی الدين بن حجه رحمه الله انفرد برسالة السكين
وهی تقبل الارض التی قامت حدود مكارمها
وقطعت عنا مكروه الفقر بمسنون عزآيمها •
وتنهی وصول السكين التی قطع بها اوصال
الجفا • واضافها الی الادوية فحصل بها البرء
والشفا • وتالله ما غابت الا بلغت الاقلام من

تغشيرها الی الحفا • زرقاء كم شاهدت البيض منها
الوان • خرسا من العجايب انها لسان لكل عنوان
ما شاهدها موسی الا سجد فی محراب النصاب •
وذل بعد ما خضعت له الرووس والرقاب •
كم ايقظت طرف القلم بعد ما خط • وعلی الحقيقه
ما رای مثلها قط • وكم وجد بها الصاحب فی
المضايق نفعا • وحكم بصدق محبتها قطعا •
ماضية العزم • قاطعة السن • فيها حزة الشباب
من وجهين • لانها بالناب والنصاب • معلمة
من الطرفين • انملة صبح تقمعت بسواد الدجی
ولسان برق امتد فی لهوات الليل • فتنكرت
اشعة الانجم حتی ما عرف منها سهيل • هذا
وتقطيعها موزون اذا لم يتجاوز فی عروض ضربها الحد
ومعلوم ان السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد •
من اجلنا ندخل فی مضايق • ليس لسيف قط فيها مدخل

وكلما تفعله توجزه • والرمح في تعقيده يطول
ان هجمت بجفنها كانت امضى من الطيف • وكم لها من
خاصة جازت بها الحد على السيف • تنسى حلاوة
العسّال فلا يظهر لطوله طائل • وتغني عن آلة الحرب
بايقاع ضربها الداخل • ان مرت بشكلها المحلى
تركت المعادن عاطله • ولم يسمع للحديد في هذه
الواقعة مجادله • شهد الرمح بعدالته انها اقرب
منه الى الصواب • وحكم بصحة ذلك قبل ان
يتكمل لها النصاب • ما طال في راس القلم شعرة
الا سرحتها باحسان • ولا طالعت كتابا الا ازالت
غلطه بالكشط من راس اللسان • تعقد عليها
الخناصر لانها عدّة وعُدّة • وتالله ما وقعت في قبضة
الا طالت لسانها وكلمت بحده • ان دخلت الى القراب
كانت قد سبكت على الدخول • او ابرزت من غمده
كان على طلعتها الهلالية قبول • تطرف باشعتها

الباهرة عين الشمس • وباقامتها الحد حافظة الاقلام
على مواظبة الخمس • وكم لها من عجائب تركت
جدول السيف وهو في بحر غمده غريق • ولو سمع
بها من قبل ضربه ما حمل النطريق • فلو عاصرها
الكمال لعرك من قوسه الاذنين • وقال له
جحدت رسالتك يا ذا القرنين • فان جذبت الى
مقاومتها وكان لك يد تمتدّ • وصلت السكين
منك العظم • وصار عليك قطع وانتهى امرك
الى ذا الحد • وهل تعاند السكين صورة ليس لها
من تركيب النظم • الا ما حملت ظهورهما او الحوايا
او ما اختلط بعظم • ولو لمحها الفاضل المحقّق قوله
ان خاطر سكينه كلّ • او ادركها ابن نباته ما اقرّ
برسالة السيف وفلّ • وقال للقلم رسالته اطلق
لسانك بشكر مواليك • واخلص الطاعة لباريك
ولم ينقص المملوك الايجاز في رسالة السكين ونظمها

الا لتكون مختصرة لحجمها • لا زالت صدقات مهدها
تتحف بما يذبح نحو فقرى • و يأتى فى كل وقت
بما يبرى من ذا الاحتياج و يبرى • قلت •
وعلى ما وقع من الغريب فى رسالة السكين ❊
يتعين ان نورد ما وقع من غريب النظم فى السيف
فان الشيخ جمال الدين ذكر من نثره فى رسالة
السيف بدايع ولكن مشهورة لتنقيب الناس عنها
والاقتباس منها قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه
لعمرو بن معدى كرب ما تقول فى الرمح قال
اخوك وربما خانك فانقصف قال فما تقول فى
الترس قال هو المجن وعليه تدور الدوائر قال
فالنبل قال منه ما يخطى ويصيب قال فما تقول
فى الدرع قال مفشلة للراجل مشغلة للفارس
وانها حصن حصين قال فما تقول فى السيف قال
هنالك لا ام لك يا امير المومنين فعلاه عمر بالدرة

وقال لم تقل لا ام لك قال الحمى اصرعتنى يا امير المومنين •

❊ الشريف البياضى ❊

وانا اداد الارواح ذا بت مخافة • فنحيا باشطان الرماح ركابها •
متى ما اردنا ان نذيق حديدنا • خلفنا بحد المشرفيه ابوابها •

❊ ابو العلاء المعرى ❊

ودبت فوقه حمر المنايا • ولكن بعدما مسخت نمالا •
عدا راه لسانا مشرفى • يقول غراب الموت ارتجالا •
يذيب الرعب منه كل عضب • فلولا الغمد يمسكه لسالا •

❊ وقال النامى ❊

ذو مدمع من غير ما مستعبر • وتبسم من ثغره متوالى •
ويريك من لالايه متوقدا • خنق المنون به على الاجال

❊ وقال العنوى ❊

كان على افرنده موج لجة • تقاصر فى حافاته وتجول
حسام غداه الروح حتى كانه • من الله فى قبض النفوس رسول

❊ وقال وجيه الدين بن الذروى ❊

فقفت باجساد الاسود لواحظا * رنت للمنايا عن عيون الثعالب
وانطقتا فواها على فم العدا * بالسنة البيض الرقاق
بحيث الوغى روض تغنى ذبابه * وسار على نور الطلا كالمذا
وقد نشقت ورد الكلوم صعاده * وما شربت الا دما الترائب

وله

سكران من شربه خمر الدما فان * حياه نور الطلا غنى لها بهر جا

لسان الدين بن الخطيب

وخليج هند راق حسن صفانه * حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
غرقت بصفحته النمال واوشكت * تبغي النجاة فاوثقتها الارجل
فالصرح منه ممرد والصفح منه * مودو الشط منه مهدل

القاضي الفاضل

تمد الى الاعدا منها معاصما * فرجع من ما الكلى باساور

وله من اخرى

ولرب هاتفة دعتهم للغوى * جعلوا صليل المرهفات صدا
هي في بحاديه امواج ترى * ونفوس من قبلته من غرق

ابن قلاقس واجاده

اسهرتهم وشهرتها لجموعهم * مناحرمت في راحتيك حرام
وكلاهما جفن منعت قراره * لكن ذا غضب وذاك منام

ابن سنا الملك

له منصل لا ينقضي فرض حجه * فبالضرب لباحين بالسك احرما
تنسك بالاسلام لكن رايته * يحل له في الشرع ان يشرب الدما
فكم شاك لما سل من بطن غمده * لسان دم من ضربه خلقت فما

مجير الدين بن تميم

لما قضيت من الصوارم اعوجا * بجرى القضا بنهره المتموج
جبت القفار وما حملت اوانيا * للماء من يعنى بنهر الاعوج

الغزي

وقد سلبت لطعن الاسنة لونها * فعصفر في اللبات ما كان ازرقا
واسيافنا في السابقات كانها * جداول تجري بين زهر تفتقا

ابن خفاجه

مسود اختط السيف بخبه * مستلقيا فوق شاطي جدول ثملا

الشيخ جمال الدين بن نباته رحمه الله عليه

وصارم كعباب الموج ملتطم ۰ يكاد يغرق رائيه وتحتجر

لما غدا جدولا يسقى المنون به ۰ اضحى يشف على حافاته العلق

الشيخ برهان الدين القيراطي

قوم مناديلهم بيض فكم مسحت ۰ رقابا عداهم تلك المناديل

وقلت

وسيف له في الحرب حسن تغزل ۰ اذا ما راني قد علوت على نهد

فكم خد خدا فوق صدر مدرع ۰ فبان احمرار الورد في ذلك الخد

وكم مال قد في الوغى ميل معجب ۰ فقابله ذاك المهند بالقد

وكم اعجموا الفاظهم ساعة اللقا ۰ فكلمهم ذاك المهند بالهند

قلت قد وجب ان نذكر هنا ما وقع بعد السيف
من غريب النظم في الرمح ذكر القاضي الرشيد
ابن الزبير في كتابه العجايب والطرف انه كان في خزانه
السلاح ايام السفاح خمسون الف درع وخمسين
الف سيف وثلاثون الف جوشن ومايتا الف رمح

وقال الفضل بن الربيع لما ولي الامين الخلافه سنه
ثلث وتسعين ومايه امرني ان احضر ما في خزانة
السلاح وكان فيها من السيوف المحلاة بالذهب
عشرة الاف ۰ وخمسون الف سيف للشاكرية والغلمان
ومائة وخمسون الف رمح ۰ ومائة الف قوس ۰ والف
درع محلاة ۰ والف درع عامة ۰ وعشرون الف بيضه
وعشرون الف جوشن ۰ ومائة الف وخمسون الف
ترس ۰ واربعة الاف سرج محلاة بالذهب ۰ وثلثون
الف سرج عامه انتهى ۰ قلت

ويعجبني قول القاضي الفاضل في بيت من قصيدة

امتضل الرمح الطويل بكوكب ۰ من ذا يطاعن والسماك سنان

ومثله في الحسن قول ابن سنا الملك

ملوك تحوزون الغناير عنوة ۰ بسمر العوالي او ببيض القواضب

رماح بايديهم طوال كانما ۰ ارادوا بها تثقيب در الكواكب

ابن قلاقس واجاد

وقد تحلت باميال العوالى • اساة الحرب احداق الدروع
وشب الباس نيران المواضى • واسل غيث امواه البحيح
فللفرسان من محل ووحل • حديث عن مصيف وربيع
ويعجبنى ايضا قول القاضى الفاضل من قصيدة
فيا عجبا للملك فر فراره • بمختلفات من قنا السواحر
طوا عن اسرار القلوب نواظر • كانك قد نصلتها بنواظر
ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب واجاد
وبكل ازرق ان شكتنا لحاظه • مره العيون فبالعجاجة يكحل
متاود اعطافه فى نشوة • مما يعل من الدماء وينهل
عجبا له انا لجميع بطرفه • رمد فلا يخفى عليه مقتل
السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين
غصون بها طير النفوس تنافرت • وعهدى ان الغصن للطير مالف
فلا ورق الا من النبر حولها • ولا زهر الا من النصر يقطف
ابن نباتة السعدى رحمة الله عليه
وولوا عليها يقدمون رماحا • ونقدمها اعناقهم والمناكب

خلفنا باطراف القنا لظهورهم • عيونا لها وقع السيوف حواجب
قلت رسم كافل المملكة الشريفة الشامية وهو
المقر المرحومى العلائى الطنبغا الجوبانى تغمده
الله تعالى برحمته ورضوانه للفضلا بدمشق المحروسة
وغيرها من الفضلا بالبلاد الشاميه ان ينظموا
ابياتا تكتب على اسنة الرماح وتكون عدة الابيات
اربعة • فنظم المقر المخزومى الفتحى بن الشهيد نور الله ضريحه
اذا الغبار علا فى الجو عثيره • فاظلم الجو ما للشمس انوار
هذا سنانى نجم يستضاء به • فاننى علم فى راسه نار
والسيف ان نام بل الجفن فى علق • فاننى بارز للحرب خطار
ان الرماح لاغصان وليس لها • سوى النجوم على العيدان ازهار
ونظم الرئيس شمس الدين المزين
انا اسمر والراية البيضاء لى • لا للسيوف وسل من الشجعان
لم تحل بى عيش العداة لاننى • نوديت يوم الجمع بالمران
واذا تعانقت الكماة بجحفل • كلمتهم فيه بكل لسان

فحالهم غنما تساق الى الردا • قهر المعظم سطوة الجوبان •

ونظم المقر المرحومي الاميني وهو اذ ذاك كاتب السر بحمص المحروسة

عروس سناني حين تجلى على العدا • وتظهر تبدي ما لهم من بواطن

وقد صبغ من زهر فبين صدورهم • مجال له رحب فسيح المواطن •

سيلقون يوم الجمع غب المواقفهم • بطعني ويوم الجمع يوم التغابن

وان شهدوا بالجور في وعدلوا • فاني قد بينت فيهم مطاعني •

ونظم مولانا قاضي القضاة صدر الدين بن الادمي

سقى الله ثراه في ذلك •• وقال ••

النصر مقرون بصرباسنة • لمعانها كوميض برق يشرق •

سبكت لتسبك كل خصم مارق • ونطرقت لمعاند يتطرق •

زرق تفوق البيض في الهيجا اذ • يحمر من دمه العدو الازرق •

ينسجن يوم الحرب كل كتيبة • تحت الغبار فنسجهن محقق •

•• وقلت ••

انا رمح ورامح الافق يخشى • من سموي اليه يوم الطعان •

واذا انكروا عدالة قدي • يوم حكم جرحتهم بلساني

سناني كالبرق بل صار منه • قلب سيف البروق في خفقان •

رمحه للردين ينسب لكن • صاح لما علاه بالسنان •

•• مجير الدين بن تميم ••

لو كنت تشهدني وقد حمي الوغى • في موقف ما الموت فيه بمعزل •

لترى انابيب القناة على يدي • تجري دما من تحت ظل القسطل •

•• ابن شرف القيرواني ••

وقد وخطت ارماحهم مفرق الدجى • فبان باطراف الاسنة شائبا •

ذكر الثعالبي في لطائف المعارف ان اول من عمل السنان من حديد ذو يزن الحميري • واليه نسبت الرماح اليزنية وانما كانت اسنة العرب من صياصي البقر انتهى قلت لم يبق بعد السيف والرمح غير القوس ولو ان رسالة القوس مشتملة بكمالها على اصابة الغرض لاثبتها هنا ولكن جمع في نظم عقدها بين الجوهر والعرض • وبراعة استهلالها غاية لا تدرك وهي ويسئلونك •

عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا • انا
مكنا له في الارض واتيناه من كل شي سببا فاتبع
سببا • ومن غاياتها بعد ذلك قوله منها صورة
مركبة ليس لها من تركيب النظم • الا ما حملت
ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم • وممن
اصاب الغرض بالغازه في القوس الشهابي الاعزازي
ما عجوز كبيرة بلغت عمرا طويلا وتنتقيها الرجال •
قد علا جسمها صفار ولم تشك سقاما ولا عراها هزال
ولها في البين سهم وقسم • وبنوها كبار قدر نبال

وقال الشيخ صفي الدين الحلي فيه ملغزا •

وما اسم تراه في البروج وانما • يحل به المريخ دون الكواكب
اذا قدر الباري عليه مصيبة • عدته وحلت في صدور الكتائب

وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب •

لله مملوك اذا • ما قام في الشغل اعترض
لكنه في ساعة • يحصل لك الغرض

ومن الغايات التي لا تدرك لغز قاضي القضاة
صدر الدين بن الادمي نور الله ضريحه في الكشتوان
ما رفيق وصاحب لك تلقاه • معينا على بلوغ المرام
هو للعين واضح وجلي • وتراه في غاية الابهام

ومن نظمي في القوس

قوسي اذا جذبته يطربني • نحس عوده وتحريك الوتر
ونجم ذاك السهم ان فوقته • يرى له في طارة البدر اثر

ويعجبني الى الغاية قول الشيخ جمال الدين بن نباته
رحمه الله تعالى في الغزل شعر

فديتك ايها الرامي بقوس • ولحظ يا ضنا قلبي عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب • وشبه الشي منجذب اليه

قلت لم يبق بعد وصف آلة الحرب غير وصف
الخيول المسومة التي لا بد لفحول كتاب الانشاء من
الجولان في ميدان وصفها وبحور السوابق الذي
جمعته في هذا الكتاب قد تقدم في الجزء الاول

من بلوغ المراد ولكن اذا كنت منشى دواوين الانشا
الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة يتعين
على ان نورد ها هنا لكتاب الانشا من فقه هذا
الفن ما يحتاجون الى معرفته قلت السجع ماخوذ
من سجع الحمام واختلف فيه هل يقال في فواصل
القران اسجاع ام لا فمنهم من منعه ومنهم من اجازه
والذي منع تمسك بقوله تعالى كتاب فصلت اياته
فقال قد سماه فواصل فليس لنا ان نتجاوز ذلك
والسجع ينقسم اربعة اقسام المرصع والمطرف
والمتوازي والمشطر فالمرصع عبارة عن مقابلة
كل لفظة من صدر البيت او فقرة النثر بلفظة
على وزنها ورويها وهو ماخوذ من مقابلة العقد
في ترصيعه ومن امثلته الشريفة في الكتاب
العزيز قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار
لفي جحيم ومثله قوله تعالى ان الينا ايابهم

ثم ان علينا حسابهم ومنه قول الحريري في المقامات
يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع
بزواجر وعظه والذي يزخرف الترصيع بنوع
بديعي يتميز به على نظامه انتهى والمطرف
هو ان ياتي المتكلم في اجزاء كلامه او في بعضها
باسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة
في عدد معين بشرط ان يكون روي الاسجاع
روي القافية كقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا
وقد خلقكم اطوارا وكقولهم جنابه محط الرجال
ومخيم الامال ومن امثلته الشعرية قول ابي تمام

تجلى به رشدي واثرت به يدي
وفاض به ثمدي واورى به زندي

الثالث المتوازي وهو ان تتفق اللفظة الاخيرة
من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي كقوله
تعالى فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعط
منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا • ومنه قول
الحريري في المقامات واودى بي الناطق •
والصامت • ورثى لي الحاسد والشامت •
انتهى • القسم الرابع السجع المشطر • وهو ان
يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان
لقافيتي النصف الاخر • ولكن هذا القسم مختص
بالنظم • كقول ابي تمام •
تدبير معتصم • بالله منتقم • لله مرتقب • في الله مرتغب
انتهى باب السجع • قلت • وقالت علماء هذا
الفن ان قصر الفقرات في الانشاء تدل على قوة
المنشي واقل ما تكون من كلمتين كقوله تعالى •
يا ايها المدثر • قم فانذر • وربك فكبر • وثيابك
فطهر • وامثال ذلك كثيرة في الكتاب •
العزيز لكن الزايد على ذلك هو الاكثر •

وكان بديع الزمان يكثر من ذلك كقوله كميت
نهد كان راكبه في مهد • يلطم الارض بزبر
وينزل من السماء بخبر • لكن قالوا التذاذ
السامع بما زاد على ذلك اكثر لتشوقه الى
ما يرد منه متزايدا على سمعه انتهى • واما الفقر
المختلفة فالاحسن ان تكون الثانية ازيد من
الاولى بقدر غير كثير لئلا يبعد على السامع
وجود القافية فتذهب اللذة فان زادت
القراين على اثنتين فلا يضر تساوي القرينتين
الاولتين وزيادة الثالثة عليهما وان زادت
الثانية على الاولى يسيرا والثالثة على الثانية
فلا باس لكن لا يكون اكثر من المثل مثاله في القرينتين
قوله تعالى • وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم •
شيا ادا • تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا • فالثانية اطول من الاولى •

ومثاله في الثالثه قوله تعالى واعتدنا لمن كذب
بالساعة سعيرا • اذا راتهم من مكان بعيد
سمعوا لها تغيظا وزفيرا • واذا القوا منها مكانا
ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ومن فوايد
الانشا ان تكون كل فاصلة مخالفة لنظيرتها في
المعنى لان اللفظ اذا كان من القرينة بمعنى نظيره
من الاخرى لم تحسن كقول الصاحب بن عباد •
في وصف منهزمين طاروا واقين بظهورهم صدورهم
وباصلابهم نحورهم • فالظهور بمعنى الاصلاب
والصدور بمعنى النحور ومنه قول الصابي •
يسافر رايه وهو دان لا ينزح • ويسير وهو باق لا يبرح
فلا يبرح ولا ينزح بمعنى واحد ويسافر ويسير
كذلك ومن فوايد الانشا التي يتسع فيها المجال
على المنشي ان السجع مبني على الوقف وكلمات
الاسجاع موضوعة على ان تكون ساكنة الاعجاز

وقوفا عليها لان الغرض ان يجانس المنشي بين القراين
ويزاوج ولا يتم له ذلك الا بالتوقيف اذ لو
ظهر الاعراب لفات ذلك الغرض وضاق المجال
على قاصده فان قافية السجعية اذا كانت في محل
نصب واختها في محل رفع ساوى بينهما السكون
وصار الاعراب مستترا فلو اثبتوا الاعراب •
في قول من قال ما ابعد ما فات • وما اقرب ما هو ات
للزمان تكون التا الاولى مفتوحه والثانية مكسورة
منونه فيفوت غرض المنشي ومن ذلك ان السجع
مبني على التغيير فيجوز ان يغير لفظ القافية الفاصله
لتوافق اختها فيجوز فيها حالة الازدواج ما لا يجوز
فيها حالة الانفراد فمن ذلك الامالة فقد يكون
في الفواصل ما هو من ذوات اليا وما هو من ذوات
الواو فتمال التي هي من ذوات الواو وتكتب باليا
حملا على ما هو من ذوات اليا لاجل الموافقه كقوله

تعالى والضحى فاميلت وكتبت بالياء حملا
على ما فى السورة الشريفة من ذوات الياء لا
الموافقة • وكذلك سورة والشمس وضحاها
ميلت فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملا على ما فيها
من ذوات الياء ومن ذلك حذف المفعول نحو
قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى الاصل وما
قلاك ولكن حذفت الكاف لتوافق الفواصل •
ومن ذلك صرف ما لا ينصرف كقوله تعالى قواريرا •
صرفه بعض القراء السبعة ليوافق فواصل السور
الشريفة ولو تتبع المتامل ذلك فى الكتاب العزيز
لوجده كثيرا ومما جاء من ذلك فى الحديث قوله
صلى الله عليه وسلم اعيذه من الهامة والسامة
ومن كل عين لامة الاصل عين ملمة ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم مازورات غير ماجورات •
الاصل موزورات بالواو لانه من الوزر ولكن همز

ليوافق ماجورات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم
الاصل ما وادعوكم ولكن حذف الالف ليحصل
الاتفاق قلت وهذا نوع من المشاكلة لان
المشاكلة فى اللغة هى المماثلة وهى فى المصطلح
ذكر الشى بغير لفظه لموافقة القرآن ومشاكلتها
كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة فالجزاء عن السيئة فى
الحقيقة غير سيئة والاصل وجزاء سيئة عقوبة
ومنه قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى
نفسك والاصل تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما
عندك لان الحق تعالى وتقدس لا تستعمل لفظة
النفس فى حقه الا انها استعملت هنا للمماثلة
والمشاكلة كما تقدم ومنه قوله تعالى ومكروا
ومكر الله والاصل واخذهم الله وفى الحديث
قوله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمل حتى تملوا الاصل

فان الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا من مسئلته
فوضع لا يمل موضع لا يقطع لاجل المشاكله وهو
مما وقع فيه لفظ المشاكلة اولا ومنه قول الشاعر
قالوا اقترح شيا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا
اراد اخيطوا لي جبة وقميصا وذكره بلفظ اطبخوا
لوقوعه في صحبة طبخه انتهى قلت ومن غايات
الانشاء البلاغة في المقاصد والبلاغة هي ان
يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا
اخلال واطالة من غير املال والفصاحة خلوص
الكلام من التعقيد وقيل البلاغة في المعاني والفصاحة
في الالفاظ يقال معنى بليغ ولفظ فصيح والفصاحة
خاصة تقع في المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال
كلمة بليغة ففصاحة المفرد خلوصه من التعقيد
وتنافر الحروف والفصاحة اعم من البلاغة لان الفصاحة
تكون صفة للكلمة والكلام يقال كلمة فصيحه

وكلام فصيح والبلاغة لا يوصف بها الا الكلام
فيقال كلام بليغ ولا يقال كلمة بليغة واشتركا في
وصف المتكلم بهما فيقال متكلم فصيح بليغ فمن
الانشاء البليغ الفصيح البديع قول عبد الحميد
عند ظهور الخراسانية بشعار السواد فاثبتوا
ريثما تنجلي هذه الغمرة وتصحوا هذه السكرة
فسينصب السيل وتمحي اية الليل ومثله
قول ابي نصر العتبي رب الفشل في تضاعف
احشائهم وسرى الوهن في تفاريق اعضائهم
فجيوب الاقطار عنهم مزرورة وذيول الخذلان
عليهم مجرورة ومثله قول الصابي نزغ به شيطانه
وامتدت في البغي اشطانه ومثله قول بديع
الزمان كتابي الى البحر وان لم اره فقد سمعت خبره
والليث وان لم القه فقد تصورت خلقه
ومن راى من السيف اثره فقد راى اكثره

ومثله قول القاضي الفاضل • ووافينا قلعة نجم
وهي نجم في سحاب • وعقاب في عقاب • وهامه
لها الغمامة عمامه • وانمله اذا اخضبها الاصيل
كان الهلال لها قلامه • قلت ويعجبني في هذا الباب
من انشاء الشهاب محمود قوله في وصف مقدم
سرية كشف لا زال في مقاصده اخف من وطأة
ضيف • وفي مطالبته اخفى من زوره طيف •
وفي تنقله اسرع من سحابة صيف • واروع للعدى
من سله سيف • ومثله في الحسن قوله في صدر
مثال شريف سلطاني اصدرناها والسيوف
قد انفت من الغمود ونفرت من قربها • والاسنة قد
ظميت الى موارد القلوب وتشوقت الى الارتواء من
قلبها • والحماة ما منهم الا من استظهر بامكان
قوته وقوة امكانه • والابطال ليس فيهم من
يبسل عن عدد عدوه بل عن امكانه • ومثله

في الحسن ما كتبت به جوابا عن مولانا السلطان
الملك المويد سقى الله تعالى ثراه الى قرا يوسف
ملك العراق يتضمن خطاب الاناس نظير ما خاطب
في مكاتبته • فمن الجواب قولي وهذه الفئة خولتنا
في نعم الله وزمام الاخوة منقادا الينا • وقد تعين
على المقر ان يقول انا يوسف وهذا اخي قد من
الله علينا • وقد سرتنا الاشارة الكريمة بالتمكين
من ارض العدى ومطابقة الطول بالعرض ••
وهذا الاسم قد شملته العناية قديما بقوله تعالى
وكذلك مكنا ليوسف في الارض • واما قرا عثمان فقد فل
سيوفنا ما غمضت عنه في اجفانها • وانا ما استثنا
ما ذكرت نوبته الا شرعت في حصر عيدانها • وجوارح
سهامنا ما برحت تنفض ريش اجنحتها للطيران اليه
وان كان معنى سافلا فلابد لاجل المقر ان يختم عليه
وينزل سلطان قهرنا بارضه ويغرس فيها عوامل المران

وان كانت من الاسماء التى ما انزل الله بها من سلطان •
ولم يهمل الا لاشتغال الدولتين بالدخول في
تطهير الارض من الخوارج • وايقاع الضرب
الداخل من حس العيدان في كل خارج • ويديمه
من ابى النصر ابنا حرب شرف فى انساب الوقايع
جدهم • ورد الجموع الصحيحة الى التكسير فردهم •
واذا اكثرت الخدود وتوردت بالدماعدرت
بورق الحديد الاخضر مردهم • واذا امتدوا
الى امل تلى لهم حصنها فى سورة الفتح قبل القتال
فانهم مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة الفتوح
والاقبال • واذا اصرفوا الهمم المويد به لم تكن
حصونهم عند ذلك الصرف مانعه • ولم يسمع
لسكانها مجادلة اذا اصدموا بالحديد وتلت
حصونهم فى الواقعه • وما خفى عن كبير علمه ما
جمعه الناصر من الجموع التى فرقها الله ايدى سبا •

وكم سال سايل وقد راهم فى النازعات عن ذلك النبا •
وقد اشار منشى دولتنا الشريفه الى ذلك فى قصيد
كامل نحوها مديد • والقصيد هنا من ابيات تلك القصيد
يا حامى الحرمين والاقصى ومن • لولاه لم يسمر بمكة سامر •
والله ان الله نحوك ناظر • هذا وما فى العالمين مناظر •
فرج على الجون نظم عسكرا • واطاعه فى النظم بحر وافر •
فانبت منه رحا فه فى وقعة • يا من باحوال الوقايع شاعر •
وجميع ها تيك البغاة باسرهم • دارت عليهم من سطاك دواير •
وعلى ظهور الخيل ما تواخفة • فكانها تيك السروج مقابر •
وما خفى عن علمه الكريم امر الذين نقضوا بيعتنا واشتروا
الضلالة بالهدى • ودعوا سيوفهم الصقيلة لما
حاق بهم المكر السيى فاجابهم الصدا • ولم يكن فى
حرارة عزمنا الشريف عند عصيانهم البارد فتره
حتى اظهرنا بلوان الشام من دمائهم على تذبيح
الدروع الوان البصره • واخذوا سريعا بشبان

حرب ماشابت عوارضهم الا بغبار الوقايع
وحكم برشدهم ولم تخرجوا من تحت حجر المعامع
وقد اسبغ الله ظلال الملك وخيره على الدولتين
ولم يظهر لمحراب بهجة الابهات بين القبلتين
ولو صلت السيوف لغيرهما ما قبلت او صرفت
العوامل الى غيرهما ما عملت وقد فهمنا كرسم
الالتفات الى ان تدارك وس الانشا بيننا
ممزوجة بصافى المودة وعلمنا انها احكام صحيحة
فى شرع الاخوة ولهذه الاحكام عندنا عمدة
وقد سابقوا القصد اليوسفى بسهام مراده الى
الغرض وقضى حاجة فى نفس يعقوب المحبة
ليس عنها عوض ولم يبقوا الا اتصال شمل الاوصال
بكل رسالة سطورها فى رقاع الاخوة محققه
وتصديقوا بما يقصه فى كريم جوابه فان القصة
اليوسفية ما برحت مصدقة والله تبارك وتعالى

يمنح الابصار والاسماع بمشاهدة امثلته
وطيب اخباره ويفكهنا من بين اوراقها
بشهى ثماره ان شاء الله تعالى انتهى ما دنت
قطوفه من ثمرات الاوراق وحلى فى الاذواق
السليمة وراق والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على نبى الرحمة وشفيع الامة سيدنا
ومولانا محمد واله وصحبه وعترته الاكرمين وسلم
وحسبنا الله ونعم الوكيل